الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

قصة الأدب في ليبيا العربية

من الفتح الإسلامي إلى اليوم

الجزء الأول

دكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

قصة الأدب في ليبيا العربية

من الفتح الإسلامي إلى اليوم

منشورات دار الكتاب الليبي
حي الخراز ص.ب ٧٦٩
بنغازي – ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم الأستاذ الكبير الشيخ

ابراهيم رفيدة

عميد كلية اللغة العربية بالبيضاء

— ١ —

أحمد الله ولى الحمد ، والهادى إلى سواء السبيل ، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم محمد النبى العربى الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد : فهذا الكتاب « قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم » الذى ألفه الأخ العلامة الأديب الكبير محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، بأجزائه الثلاثة عمل علمى جليل ، وصورة مشرقة لقراءات طويلة فاحصة ، وجهد مشكور ، لايتسنى القيام به لغير المؤلف فى دأبه وغوصه فى تيارات الثقافة القديمة والحديثة على السواء .

والتراث الروحى والفكرى والثقافى والأدبى لوطننا المجيد « ليبيا » العربية المسلمة لايزال أكثره مفقودا ، والقليل الأقل منه هو الذى يمكن مع الإجهاد الكثير ، والعناء المضنى ، الاهتداء إليه ، والتعرف عليه .

وأشهد أن العمل الذى قام به الصديق العلامة رائع وجليل ومفيد

وحديث ، وفيه النفع لكل من يريد الوقوف على أخبار الماضي الأدبي لليبيا العربية الخالدة .

ولما قامت جامعتنا الإسلامية العظيمة ، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، التي أسسها الإدريس العظيم المفدى، بطل الاستقلال، ورمز النضال ، وأبو الحرية ورائدها في وطننا العريق ، والعاهل المسلم الغيور على دينه ووطنه وعروبته ، رأت أن تدرس مادة الأدب الليبي ضمن مناهجها في كلية اللغة العربية إحدى كلياتها الثلاث السامقة الزاهرة ، وكان أول من تولى تدريس هذه المادة هو المؤلف أثناء ندبه من جامعة الأزهر للتدريس في كلية اللغة العربية بجامعة السيد محمـــد بن علي السنوسي الإسلامية ، وكانت أماليه لطلابه في هذه المادة صورة جديدة للبحث العلمي والأدبي ، ووضعت الجامعة وكلية اللغة فيها كل الإمكانيات أمام الباحثين والدارسين من أساتذتها للقيام ببحوثهم على الوجه المرضي المشرف ؛ وقبيل انتهاء ندب المؤلف إلى ليبيا كان من المقرر طبع هذا الكتاب على نفقة الجامعة ، لولا العوائق التي أدت إلى تأخير نشره حتى اليوم .

— ٢ —

والتاريخ الأدبي والثقافي لوطننا العزيز مرتبط أشد الارتباط بتاريخها السياسي في مختلف مراحله وعصوره: عصر الولاة ـ والأغالبة ـ والفاطميين ـ ـ والصنهاجيين ـ والموحدين ـ والحفصيين ـ وعصر الأتراك العثمانيين بما احتوى عليه من الفترة المزدهرة في تاريخ ليبيا ، فترة الاستقلال في عهد الأسرة القرمانلية ـ ثم عهد الاحتلال والنضال ـ فعهد الاستقلال والحرية والبناء السياسي الضخم للدولة في كل مجال من مجالاتها : الدينية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والأدبية .

ومن ثم فقد تتبع المؤلف هذه العصور السياسية بالدراسة والبحث ،

وكشف عن نهضات الأدب العربي فى ليبيا فى كل عصر منها ، كما كشف عن أعلامها من علماء وأدباء وشعراء وكتاب ، مشيرا إلى كل المراجع والمصادر التى عول عليها ، ووقف لديها .

وفى العصر الحديث وقف المؤلف عند الدعوة السنوسية وقفات طويلة ، حيث درس حياة رائدها وإمامها ، الشيخ الأكبر محمد بن على السنوسى ، وجعلها بدء الأدب الحديث فى ليبيا ، وأرخ لشعرائها وأدبائها ، كما أرخ لأعلامها وروادها ، وللحياة الأدبية والثقافية فى ظلها .

ثم تحدث عن عصر النضال ضد الاحتلال وشعرائه : ومن بينهم : البارونى - الأسطى عمر - أحمد رفيق - أحمد الشارف .

وأفرد لكفاح الإدريس وعصره وأعماله فى بناء استقلال ليبيا وحريتها ونهضتها ، وفى بناء الحياة الثقافية والأدبية فيها ، فصولا عديدة .

وفى عصر الاستقلال تحدث المؤلف عن الأدب الليبى المعاصر ، شعره ونثره ، وعن أعلامه ، وعن شتى عوامل النهضة ومقوماتها وأثرها فى ازدهاره حديثا ضافيا واسعا عميقا .

والكتاب بأجزائه الثلاثة جهد مشرف ودراسة علمية ، ولا ننسى أنه أفاد من البحوث التى سبقته والتى كتبها عن أدبنا المعاصر أمثال الدكتور الحاجرى ، ومحمد صادق عفيفى ، أو التى كتبها الأدباء والكتاب الليبيون الأفاضل ، مثل : الأستاذ خليفة محمد التليسى ، والقويرى ، والمقهور ، وعلى مصطفى المصراتى ، والغناى ، وسواهم .

وعلى الجملة فإننا نحمد المؤلف عنايته بالمراجع ، والإشارة إليها ، مما يعين الباحثين على متابعة السير فى هذا المضمار لخدمة الثقافة والأدب فى ليبيا العزيزة .

ولا شك أن صدور مثل هذا الكتاب قد سد ثغرة كبيرة فى بناء الأدب العربى القديم والحديث .

ومن محاسن الكتاب اشتمال على باب طويل تحدث فيه المؤلف عن الأدب الحديث فى دول شمال أفريقية ، ليبيا ، ومصر ، وسائر بلدان المغرب العربى ، وهو باب مفيد وموجز معا .

ولا أجد ماأقوله للمؤلف إلا أن أشد على يديه بقوة وحرارة مصافحا ومهنئا على مابذله فى تأليف هذا الكتاب من مجهود .

وليبيا تقدر أدباء العالم العربى وكتابه وشعراءه وعلماءه ، وهى تعرف الفضل لأولى الفضل ، ولا تنسى الأيادى النبيلة التى تمتد إليها كل حين ، تدعم من نهضتها ، وتشارك فى حقل الثقافة والأدب فيها .

وفى يوم قريب سيكون لخريجى الجامعة الإسلامية فى البيضاء ولخريجى الجامعة الليبية الجليلة ، فضل السير فى طريق البحث العلمى والأدبى ، والسهر من أجل الكشف عن ذخائر تراثنا وأدبنا ، والعمل من أجل بناء النهضة الأدبية السامقة المرموقة ، التى غرس بذورها الإدريس العظيم ، فأنبتت ثمرها ، وآتت أكلها الطيب اليوم بإذن الله .

وفى هذا المقام أنوه بفضل شيخ الجامعة الإسلامية وبفضل رؤسائها وعمدائها وشيوخها على البحث العلمى فيها ، مستمدين تلك الغيرة الإسلامية والعلمية من روح الإدريس ورعايته للنهضة العلمية والأدبية والثقافية فى شتى ربوع الوطن العزيز .

والتوفيق من الله ، وإليه نتضرع ، ليلهمنا الرشد ، ويقينا شر العثرة ، ويرشدنا إلى الجادة ، ويهدينا سواء السبيل .

وما توفيقى إلا بالله ؟

إبراهيم رفيدة
البيضاء - ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

— ١ —

أحمد الله وأستعينه وأستهديه ، وأصلى وأسلم على رسوله العظيم ، ونبيه الكريم ، سيدنا محمد بن عبد الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإنى أقدم للقارىء العربى - فى كل مكان من بلاد العروبة ، استظل بلوائها الخفاق ، المنتصر ، واستهدى بهدى كتابها الحكيم الخالد ، القرآن الكريم ، وتذوق آداب لغتها الشريفة الباقية على الزمن - هذا الكتاب « قصة الأدب فى ليبيا العربيـــة من الفتح الإسلامى إلى اليوم » بأجزائه الثلاثة ، تأريخا لماضى الأدب العربى ، ولتياراته واتجاهاته ، فى الوطن الليبى العربى العزيز ، وكشفا عن تراث الأدباء الليبيين ، وأعمالهم فى القديم والحديث ، فى هذه الرقعة الحرة من الأرض العربية ، وتسجيلا لشتى التيارات اللغوية والثقافية والأدبية التى عاشت على أرض ليبيا ، أو دارت فى خلد أدبائها وشعرائها وكتابها وعلمائها ، ونشرا للمطوى المجهول من حديث أعلامها فى شتى مجالات الفكر والحياة والأدب .

— ٢ —

ولقد كانت فكرة راودتنى منذ وطئت قدماى أرض ليبيا الحرة ، أن أكتب عن أدبها وأدبائها ، ثم أخذت أدرس هذه البيئة العربية المسلمة ،

وأتعمق فى دراسة الفكر الليبى، والتاريخ الليبى، فى قديمهما وحديثهما، ووكلت إلىَّ جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية بليبيا ، حين كنت أقوم بأعباء التدريس فيها منذ سنوات لطلاب كلية اللغة العربية ، إحدى كلياتها الثلاث المزدهرة ، تدريس مادة « الأدب الليبى » ، على النمط الذى تدرس به الآداب العربية فى مصر والعراق والشام والجزيرة العربية وشتى بلاد العروبة والمغرب العربى ؛ فقبلت المهمة ، واستعنت الله ، واستلهمته الرشد والصواب والسداد .

ولم يكن درس الأدب الليبى بالسهل ، ولا الممكن المتاح ، فليس فى تاريخ الآداب الليبية كتاب ، وليس هناك تقسيمات لعصور الأدب ، ولا معرفة بالنهضات الثقافية والأدبية فى شتى هذه العصور وعواملها ونتائجها ، وليس هناك معرفة بقدامى الأدباء والشعراء الليبيين العرب ، ولا دراسات لحياتهم ونتاجهم وتراثهم ؛ وكل ما عرف أو يعرف ، وما كتب أو يكتب ، إنما هو عن التاريخ الأدبى الحديث والمعاصر ، وعن الأدباء الليبيين الأحياء ، أو الذين رحلوا إلى جوار الله فى العهد القريب، وعن بعض الأعلام القديمة المشهورة التى خلد التاريخ الأدبى العربى ذكرها .

وبدأت أضع التقسيمات لعصور الأدب ، وأتتبع الأدب فى كل عصر ، والعوامل التى أثرت فيه ، والحركات الفكرية والعلمية والثقافية التى سادته ، وأدرس أشهر أعلامه فى الأدب والشعر ومختلف فنون الكتابة .

وأرخت للأدب الحديث فى ليبيا وجعلت مولده مع مولد الدعوة السنوسية المباركة، التى كان رائدها الإمام الأكبر السيد محمد بن على السنوسى ، ودرست تطور الأدب فى كل فترة من فترات تاريخ ليبيا الحديث : الدعوة السنوسية ـ فترة الاحتلال والنضال ، عهد الاستقلال ، وكتبت عن الأدب الليبى فى عصر الإدريس بطل الاستقلال وحاميه ، وتتبعت كل الأعلام التى نبغت فى شتى المجالات الفكرية والأدبية فى ليبيا الحديثة ،

وأرخت لها ولأعلامها ، وتناولت بالدراسة مقومات الأدب المعاصر في ليبيا وعوامل ازدهاره ونهضته ، وكتبت عن كل ما جد في المحيط الأدبي في ليبيا من تيارات ، وأفكار أدبية .

ومن أجل بلوغ هذه الغاية استعنت بشتى المراجع القديمة والحديثة ، المخطوطة والمطبوعة ، وشتى الصحف والمجلات في ليبيا وفي العالم العربي ، ورجعت إلى المعاصرين آخذ منهم وأستمع إليهم ، وقمت برحلات إلى ما أمكنني الرحلة إليه من بلدان ليبيا القريبة والبعيدة ، ولم أدع وسيلة من الوسائل الممكنة المساعدة على بلوغ الهدف إلا لجأت إليها .

ولا أنسى في هذا المقام فضل شيخ الجامعة الإسلامية وعمدائها ورؤسائها ، والشيخ رفيدة عميد كلية اللغة العربية فيها ، في معاونتي على القيام بهذه الدراسة ، والنهوض بأعبائها . . .

— ٣ —

ولقد عشت في ليبيا ثلاث سنوات (نوفمبر ١٩٦٣ – يونيو ١٩٦٦) ، وخالطت الكثير من أهلها ، وشاهدت العديد من مظاهر نهضتها وعمرانها وآثارها ، وطفت ببعض بلدانها وأرجائها ، ورأيت في هذا الجو الرائع الخلق العربي الأصيل ، والروح القومي والوطني المتوثب ، والغيرة الدينية العميقة في نفوس الشباب والشيوخ على السواء .

وكانت مهرجانات الأدب والثقافة في جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية مستمرة طيلة كل عام دراسي ، واحتفالات الجامعة بالأساتذة الزائرين القادمين من مختلف بلاد العروبة والإسلام دائمة في كل فصول السنة .

وكانت أياما حلوة جميلة تلك التي كنت أقضيها في درنة والشحات

وبنى غازى . أو على شاطىء البحر الأبيض المتوسط فى سوسة ، أو فى « رأس الهلال » الجميل وبين مناظره الخلابة الساحرة ، أو فى قلب صحراء ليبيا وبين جمالها ، كما كانت ساعات ممتعة تلك التى كنت أقضيها فى الطريق الجميل بين البيضاء وبنى غازى .

ومناظر الجبل الأخضر بجلاله وخضرته ومائه وعشبه من أروع المناظر التى تستثير الإلهام ، وتمتلك ناصية العقل والنفس والقلب والوجدان .

ولقيت شيخ الجامعة الإسلامية الحالى الشيخ عبدالحميد الديبانى وتحدثت إليه ، وشيخها السابق الشيخ منصور المحجوب ، واستمعت له ، وتعرفت بالشيخ سليمان الزوبى وكيل الجامعة ، وبالشيخ محمد جوان شيخ كلية الشريعة ، وبالشيخ مصطفى التريكى شيخ كلية أصول الدين ، وبالأستاذ أبى بكر الفقهى مدير الجامعة ، كما تعرفت بمدير الجامعة الليبية السابق الأستاذ مصطفى بعيو ، وكانت لقاءاتى بهم طويلة وجميلة وممتعة .

ولقيت العديد من الليبيين ، علماء وأدباء ووزراء وموظفين وتجارا ، فرأيت فيهم أمثلة نبيلة لأخلاق أصيلة ، وعزة عريقة ، وشمم وأنفة لاحد لها .

وتعرفت بالكثيرين من أدباء ليبيا ورجال الصحافة والإذاعة فيها ، وشاهدت حماسهم فى سبيل بناء وطنهم ، والعمل من أجل حريته ، ولخدمة ماضيه وحاضره ومستقبله .

وكل هذه الأمور والمشاهد واللقاءات كانت من أكبر الحوافز فى نفسى لكتابة هذا البحث .

وفى البيضاء كان زملاء لى يعملون أساتذة فى كليات الجامعة ، وكان صديق الشيخ محمد أمين هلال ، العالم الأديب المعروف المشرف على تحرير مجلة « الهدى الإسلامى » . وكانت صفوة من الأحباب ، عشت معهم أجمل الأيام وأطيبها .

وفى هذا الجو الرائع كتبت فصول هذا الكتاب ، الذى أقدمه إلى القارىء العربى اليوم ، والذى أتممت مراجعته فى البيضاء ثم فى القاهرة .

— ٤ —

فإلى ليبيا وملكها وشعبها الحر الأبى ، وإلى الأرض الطيبة التى أحببتها وعشت فيها ، وإلى كل من عاونى على كتابة هذه الدراسة ، وإلى كل من أفدت من بحوثهم ودراساتهم وكتاباتهم من ليبيين وغير ليبيين ، وإلى الأخ الليبى حسن الخراز صاحب مكتبة الوحدة فى البيضاء وبنى غازى .

وإلى الأدباء العرب فى كل مكان ، أهدى هذا الكتاب ؟

المؤلف

القاهرة ـ شارع الأهرام ـ فى :
١٢ من ربيع الأول ١٣٨٨ هـ
٨ من يونيو ١٩٦٨ م

هذا الكتاب الذى نقدمه :

الجزء الأول

الآداب الليبية منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية الحكم العثمانى ـ وأعلامها

الجزء الثانى

مولد الأدب الليبي الحديث فى ظلال الدعوة السنوسية ـ مقوماته ـ وفنونه ـ النثر الأدبى ـ أعلامه .

الجزء الثالث

الشعر الليبى الحـــديث وأعلامه ـ التيارات الأدبية فى دول الشمال الإفريقى ، واتجاهات الأدب فيها ـ مصادر الكتاب .



بسم الله الرحمن الرحيم

— ١ —

اجتاحت المغرب العربي الكبير في العصر الحديث جيوش الاحتلال، ووراءها وفود المهاجرين ومحاولات كثيرة لفصله عن العروبة والإسلام وعن الشرق العربي الكبير .

وكان الاستعمار الفرنسي للجزائر وتونس ومراكش والإيطالي لليبيا حجر عثرة في طريق تقدم هذه الأمم العريقة ، وحائلا بينها وبين شعورها بالذاتية والكرامة .. كما صنع الاستعمار الانجليزي في مصر مثل هذا الصنيع .

ونشر الاستعمار في أرض المغرب العربي لغته وثقافاته ، وحاول أن يصد شعوبه عن العربية التي حرم تدريسها في المدارس ، ولولا الزوايا السنوسية في ليبيا ، وجمعية العلماء في الجزائر وما أنشأته من مدارس أهلية تدرس العربية والدين ، وجامعة الزيتونة في تونس ، والقرويين في مراكش، لضاعت اللغة العربية والثقافة العربية من هذه البلاد .

وكانت المدارس الإيطالية في ليبيا والمدارس الفرنسية في تونس ومراكش والجزائر من دعائم الدعاية ضد اللغة العربية والقومية الإسلامية، توجه الكثير من الاتهامات الظالمة إلى الجنس العربي وإلى الإسلام .. وأقوال هانوتو وريتان مشهورة ، وكان رينان يزعم أن الشعوب السامية لا تعرف إلا بالصفات السلبية ، وليست لها ثقافة ولا فنون ولا علوم ، ولم تستطع أن تنشيء الفنون التي تحتاج إلى الخيال .

وتناسى المستعمرون عروبة المغرب العربي وروحه الإسلامية العميقة ،

وطابعه المميز الأصيل ، ونسوا دوره الكبير فى تاريخ الحضارة والنهضات ، والفتوحات العربية الكبيرة التى قام بها أبطال المغرب فى حوض البحر الأبيض المتوسط : سواء فى الجزر . أو فى الجنوب الأوربى المطل على هذا البحر ؛ كما نسوا دور مساجد طرابلس والقيروان ، وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين ، وما خرجت من أعلام مثل سحنون وأسد بن الفرات وابن رشيق وابن شرف وابن عرفة وابن بطوطة والشريف الإدريسى وابن خلدون وغيرهم من أعلام الفكر الإسلامى فى هذه البلاد .

وكان التقاء شعوب المغرب العربى بالإسلام أكبر حدث تاريخى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، بل فى حياة هذه الشعوب نفسها وأصبحت هذه الشعوب عربية مسلمة ، اعتنقت الإسلام إحساسا وشعورا وعقيدة ومثلا ومبادىء وقيما ، واعتنقت العروبة لغة وفكرا وثقافة وفنا وأدبا ، فصارت جزءا لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير ومن الروح العربى الإسلامى الإنسانى ، وامتزجت هذه الشعوب بالإسلام والعروبة امتزاجا كاملا فى كل مجالات الحياة ، وميادين النشاط الإنسانى ، وفى شتى المناحى الروحية والحضارية واللغوية والفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية .

وكانت ثقافات الإسلام وانتصاراته وحضارته ، وكذلك آداب لغة كتابه العظيم وعلومها ، هى الأساس العقلى والثقافى لشعوب هذه البقعة الكبيرة من العالم العربى الفسيح الأرجاء .

وشاهدت هذه الشعوب العريقة ، فى أرض المغرب العربى ، الغزو الفكرى الأوربى ، وقابلته بسخرية وازدراء ، فكان السنوسيون فى ليبيا وعلماء الزيتونة فى تونس ، وجمعية العلماء فى الجزائر ، ممثلة فى شخص عبدالحميد ابن باديس الذى كان يؤكد طابع شخصية الجزائر ، هذا الطابع الإسلامى العربى ، كانوا من طلائع الكفاح ، وحينما كان الفرنسيون قد أوقفوا التدريس

اللغة العربية فى مدارس الجزائر (١) ، كانت جمعية العلماء تفتح المدارس الأهلية فى المساجد . وأحيا ابن باديس(٢) وجماعته الجانب العربى الإسلامى فى الشخصية الجزائرية ، وصنعت جامعة القرويين مثل هذا الصنيع .

وهكذا تصدى التيار القومى العربى للاستعمار ودعاته من غربيين ووطنيين ، وقابل كل الآراء المستوردة من معامل الاستعمار ، والتى تطعن فى العرب والإسلام وفى التاريخ العربى ، قابلها بسخرية عميقة .

وكان أظهر جوانب المقاومة السياسية والدينية والعربية يتمثل فى كفاح ليبيا ضد الاستعمار الإيطالى البائد .

وانتصرت هذه الشعوب ، ونالت استقلالها ، ومحت كل مظاهر الاستعمار السياسى والفكرى من بلادها ، وصارت اللغة العربية مرة أخرى هى لغة التعليم فى هذه البلاد الإسلامية .

— ٢ —

وقد اقترح عثمان الكعاك من أدباء تونس إنشاء موسوعة مغربية ، الأقطار العربية الممتدة من الإسكندرية إلى المحيط الأطلسى ، وذلك لتحرير الثقافة العربية ، وتصحيح أوضاعها ؛ كما دعا إلى تطهير اللسان العربى فى المغرب من الدخيل الأجنبى ، ويتضمن هذا المشروع ما يلى(٣) :

---

(١) يقول عثمان سعدى ، إن الفرنسيين جعلوا تدريس اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون ، ولم يسمحوا إلا بتحفيظ القرآن .

(٢) كان يرى أن اللغة العربية والدين الإسلامى هما أولى مقومات شخصية الجزائر ، وناممت آراؤه على الأساس التربوى ، ونادى بأن الفكر الجزائرى فكر عربى إسلامى .

(٣) راجع مجلة المعرفة السورية عام ١٩٦٤

١ — تحديد منطقة المغرب العربي جغرافيا وحضاريا بالقيام بأبحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقي في كل المجالات .

٢ — التعريف بالأشخاص المغاربة من حيث مهمتهم وإنتاجهم ومنجزاتهم في ميدان البناء والتعمير والسياسة والأدب والعلم والدين، وتقسم العصور إلى تسعة : الحجري - البربري - الفينيقي - الروماني - الوندالي البيزنطي - العربي - الاستعماري - وأخيراً عهد الاستقلال . والترجمة لكل شخص ترجمة جامعة مركزة .

٣ — التعريف بالمواضع والأمكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بإيراد الوصف الحقيقي الجامع والتذييل بالمصادر ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الأسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الأفرنجي .

٤ — ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية) .

٥ — بيان اللهجات المغربية من الأندلسية إلى الليبية .

٦ — بيان العلوم المغربية وتقسيمها إلى دينية ودخيلة وفلسفية وتصوفية وإيرادها على الترتيب الأبجدي مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها .

٧ — بيان المعالم والآثار المغربية بإيراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على أنواعها وأجناسها .

٨ — الترجمة للأدب المغربي في أنواعه : ملحمة - موشح - زجل - مديح - ملزومة - الخ . وفي لغاته (بربرية - بونيقية - لاتينية - عربية - تركية) وفي أمكنته : (أندلس - صقلية - مالطة - الجزائر الخ) وفي رجاله مع الإحالة على أماكنهم الأبجدية وفي أغراضه (تاريخ - تفسير - ونقد - أو وصف) وفي مقارناته تأثراً أو تأثيراً .

٩ — ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتمثيل الخ .

وفى هذا المجال سوف نحاول إبراز الشخصية الليبية العربية فى مجال الأدب على مر العصور والأجيال،هذه الشخصية التى تعد مجهولة أو كالمجهولة فى جميع البلاد العربية ، وبين أدبائها ، فهم حين يذكرون الآداب العربية فى ليبيا أو مايصح أن نسميه الأدب الليبى لايذكرون إلا ماعرفوه من آداب فى ليبيا فى العصر الحديث ، ولا يرددون إلا جملة أعلام حديثة نالت شهرتها الأدبية والثقافية فى آخر العصر التركى ، وفى عصر النضال القومى ضد الاستعمار الإيطالى ، وفى عهد الاستقلال .

وقد أجهدنى البحث خلال العصور والأجيال عن تاريخ الأدب الليبى منذ الفتح العربى الإسلامى لليبيا حتى اليوم ، وحاولت فى هذه الدراسة أن أبرز أصول هذا الأدب وأعلامه ، وأن أقسمه إلى عصور ومراحل ، وأن أتتبعه بالدراسة فى كل عصر وكل جيل ، مستعينا فى ذلك بكل مايمكن أن يفيد من مصادر ومراجع .

والله ولى التوفيق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل ، وماتوفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

المؤلف

ليبيا والليبيون

— ١ —

مامدلول هذا الإسم القريب إلى الأذهان والأرواح « ليبيا » ؟

لقد صار لفظ ليبيا علما علم شعب عربى أصيل ، يتكلم العربية ، ويدين بالإسلام ، ويشاطر إخوانه العرب فى كل مكان آمالهم وآلامهم ، ويتخذ من التراث العربى الإسلامى زاده العقلى والثقافى والروحى، وكذلك يشاطره العرب الحب والشعور بالأخوة والتعاضد والتعاون فى كل مجالات الحياة .

ليبيا العربية المسلمة ، هى بنت الماضى البعيد ، وهى كذلك حاملة راية الإسلام والعروبة فى مختلف العصور والأجيال ؛ وهى موطن لذكريات عزيزة على كل مسلم وعربى، ومسرح لنضال الأبطال العرب فى شتى الأحداث ومواقف الجهاد وميادين البطولة . .

— ٢ —

ورد هذا اللفظ فى « الأوذيسة » ، لشاعر الإغريق القديم « هوميروس » - الذى عاش فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد - علما على إلهة من آلهة « العناية » اختلفت مع زوجها ، فرحت أرضها فى عربة ذهبية إلى أرض نائية نزلت بها ، وخلعت عليها اسمها .. وهذا على نمط الأساطير الإغريقية القديمة التى يطلق عليها وعلى ماشابهها اسم الميثولوجيا .

وفى التوراة اسم « ليابيم » لأنثى الأسد ، ولأرض تكثر فيها السباع . وجاء هيرودوت المؤرخ اليونانى القديم (٤٨٤ - ٤٢٥ ق م) وأخذ يبحث عن أرض السباع فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فلم تكن إلا ليبيا ، ونزلها هيرودوت ووصل إلى جبـــال السوداء فى منطقة

« الجفرة »(١)، ووصفها بأنها كثيرة الأحراش والغابات ، غزيرة المياه والينابيع . وتحدث عن سكانها ، وذكر من قبائلهم « المشواش، اللوتوفاجس، الماساي ، الناساميون » وشاهد كثيراً من حيواناتها ، وسأل عن الأسد فقيل له إنه يتوالد فى تلك البقاع . ولكن العوامل الطبيعية عصفت بلبيبا القديمة وغـــيرت الكثير مما ذكره هيرودوت من جوها وحيواناتها ونباتاتها .

وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين بالمعنى القديم الواسع للكلمة ذوو أصول جنسية مختلفة حتى ليمكن تقسيمهم إلى أربعة شعوب : اثنان منها أصيلان ، والآخران دخيلان ، فالأصيلان هما الجنس الأثيوبى والليبى ، والدخيلان هما الفينيقيون والإغريق(٢) . والجنسان الأصيلان أصلهما فى أغلب الآراء حامى ، والوطن الأصلى للحاميين هو آسيا فى رأى ذائع ، أو أفريقيا فى رأى آخر . .

وقيل إن كلمة ليبيا اشتقت من اسم قبيلة لوبا أو اللواتا ، ثم تغيرت على ألسنة المستعمرين اليونان إلى ليبس ، وقد استعمل الرومان كلمة أفريقيا تمييزا لها عن ليبيا ، وكانت أول الأمر لا تعنى سوى « قرطاجنة » ثم أطلقت على القارة كلها ، ويذهب كاريت إلى أن كلمة بربر حلت محل الليبيين منذ الفتح الإسلامى ، وقد أطلق الجغرافيون العرب اسم بلاد البربر على كل شمال أفريقيا بين برقة والمحيط الأطلسى وإن يكن ابن خلدون ذكر أن أقطار بلاد المغرب كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام(٣) .

أما المؤرخون العرب فنطقوا بالإسم هكذا « لوبيا » . وقالوا إنه نسبة

---

(١) تعرف اليوم باسم الجفارة وهى منطقة زراعية خصبة قريبة من طرابلس.
(٢) ٥٤ ملامح المغرب العربى للشرقاوى والصياد - ١٩٥٩ دار المعارف .
(٣) ٥٥ و ٥٦ المرجع .

إلى « لوبى » بن حام بن نوح عليه السلام (١) .

وقد اتسع لفظ ليبيا قديما فأطلق على شمال إفريقيا من غرب الإسكندرية، ثم ضاق اللفظ حتى أصبح علما على هذا الإقليم ، الشامل لبرقة وطرابلس ، الواقع بين مصر وتونس والجزائر .

— ٣ —

والليبيون القدماء خليط من البربر وبعض العناصر الأخرى الطارئة عليهم من أوربا عن طريق جبل طارق كما يقول كثير من المؤرخين الغربيين ، فهم أخلاط من الآريين والساميين فى رأيهم ، ويذهب كثير من المؤرخين العرب إلى أن الليبيين القدامي من أصل سامى ، ويقولون إن هجرتهم كانت من الجزيرة العربية بعد انهيار سد مأرب ، أو من العراق عقب الطوفان ، أو من الأردن فى أحداث تاريخية قديمة ، والعناصر التى هاجرت إلى ليبيا مرت بمصر وأقامت بها بعض الوقت ، ومن هنا اعتقد بعض المؤرخين المحدثين أن الليبيين القدامى فرع لأصل مصرى (٢) .

---

(١) ويؤكد بعيو ذلك مستدلا بكلام ابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ وابن رستة والمقريزى والسيوطى (١١ دراسات فى التاريخ اللوبى)، وكذلك ذكر بعض الباحثين الإيطاليين فى القرن الثامن عشر أن اسم ليبيا محرف عن لوب بمعنى الحر والعطش فى بعض اللغات السامية — ونحن نعلم أن اللغة العربية تقول : لاب يلوب لوبا ولوابا ، بهذا المعنى نفسه ، وهو الحر والعطش ، ولابت الإبل عطشت عن الماء فلم تجده ، وأرض لواب حرة العطش . ويرى مصطفى بعيو أن « ليبيا » محرفة عن « لوبيا » ص ١٠ دراسات فى التاريخ اللوبى تأليف بعيو .

(٢) مجلة القلم الجديد — تموز ١٩٥٣ — من مقال لمظفر فوزى الأمير من طرابلس؛ ويقول بعض المؤرخين : إن سكان الجهات الداخلية . كاقليم فزان من أصل إفريقى (أثيوبى) ، فهم من الأمم الحامية ، وأطلق عليهم اسم البربر لعجمتهم ، وإن ذهب الكثيرون من نسابيهم إلى أنهم كلهم أو بعضهم من سلائل عربية حميرية =

ومهما كان فقد وفدت على ليبيا عناصر أخرى من الاغريق الذين قدم أكثرهم من كريت في القرن السابع ق م ، ثم عناصر من الرومان التي استولت على طرابلس من أيدي القرطاجنيين عام ١٠٦ ق م ثم استولوا على برقة عام ٩٦ م .

ثم دخلها العرب فاتحين ، وامتزجوا بأهلها ، ونشروا الإسلام واللغة العربية فيها ، ثم جاء العنصر التركي خلال سيادة الخلافة العثمانية ونزلها وكان له السيادة فيها قرونا طوالا ، ثم وفد عليها الأوربيون وخاصة في عهد الاستعمار الإيطالي البغيض .. ومع ذلك كله فقد بقي لليبيا أصلها العربي، وروحها الإسلامية ، وذهب كل شيء فيها ماعدا عروبتها وإسلامها ، فهي دولة عربية دينها الإسلام كما ينص على ذلك دستور ليبيا وقوانينها .

والليبي يعتز دائما بصبغته العربية ، وبعقيدته الإسلامية ، ولا تزال

= أو مضرية .. وأمم البربر أنواع كثيرة ، ولهم لغات لاتحصى ، وهم أهل بدو في معيشتهم لم يخضعوا لأمة من الأمم لشدة شجاعتهم وعصبيتهم .

وقد لاقى العرب منهم الكثير من الأهوال في بدء الفتح الإسلامي ، فقد أسلموا وارتدوا بضع عشرة مرة وغدروا في كل مرة منها بالعرب ، وفتكوا بهم، إلى أن دانوا للإسلام نهائيا في عهد موسى بن نصير وحكمه لأفريقيا في نهاية القرن الأول الهجري ؛ وعززت الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى، والحفصية ، ودولة الأغالبة بافريقيا، روح الإسلام والعروبة فيهم ، وقد انتشرت في أوساطهم بعض المذاهب الإسلامية . كالاعتزال والخوارج الصفرية والأباضية والتشيع ، وقامت بينهم للعلويين دول عربية : كدولة الأدارسة (١٧٢ - ١٧٥ هـ) والدولة الفاطمية وغيرهما . وقد بقيت بعض اللهجات البربرية حتى اليوم بينهم في المغرب ، وخاصة في الجبال والجهات المنيعة من البلاد وفي داخل بعض البلاد كإقليم فزان غير أن هذه اللغة لم تكن لغة قراءة وكتابة وعلم وأدب ، وقد عامل العرب البربر معاملة حسنة . واعتبروهم مساوين لهم في الحقوق والواجبات ، وأشركوهم معهم في الإدارة وقيادة الجيوش ومنهم طارق بن زياد وغيره من القواد .

القبائل العربية فى ليبيا كثيرة معروفة ، وصاحبة نفوذ وسلطان . . ومنها تفرعت البطون والعشائر ، وتناسل أكثر السكان .

— ٤ —

والوطن الليبى يشمل مساحة شاسعة تقارب المليون والسبعمائة ألف من الكيلومترات المربعة ، والحدود الشرقية لليبيا تجاور الحدود الغربية لمصر وشمال السودان ، ومن الغرب تجاور ليبيا تونس، وكذلك جزءا كبيرا من شرقى الجزائر ، وفى الشمال البحر الأبيض المتوسط الذى تقع على شاطئه أهم المدن الليبية ، مثل طبرق ـ درنه ـ بنغازى ـ طرابلس ، ويقع على حدودها الجنوبية بعض أقاليم الجزائر ، وكذلك كل من جمهورية النيجر وجمهورية تشاد .

وفى هذه البقعة المترامية الأطراف يقيم الشعب الليبى البالغ تعداده نحو المليون والنصف من الأنفس ، بينهم عدد قليل من الجاليات الأوربية .

والإقليم الشرقى هو برقة ، والإقليم الغربى هو طرابلس ، وفى الجنوب فزان وأشهر مدينة فيه « سبها » .

وفى طرابلس[1] يقع كثير من الهياكل والقصور الرومانية واليونانية وكذلك فى : صبراته[2] ولبدة[3] مسقط رأس الأمبراطور الرومانى

---

(١) أنشئت طرابلس فى القرن السابع قبل الميلاد، بعد هجرة الفينيقيين إلى ليبيا، حيث أقاموا الأسواق على طول ساحل البحر الأبيض ، وأهمها سوق « أويات » أو « أويا » فى مكان طرابلس اليوم .

(٢) كانت إحدى الاسواق الفينيقية القديمة ، ثم سقطت فى أيدى القرطاجنيين والرومان والبيزنطيين والعرب ، وقد بدأت أعمال الحفر فى صبراته عام ١٩٣٣ ، وكشف فيها عن كثير من الآثار الرومانية وتقع صبراته على ساحل البحر الابيض وتبعد عن طرابلس نحو السبعين من الكيلومترات .

(٣) يسميها الرومان «لبتس ماينا» وتبعد عن طرابلس بنحو ١٢٠ كيلو مترا =

سبتيميوس سافاروس (١٩٣ — ٢١١ م) وفى طرابلس كذلك متاحف عديدة ، منها المتحف الرومانى والمتحف الإسلامى ، أما فى برقة فنشاهد آثار الشحات (١) بهياكلها الجميلة ، وأعمدتها الرخامية الفارعة على الهضبات العالية فوق الجبل الأخضر ذى الخضرة الدائمة طول العام ، والأمطار الغزيرة فى موسم الشتاء والربيع والجو المعتدل فى الصيف ، ومن مدن الإقليم الشرقى البيضاء وسوسة واسمها القديم أبولونيا ، والمرج واسمها القديم برقة وقد أطلق اسم برقة على هذا الإقليم كله .

وتقع مدينة بنغازى القديمة على شبه جزيرة يحيط بها البحر من جهة وملاحة السلمانى من جهة أخرى . وقد تأسست عام ٤٤٦ ق . م . باسم

= إلى الشرق ، وهى قريبة من بلدة الخمس . وقد أنشأها الفينيقيون سوقا تجاريا فى القرن السابع ق م فى منطقة زراعية خصبة ، وباحتكاك الفينيقيين بالسكان الليبيين نشأت لغة عرفت فيما بعد باسم « اللغة البونيقية الجديدة » ، وتداولها القرطاجنيون ثم الرومان ، وفيها ولد الامبراطور سبتيميوس سافاروس عام ١٤٦ م ، وكان سكانها آنذاك نحو المائة ألف ، واضمحلت لبدة بعد تلاشى الامبراطورية الرومانية وغزو الفندال فاكتسحتها الرمال وغطتها .

(١) اسمها الاول « سيرينى أو سيرينيا » وقد أنشأها الاغريق قبل الميلاد بزمن طويل على ساحل برقة واستقروا بها ، فصارت مركزا لنشاط ثقافى كبير ، إذ شيدت فيها المدارس ووفد إليها الطلاب من كل مكان ، وظهر فيها الفلاسفة والادباء والشعراء ؛ وكان فى وسطها المدينة المقدسة والمسرح والمعبد الفخم المخصص لزيوس ، والملعب ويتسع لاربعين ألفا من المشاهدين وحولها تقع الاحياء المخصصة للسكنى . وكانت سيرينيا المدينة المقدسة مدينة أبولوس إله النور والغناء والجمال وقد انهارت عقب انهيار حضارة روما .. ومن المفكرين والفلاسفة الذين ظهروا فى هذه المدينة فى العصر الاغريقى : سينيسيوس (٤٢٠ م) ، واريستبيوس ، وكرنيادس ، وكليماخس ، واراتوستنيس .

يوسبريدس على يد أحد أخوة ملك قورينا ، وبعد ذلك تكون منها ومن قورينا وأبولونيا وبرقة وتوكرة ماعرف فى التاريخ باسم المدن الخمس . وفى عام ٣٤٧ ق . م أطلق على المدينة اسم برنيق .

وكان يحكمها البطالمة آنذاك؛ وهذا الاسم نسبة إلى أميرة بطلمية غدت ملكة واشتهرت بالشجاعة والجمال . وبقيت هذه التسمية طوال العهدين الرومانى والبيزنطى . وجاء الفتح الإسلامى فوجدها مدينة صغيرة ثم تحولت إلى مركز حربى وتجارى .

أما اسمها المعروف حالياً أى بنغازى ، فيعود إلى رجل صالح عرف بسيدى غازى واستوطن فيها عام ١٤٥٠ م . وفى ذلك الوقت أخذ يقطن المدينة أناس نزحوا من مصراته وساحل طرابلس .

وفى عام ١٥٧٨ استولى الأتراك على مدينة بنغازى، ثم حكمها القرمانليون سنة ١٧١١ ، وعادت إلى الأتراك فى ١٨٣٥ ، وفى ١٩١١ أحتلها الإيطاليون وبقوا فيها إلى عام ١٩٤٢ ، وفى تلك الفترة كان الليبيون يجاهدون من أجل الاستقلال وبعد ذلك أصبحت المدينة مقرا للادارة العسكرية البريطانية فى برقة ، وفى عام ١٩٤٩ أصبحت عاصمة حكومة برقة ، ومنذ الاستقلال صارت إحدى عاصمتى المملكة الليبية .

— ٥ —

ونحن إذا ذكرنا « لبدة » و « صابراته » و « طرابلس » وآثارها الشهيرة فى غرب ليبيا (إقليم طرابلس) ، فان : شحات ، وسوسة ، وتوكره ، والمرج ، وبنغازى فى شرق ليبيا (إقليم برقة) ، تقف معها من الجانب الأثرى على قدم المساواة ، أهمية وشهرة .

وأعظم هذه المدن الأثرية على الإطلاق مدينة «شحات» الشهيرة بآثارها الإغريقية والرومانية .

فعلى سفح الجبل الأخضر ، وبين البيضاء ودرنة وسوسة ، تقع «شحات» المدينة الحالمة ، التى خلدها التاريخ ، وروت آثارها الباقية ذكريات المجد الغابر للشعب الليبى العريق .

والجبل الأخضر بارتفاعه الشاهق، وأمطاره الغزيرة ومروجه الخضراء، ومراعيه الواسعة ، يضفى على «شحات» جمالا أخاذا ، ويجعلها أشبه ماتكون بمدينة الأحلام والشعر والخيال ، حتى لتحسبها ـ وأنت تسير فى أرجائها ـ قصورا ، من قصور الفردوس ، أو قطعة حية من مدن «ألف ليلة وليلة» المسحورة ، يقودك إليها خيال شارد ، أو يطير بك نحوها جنى مارد .

وعمر «شحات» اليوم هو ٢٦٠٠ عام فحسب ، فقد أنشئت نحو عام ٦٣١ ق . م ، باسم «قورينة» ، قريبة من شاطىء البحر المتوسط ، وفى موقع فريد ، على ربوة عالية ، وبجوار عين ماء جارية . ومنظر شاطىء البحر ، الذى لايبعد عنها أكثر من ١٨ ك . م ، وهى تطل عليه ، وترنو ببصرها إليه ، منظر فريد بالغ غاية الروعة .

لقد كانت «قورينة» (شحات) أول المدن الإغريقية ، التى شيدها الأغريق فى أفريقية ، قبل الميلاد بقرون . ولا تزال آثارها باقية شاهقة ، تدل على عظمة هذه المدينة وعلى حضارتها القديمة .

كانت المدن الثلاث الفينيقية : صابراته ، واويا (طرابلس) ولبدة ، التى أنشأها القرطاجيون ، فى غرب ليبيا ، فى القرن التاسع قبل الميلاد ، قد طارت شهرتها ، وازدهرت حضارتها ، ونمت تجارتها ، وأصبحت قبلة الأنظار .

وفى القرن السابع قبل الميلاد ، كان الإغريق القدماء يعيشون فى ظلال تنافس شديد بين المدن الإغريقية المستقلة ، وكان هذا التنافس عاملا رئيسيا

فى نشوب الحرب بين بعضها والبعض الآخر من جانب ، وسببا كذلك فى ازدهار الحضارة الإغريقية من جانب آخر ، لأن كل مدينة كانت تنافس أختها فى تشجيع العلوم والفنون والآداب . وضاقت هذه المدن الإغريقية بسكانها ، وأخذت موارد الإنتاج فيها تقل يوما بعد يوم ، ولأن الإغريقيين يحبون المغامرة ، ولهم ولع بركوب البحر ، ولاضطرار بعضهم إلى الفرار من وجه خصومهم السياسيين ، لذلك خرجت جماعات منهم تبحث عن بقعة هادئة خصبة حول شواطىء البحر المتوسط ، رغبة فى الاستقرار بها ، وتلتهم جماعات وجماعات ، واستوطن هؤلاء وهؤلاء فى جزر بحر إيجة وعلى شواطىء الشام ومصر ، وأنشأ هؤلاء المهاجرون مدنا إغريقية فى مواطنهم الجديدة ، وعاشوا فيها كما كانوا يعيشون فى بلادهم الأصلية ، يتكلمون الإغريقية ، وينشرون فيها حضارة بلادهم القديمة .

وفى عام ٦٣١ ق . م . هاجرت جماعات من جزيرة يثرا اليونانية (سانتورين حاليا) الواقعة جنوبى بحر إيجة ، وركبوا البحر ، بقيادة مغامر منهم اسمه « باتوس » قاصدين ليبيا ، ونزلوا فى إقليم برقة ، فرحب بهم الليبيون ، وتخيروا لهم فى بلادهم موقعا فريدا نزلوا فيه ، وشيدوا عليه أول مدينة إغريقية فى الشمال الإفريقى ، سموها قورينة (شحات) ، وكان موقعها أكثر شبها بمواقع مدنهم اليونانية .

وفى هذه المدينة بدأ الإغريق حياتهم الجديدة فى ليبيا بقيادة زعيمهم باتوس الذى اختاروه ملكا لمدينتهم ، وأخذ يحكمهم حكما عادلا مستنيرا طوال أربعين عاما .. وفى آثار (شحات) مقبرة الملك باتوس الدائرية الشكل وحولها عدد كبير من المقابر الإغريقية ذات الأشكال المختلفة .

امتزج الإغريق بالليبيين ، وأصهروا إليهم ، وتعاونوا معهم فى كل شئون الحياة ، وأخذت المدينة الجديدة تنظم نفسها على غرار المدن الإغريقية

فى اليونان ، سواء فى الحكم ، أو فى المعيشة ، ونظام الحياة . . ومد باتوس الطرق إلى قورينة ، وشيد لها ميناء قريبا منها على شاطىء المتوسط هو ميناء أبولونيا (سوسة الآن) فازدهرت هذه المنطقة وشملتها الحضارة فى الشمال الإفريقى .

وتوالت الهجرة الإغريقية إلى المدينة . فكثر سكانها ، وخرج فريق منهم ، فانشأوا مدينة جديدة فى الجنوب الغربى من قورينة ، سموها برقة (المرج) ، وأصبحت بعد قليل كذلك من مراكز الحضارة الإغريقية فى ليبيا . . ثم أسسوا « يوسبير يديس » (بنغازى الآن) لتكون ميناء تجاريا لبرقة . كما أنشأوا مدينة خامسة على شاطىء المتوسط سموها توخيرا (توكرة الحالية) ، فأصبح إقليم برقة كله يسمى إقليم المدن الخمس ، ونمت وازدهرت هذه البقعة الفسيحة الممتدة كما نمت مدنها نموا مطردا ، حتى أصبحت من مراكز الحضارة فى شمال إفريقية .

كانت كل مدينة من المدن الخمس مستقلة بحكومتها ونظامها الإدارى ، الذى اقتبسته من نظام المدن اليونانية . وكان أكثر سكانها من الإغريق ، وأقليتهم من الوطنيين ، وقد اندمج الوطنيون من سكان هذه المدن فى الحياة الإغريقية ، وشاركوا الإغريق فى حضارتهم ، فظهرت فى هذه الرقعة الآهلة من الأرض حضارة مشتركة ذات طابع إغريقى ، وانفردت قورينة من بينها بشهرة كبيرة ومنزلة ممتازة ، إذ كانت أعظم المدن الإغريقية فى المنطقة كلها ، وأقدمها تأسيسا ، وتولت أسرة باتوس الحكم فيها نحوا من مائتى عام (٦٣١ – ٤٤٠ ق . م) ، وكان نظام الحكم فيها ملكيا وراثيا فى الأسرة المالكة ، ويعاون الملك مجلس شيوخ ومجلس قضائى .

وظلت قورينة محافظة على استقلالها حتى جاء عصر البطالسة ، فحدث نزاع بين المدن الإغريقية فى ليبيا ، والتجأ بعض حكام هذه المدن إلى مصر

يطلبون مساعدة ملكها بطليموس الأول لهم ، وبعث بطليموس معهم جيشا بقيادة (أوفيلاس) ، فوطد الأمر لهؤلاء الأصدقاء ، ثم ضم الإقليم كله إلى مصر ، وفي عام ٣٢٢ ق . م زار بطليموس قورينة ، واحتفى به أهلها ... ومنذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد قام اتحاد بين المدن الخمس ، وأصبحت المنطقة كلها تعرف باسم (بنتابوليس) .

وفي متحف شحات نسخة من الدستور الذي منحه بطليموس لمدينة قورينة ، وهي منقوشة باللغة الإغريقية على لوحة حجرية مستطيلة .

بذل الإغريق كل جهودهم لرفعة شأن قورينة ، وإعلاء مكانتها ، وتنمية حضارتها ، فصارت منارا عاليا يرسل أنواره إلى كل مكان ، ومركزا خطيرا من مراكز الثقافة الإغريقية على شواطىء البحر المتوسط ، وازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب ، كما ازدهرت حياتها الحضارية والاقتصادية ، وظهر من أبنائها عدد كبير من الفلاسفة والعلماء والأدباء والشعراء ، الذين ذاع صيتهم في كل مكان .

ومن أشهر فلاسفتها (ارستيبوس) ، الذي أسس مدرسة فلسفية كبيرة فيها ، وتجمع حوله تلامذته وأتباعه الكثيرون ، ومنهم ابنته التي علمها عقائده الفلسفية لتخلفه في تزعم مدرسته ونشر مذهبه الفلسفي .

ومن أشهر شعرائها كاليماخوس الذي كان من أساتذة الأدب وسدنته في عصره ، وكان عالما كبيرا من علماء اللغة والنحو ، واختاره بطليموس الثاني ملك مصر أمينا عاما لمكتبة الإسكندرية ، فظل في هذا المنصب حتى عصر بطليموس الثالث ، وكان بالإضافة إلى عمله الرسمي شاعر العهد البطلمي (أو البطلسي) .

ومن علماء قورينة المشهورين (أرستيبوس) الذي خلف أستاذه

كاليماخوس فى منصب أمين مكتبة الإسكندرية ، وهو من أعظم الجغرافيين القدامى ، وقد نجح فى قياس محيط الكرة الأرضية قياساً لم يختلف كثيراً عن القياس العلمى الذى توصل إليه العلماء بعد ذلك .

خصص الإغريق فى قورينة الأماكن المجاورة لعين أبولو للأغراض الدينية ، ولهذا شيدوا حولها عدداً كبيراً من المعابد للآلهة الإغريقية ، ومن بينها معبد أبولو ، ومعبد أرطميس ، وجددت هذه المعابد فى عهد البطالسة (أو البطالمة) وزيدت عليها معابد لآلهة أخرى ، كمعبد الإله زيوس كبير آلهة الإغريق .

وشيدوا فيها مسرحاً لعرض التمثيليات عليه ، وآثاره باقية فيها حتى اليوم ، كما شيدوا أسواقاً عامة ونادياً رياضياً للشباب ، وعدداً كبيراً من الإدارات الحكومية ، ولا تزال مقبرة الملك باتوس وكثير من المقابر الإغريقية باقية حتى اليوم ، ومن آثار شحات (قورينة) التى يراها الزائر لها : الينابيع ، والساحة والمجمع ، وهياكل بعض المعابد ، وغير ذلك من الآثار النفيسة .

وهكذا نمت المدينة وتقدمت فى العلوم والمعارف والفنون ، وأقيمت فيها الأبنية الجميلة ، والمنشآت العامة ، من حمامات وملاعب ومسارح ومعابد ، وقد زار هيرودوت المؤرخ اليونانى الكبير هذه المدينة ، وتحدث عن معالم نهضتها ، ومما كتبه وهو يقص مشاهداته فيها « إن نساء قورينة الإغريقيات حرمن على أنفسهن أكل لحم البقر ، كما تفعل الليبيات تماما ، مشاركة لهن فى شعورهن الخاص ، واشتركن معهن كذلك فى احترام الآلهة إيزيس ، وفى الأعياد الوطنية ومواسم الصيام » .

ونما النشاط الزراعى فى قورينة ، فأنتجت أراضيها الزيتون ، والقمح والكروم ، كما امتدت مراعيها الوافرة الكلأ ونشطت تجارتها ، وأصبحت مركزاً تجارياً مهما لتصدير القمح والزيتون والخيول إلى اليونان ، وكانت تصدر كذلك إليها السلفيوم ، وهو نبات طبى له قيمة كبيرة ، وكان ينبت على حافة

المراعى ، ويستخدم فى العقاقير الطبية والروائح العطرية ، ولأهميته كانت تطبع صورته على النقود فى قورينة ، وقد انقرض الآن ، وكانت كذلك تصدر الذهب والعاج ونباتات وسط إفريقية إلى شواطىء البحر المتوسط .

وبعد حكم البطالسة بسط الرومان سلطانهم على إقليم طرابلس ، ثم على إقليم برقة ابتداء من عام ٩٦ ق.م ، وهاجر كثيرون من الرومانيين إلى قورينة ، وأثروا ثراء كبيراً ، وأقاموا المبـــانى الفخمة ، والمنشآت الضخمة ، كالحمامات الكبرى والمسارح المدرجة والملاعب وأقواس النصر ، والتماثيل الجميلة ، واقتبسوا الكثير من ألوان الحضارتين الفينيقية والإغريقية ، وزادوا عليها العديد من مظاهر الحضارة فى شتى فنونها ، ومما أنشأوه الحمامات الساخنة الجميلة التى فرشت أرضها بالفسيفساء ، وكذلك مسرح جديد يشاهد السكان فيه مصارعة الحيوانات المفترسة .

دمر كثير من هذه المبانى الرائعة فى ثورة اليهود فى قورينة عام ١١٥م ، وقد قضى الرومان على الثورة بشدة وقسوة .

وكان فى قورينة وغيرها أيام الرومان كثير من المدارس يتعلم فيها أبناء البلاد العلوم والفلسفة والآداب ، وكان بعضهم يتم علومه فى روما ، ويحصل على أعلى المراكز فى الامبراطورية الرومانية ، ومنهم (سبتيموس سيفيروس) (١٤٦ — ٢١١ م) وقد تولى منصب الامبراطور فى روما عام ١٩٣ م ، وهو لبى من لبدة بإقليم طرابلس ، وله تمثال فى ميدان الشهداء بطرابلس .

ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ م إلى شرقية وغربية ، وضعفت الغربية ثم سقطت عام ٤٧٦ م ، خضعت قورينة للحكم البيزنطى (حكم الامبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة ـ القسطنطينية) منذ عهد جستنيان عام ٥٢٣ م ، وظلت تحت الحكم الرومانى إلى أن فتحها عقبة بن نافع عام ٦٤٣ م ، فدخلت قورينة تحت الحكم الإسلامى .

إن آثار قورينة (شحات) آثار فريدة ، وقد بقى الكثير منها يناطح الزمن ، ويشير إلى حضارة قديمة ترعرعت فى ليبيا منذ عشرات القرون .

وفى متحف الشحات مجموعات كبيرة من التماثيل الإغريقية والرومانية .

ويزور الشحات ومتحفها كل يوم مئات من السائحين من مختلف الدول ، وفى المدينة فندق بنى حديثا على الطراز الرومانى . وفيها الكثير من معالم هذه الحضارة القديمة التى بقيت آثارها شاهدة عليها .

— ٦ —

وهكذا نرى أثر الفينيقيين والإغريق ، والرومان فى التاريخ الليبى القديم واضحا .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر عام ٢٠ هـ — ٦٤١م أرسل جيشا إسلاميا لفتح ليبيا ، فاستولى الجيش على برقة ثم طرابلس ، وصنع بعده عبد الله بن سعد بن أبى سرح صنيعه ، وكذلك عقبة بن نافع ، وبذلك خضعت ليبيا لحكم الإسلام والعرب من عام ٢٢ هـ / ٦٤٣م ، وإن قام الروم والبربر بثورات وحروب كثيرة لطرد العرب والمسلمين من ليبيا ، وانتهت كلها بالفشل .

ففى عام ٥٠ هـ فى عهد معاوية أخضع عقبة بن نافع شمال إفريقيا وهزم الروم وأسس القيروان عام ٥٣ هـ (٦٧٢ م) ، وقتل عقبة فى حروبه مع البربر فخلفه زهير بن قيس عام ٦٢ هـ ، الذى قتله البربر أيضا ، ثم أكمل موسى بن نصير فتح الشمال الإفريقى كله ، وبذلك خضع البربر لحكم العرب نهائيا(١) ، وهاجرت قبائل عربية كثيرة من جزيرة العرب إلى ليبيا ،

---

(١) من أعلام الفتح الاسلامى لليبيا : عبدالله بن سعد بن أبى سرح الذى تولى مصر فى خلافة عثمان وهو أخوه رضاعا ، ثم فى عهد معاوية من عام ٤٣ حتى عام ٥٥ هـ ، ودفن فى عسقلان بالشام ، وهو الذى تم على يديه فتح المغرب ، ومنه ليبيا ، وله ضريح باسمه فى واحة « أوجلة » ببرقة ، ومنهم كذلك عقبة بن عامر الجهنى =

وأصبحت السيادة فيها للعنصر العربي الذى نشر الإسلام واللغة العربية فى ربوعها بالتدريج .

وخضعت ليبيا لحكم الامويين ثم العباسيين وتعاقب عليها الولاة العرب الذين أكدوا سيادة العرب فى ليبيا . ومن حيث كان الشعب الليبى فى القديم يعيش فى عزلة داخل بلاده ، وتعيش العناصر الأجنبية الوافدة عليه فى الشواطىء ، الفينيقيون فى الشواطىء الغربية والإغريقيون فى الشواطىء الشرقية ،وخلف هؤلاء وهؤلاء الرومان ، فإن العرب اندمجوا بالشعب الليبى اندماجا تاما ، ولم يمض قرن على فتح العرب لليبيا حتى صار الفاتحون ليبيين وصار الليبيون عربا فى الدين واللغة والثقافة ، وأصبح الجميع شعبا واحدا له قوميته العربية الإسلامية ، وله ميوله الحضارية والإنسانية ، ويقطن أرض بلاده شواطئها وجبالها ووديانها وصحراءها وكل مكان فيها ، معتزا بهذه الروابط الكبيرة بين إخوانه فى الدين واللغة والجوار . .

= ومعاوية بن خديج الكندى (٥١ هـ)، ورويفع بن ثابت الأنصارى (٥٦ هـ) ، وعقبة ابن نافع الفهرى (٦٣ هـ) (١ : ٩٢ حسن المحاضرة ، ١ : ٤١ المنهل العذب) ، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان، وخالد بن ثابت الفهرى ، ومسلمة بن مخلد الأنصارى ، وزهير بن قيس (٦٩ هـ) وحسان بن النعمان الغسانى وهو أول من دخل أفريقية من أهل الشام فى زمن بنى أمية (راجع ص١٣ وما بعدها الدرر السنية الإمام السنوسى)، وقد حكم افريقية من عام ٧٦ هـ ، وتوفى حسان عام ٨٩ هـ .

اللغة العربية فى ليبيـــا

فى عهد الولاة الأمويين والعباسيين

٤١ — ١٨٤ ﻫ

النشاط العربى فى ليبيا فى هذا العهد

— ١ —

أخذت القبائل العربية بالتدريج تهاجر إلى أرض ليبيا والمغرب العربى[1] الكبير كله ، وبدأ العنصر العربى يكثر فى هذه البلاد بالتدريج ، ولا سيما بعد استقرار الفتح الإسلامى فيها منذ عهد موسى بن نصير وما تلاه من حكم الأغالبة ثم الفاطميين ، وأخذت طرابلس[2] تتصدر مدن ليبيا العربية ،

---

(١) يقسم المغرب العربى إلى ثلاثة أقسام :

ا — المغرب الأدنى أو أفريقية ، ويشمل بلاد طرابلس وتونس .

ب — المغرب الأوسط ، ويشمل بلاد الجزائر .

ج — المغرب الأقصى وهو مراكش .

وكانت أرض المغرب فى أحيان كثيرة تابعة للوالى العربى فى مصر ، وبعد إنشاء القيروان واستقرار الفتح صارت ولاية إسلامية مستقلة الشخصية يتولى أمورها وال من قبل دمشق أو بغداد ، وقد اتخذ العرب مدينة القيروان مركزا إداريا ، وأنشأوا بها الدواوين المختلفــة ، وعينوا العمال للإشراف على شئون الولاية ، وبنى حسان بن النعمان مدينة تونس ميناء لها يحل محل مدينة قرطاجنة .

(٢) أما مدينة برنيق فاختفت كمدينة قائمة بذاتها على إثر الفتح العربى واختفاء المجتمع الإغريقى الرومانى أمام العرب الزاحفين ، وظلت مهجورة ، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى فى القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) عندما عادت إليها الحياة من جديد بوفود الجماعات إليها من مهاجرى وتجار مدن الساحل الطرابلسى ، وكان من بينهم أولئك الذين أتوا من مدينة مسراتة ، وقد تزايد عددهم على مر الأيام حتى اليوم ، إذ نرى فيها أحياء مأهولة مماثلة للقرى المسراتية فى موطنها الأصلى الذى نزحت منه ، وشوارع تحمل أسماء قرى معروفة فى مدينة « مسراتة » ، وهؤلاء المهاجرون هم الذين أحيوا مدينة « برنيق » من جديد ، تحت اسم بنيغازى . أما مدينة درنة فإنها بقيت بعد الفتح العربى قائمة ، =

وتكثر فيها الحلقات العلمية والمدارس ، وتقام فيها المساجد والأبنية العربية المختلفة ، ويفد إليها العلماء المسلمون من المشرق ؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، يعلمون الناس القرآن وفرائض الإسلام ، كما يعلمونهم العربية لغة الكتاب الكريم وكذلك قامت القيروان في تونس عام ٥٣ هـ مركزاً إسلاميا وثقافيا كبيراً في المغرب الأدنى ، كما قامت تونس عام ٧٨ هـ ، وفاس عام ١٨٨ هـ .

وصارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في السياسة والعلم والأدب في ليبيا ، بها يتكلم العرب الفاتحون ، ويتعلمها السكان الأصليون في الوطن الليبي بالتدريج ، وصار للعرب وللغتهم النفوذ الأعلى في هذه البلاد التي سادتها مظاهر الحضارة العربية .

أخذ السكان الأصليون بأسباب الحضارة الإسلامية ، وزاد تعلقهم بدين العرب ولغتهم ، واندمجوا شيئا فشيئا في العنصر العربي ؛ وكان لدعوة الخوارج والمعتزلة والأباضية والتشيع التي سادت بين القبائل البربرية أثر عظيم في انتشار الإسلام واللغة العربية ، ولما تولى خلافة المسلمين عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ : ٧١٧ — ٧١٩ م وجه عنايته إلى نشر الإسلام في المغرب ، والتمكين للغة العربية فيه ، فأرسل جماعة من مشاهير التابعين لأداء هذه المهمة ، وبناء صرح المغرب الإسلامي ، فأسسوا المساجد في سائر أنحاء البلاد لنشر الإسلام في ربوعها ، وأنشأوا الكتاتيب لتعليم اللغة العربية (١) . قامت مساجد كثيرة في طرابلس ، كما بني جامع الزيتونة

= وإن نمت بعد هجرة المصراتيين إليها في القرن الخامس عشر الميلادي (راجع ٩٨ و ٩٩ دراسات في التاريخ الليبي لبعيو) .

(١) راجع ٢ : ٢٩٧ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف .

فى تونس عام ٧٩ هـ فى ولاية حسان بن النعمان(١) ، كما بنى مسجد القيروان من قبل عام ٥٣ هـ (٦٧٣ م) وقامت فاس عام ١٨٨ هـ ، ثم قام مسجدها مسجد القرويين بفاس ٢٤٥ هـ ، وغيرها من المساجد الكبرى ، التى صار الكثير منها جامعات ومدارس إسلامية .

ومع ذلك كله فقد كانت سيادة اللغة العربية فى المدن الكبرى ، التى تنتظم المدارس والجامعات والمساجد وعواصم الملك . أما خارج هذه المدن ، فأكثر السكان من البربر الذين تسودهم اللهجات البربرية . والذين لم يتعود لسانهم العربية بعد ؛ ولم يستطيعوا النطق بها (٢) ، ولشدة العجمة فى ألسنتهم ، لم يجيدوا العربية إلا بعد زمن طويل ، وقد ضرب ابن خلدون المثل بالبربر فى قلة استفادة الأعجمى من اللسان العربى ، إذ كان معرقا فى العجمة ، قال : « وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق فى العجمة ، وأبعد عن لسان مضر ، قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية ، وحصول ملكتها ؛ لتمكن المنافاة حينئذ ؛ واعتبر فى ذلك أهل الأمصار ، فأهل إفريقية والمغرب ، لما كانوا أعرق فى العجمة ، وأبعد عن اللسان الأول ، كان لهم قصور تام فى تحصيل ملكته بالتعليم » ، وهنالك أمثلة كثيرة لفساد البلاغة فى نفوس البربر ، وقلة درايتهم بأسباب فصاحة الكلام العربى ، وعدم استطاعتهم التجويد والبيان فيما ينشئون من أدب(٣) ، ومع ذلك فقد نبغ من بين البربر

---

(١) صار بعد خمس وثلاثين سنة من إنشائه (أى عام ١١٤ هـ) معهدا علميا يدرس فيه العلوم الإسلامية والعربية .

(٢) راجع ٢ : ١٧٣ الأدب العربى وتاريخه لمحمود مصطفى ، ٢ : ٣٣٧ قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف .

(٣) ٢ : ٣٣٧ و ٣٣٨ قصة الأدب فى الأندلس ، وذكروا أن يوسف بن تاشفين فيما بعد لما حضر إلى الأندلس رغب الشعراء عن مدحه ، ولم يرضوا بالتقدم إليه ، لعلمهم بمكان الأدب من نفسه ، حتى رجاهم المعتمد فدحوه ، =

بعض الشخصيات التى أثرعنها أرفع النماذج الأدبية ، ومن بين هؤلاء طارق ابن زياد البربرى ، الذى أثرت عنه خطبة مشهورة فى أثناء الفتح العربى للأندلس عام ٩٢ هـ : ٧١١ م، وهى كما وردت فى كتب التاريخ والأدب ، وكما جاء فى رواية « نفح الطيب للمقرى » ، ووفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة موسى بن نصير ، قال طارق ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد ، ورغب فى الشهادة (١) :

« أيها الناس : أين المفر (٢) ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق(٣) والصبر . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة(٤) اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ،

= وبينما كان الشعراء ينشدون ، قال له المعتمد : هل يعلم أمير المسلمين مايقولون ؟ قال لا أعلم ، ولكنهم يطلبون الخير . ولما انصرف يوسف إلى حاضرة ملكه ، كتب المعتمد له رسالة فيها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكمو أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضا ليالينا

فلما قرىء عليه هذان البيتان ، قال للقارىء : يطلب منا جوارى سوداً وبيضاً ؟ فقال القارىء : لا يا مولانا ! ، ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهاراً ، لأن ليالى السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلا ، لأن ليالى الحزن سود ، فقال : والله جيد ! اكتب له فى جوابه : « إن دموعنا تجرى عليه ، ورءوسنا توجعنا من بعده » ، وهذا ملك ، وذلك هو شأنه حتى فيما بعد ، فى قلة حصول ملكة العربية وبلاغتها فى نفسه .

(١) راجع ١ : ٣٤٢ قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف .

(٢) اسم مكان ، أى موضع الفرار ، وقيل إنه يجوز فيه كسر الفاء على القياس .

(٣) الصدق : البسالة فى الحرب .

(٤) بفتح الدال وضمها : الطعام يصنع لدعوة .

وأسلحته وأقواته موفورة (١) ، وأنتم لاوزر (٢) لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ماتستخلصونه من أيدى عدوكم . . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهب ريحكم (٣) ، وتعوضت القلوب من رعبها الجراءة (٤) عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم ، بمناجزة (٥) هذا الطاغية (٦) ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ؛ وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن ، إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمراً أناعنه بنجوة (٧) ، ولا حملتكم على خطة ـ أرخص متاع فيها النفوس ـ أربأ (٨) ، عنها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا ، استمتعتم بالأرفه (٩) الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فما (١٠) حظكم فيه أوفر من حظى . .

وقد بلغكم ماأنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات الرومان ،

---

(١) كثيرة .

(٢) الوزر : بالتحريك ، الجبل المنيع ، وكل معقل ، والملجأ ، والسلاح لأنه يعصم صاحبه ، والوزير من الوزر (بالكسر فالسكون) وهو الحمل الثقيل ، لأنه يحمل ثقل الأمر ويعين الملك برأيه ، أو من الوزر (بالتحريك) لأن الملجأ إليه فى التدبير .

(٣) من معانى الريح المجازية : الغلبة والقوة والدولة ، والريح تذكر وتؤنث .

(٤) من جرؤ بمعنى شجع .

(٥) المناجزة : المقاتلة .

(٦) ملك النصارى .

(٧) أى ببعد ، والنجوة المكان المرتفع .

(٨) من ربأ كمنع بمعنى ارتفع .

(٩) من رفه عيش الرجل إذا لان .

(١٠) فى رواية « النفح » : فما ، والمعنى عليها لايستقيم .

الرافلات فى الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان(١) ، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك(٢) ، أمير المؤمنين ، من الأبطال عزبانا(٣) ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا(٤) ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، وإسماحكم(٥) بمجالدة(٦) الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ؛ والله تعالى ولى إنجادكم على مايكون لكم ذكراً فى الدارين ..

واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم إليه ، وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم (لذريق)(٧) ، فقاتله إن شاء الله تعالى ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ؛ وإن هلكت قبل وصولى إليه ، فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهم(٨) من فتح الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون » .

---

(١) الذهب .

(٢) هو الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ ه : ٧٠٥ - ٧١٥ م) الذى كان فتح الأندلس فى عهده وبأمره بقيادة واليه على إفريقيا موسى بن نصير .

(٣) جمع عزب (بالتحريك) وهو من لازوج له . ويصح أن يكون جمع عاذب . أوجمع عزيب ؛ أو أعزب على القول بوجوده .

(٤) الصهر : القرابة ، وزوج بنت الرجل أو أخته ، والختن (بالتحريك) : الصهر ، أو كل ماكان من قبل المرأة كالأب والأخ .

(٥) من سمح الرجل كمنع ، وأسمح ، بمعنى جاد وكرم . أما سمح بضم الميم فمناها صار من أهل السماحة .

(٦) المجالدة : المضاربة بالسيوف .

(٧) هو ملك الأسبان أثناء الفتح الإسلامى .

(٨) بمعنى أزيحوه وأبعدوه عن أنفسكم .

وكما تدل هذه الخطبة البليغة على الحنكة السياسية والعبقرية العسكرية ، تدل أيضا على تمكن البلاغة من نفوس بعض أهل البربر ، الذين تعلموا البلاغة العربية وبدأوا يتذوقونها ؛ وهؤلاء قليلون جداً ، فلا يصح أن ينسب فضلهم إلى بيئتهم ، وإنما ينسب إلى امتياز ملكتهم ، بما وهبهم الله من خصائص فى الإدراك ، وإلى ظروف أخرى أحاطت بهم(١) ، كتربيتهم فى بيئة عربية إسلامية منذ الطفولة .

ويرتاب بعض الباحثين فى هذه الخطبة لأن كثيرا من المتقدمين لم يشيروا إليها ، فلم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذرى ، وهما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية ، ولم تشر إليها المصادر الأندلسية المتقدمة ، ولا ابن الأثير وابن خلدون (٢) ، وهذا الشك ليس بمستساغ مادامت الخطبة قد وردت فى أكثر من مرجع ومن بين مصادرها وفيات الأعيان لابن خلكان ونفح الطيب للمقرى ، وغيرهما .. وهذه الخطبة لاضير إن عددناها من نماذج الأدب العربى فى ليبيا العربية . .

— ٢ —

وبانتشار الإسلام واللغة العربية فى ليبيا ، أخذت الثقافة العربية الإسلامية فى الظهور ، وكانت الصبغة الغالبة على العلماء هى الصبغة الدينية ، والثقافة الذائعة فى البلاد هى ثقافات الشريعة وعلومها ، وكان لمذهب مالك السيادة الروحية فى هذه البلاد ، التى عنيت بعلوم القرآن والحديث والفقه عناية فائقة ، وأخذ سكانها الفقه عن صاحب مالك ابن قاسم المصرى . ومن علماء الفقه المالكى فيما بعد أسد بن الفرات (٢١٣ هـ) مفتى الجماعة بالقيروان زمن الأغالبة (٣) ،

---

(١) ٢ : ٣٣٨ قصة الأدب فى الأندلس .

(٢) ١ : ٣٤٦ المرجع نفسه .

(٣) للأستاذ على مصطفى المصراتى كتاب مطبوع عنوانه « أسد بن الفرات فاتح صقلية » .

وتلميذه سحنون (١) (٢٤٣ هـ) . الذى نقل مدونة الفقه التى رواها ابن قاسم عن مالك ولخصها ابن أبى زيد القيروانى . وعنهم انتشر مذهب مالك فى ليبيا وفى المغرب كله، إلا فى فترات كان يروج فيها فقه الشيعة أو الخوارج(٢) والاباضية من بينهم خاصة .

- ٣ -

وكان النفوذ العباسى فى ليبيا والمغرب ضعيفا ، لبعدها عن السلطة المركزية فى بغداد، ولقوة الخوارج فى هذه البلاد واستعانتهم بالبربر ، ومن أجل ذلك تمكن الادارسة من تأسيس دولتهم فى المغرب الأقصى (١٧٢هـ - ٣٧٥ هـ) ، ثم استقل الأغالبة فى تونس وليبيا وشرقى الجزائر منذ ولى أمور هذه البلاد إبراهيم بن الأغلب عام ١٨٤ هـ .

بل إن محمد بن الأشعث الذى تولى حكم هذه البلاد فى عهد المنصور العباسى خرج عن طاعة الخليفة المنصور ، وحاول الاستقلال بأفريقية ، فعزله الخليفة وولى مكانه الأغلب بن سالم وهو أبو إبراهيم بن الأغلب

---

(١) راجع ١ : ١١٧ المنهل العذب ، وكان يدرس بأجدابية ثلاث سنين ، وقال سحنون : سمع أهل أجدابية منى العلم سنة ١٩١ هـ (١ : ١١٧ المنهل العذب) ، وقد ضرب بنو سليم وبنو هلال مدينة أجدابية عام ٤٤٤ هـ (راجع ١ : ١١٦ المنهل) .

(٢) كان من أعظم المؤيدين فيما بعد لفقه الإمام مالك فى ليبيا وأنحاء المغرب كلها المعز بن باديس الذى قضى على الفقه الشيعى فى هذه البلاد بعد أن خلع طاعة مصر وخلفائها من الفاطميين .. وقد انتقل فقه الإمام مالك كذلك إلى الأندلس على أيدى تلامذة مالك ومنهم يحيى بن يحيى بن كثير الليثى (المتوفى بقرطبة عام ٢٣٤ هـ) وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمى ، ومنهم كذلك عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى (١٧٤ - ٢٣٨ هـ) وكان من كبار فقهاء مذهب مالك : ومنذر بن سعيد البلوطى (٣٥٦ هـ) .

مؤسس دولة الأغالبة ، وذكر ابن الأثير أن الأغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة التميمي كان من دعاة أبي مسلم الخراساني وقواده ، ثم جاء إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث ، وقدم الأغلب بن سالم القيروان عام ١٤٧ هـ إلا أن البربر وأنصار ابن الأشعث من القواد العرب قتلوه عام ١٥٠ هـ ، وقبره في القيروان معروف يعرف بقبر الشهيد ، فولى المنصور والياجديدا على هذه البلاد هو عمر بن حفص المهلبي عام ١٥١ هـ ،وظلت ثورات الخوارج في هذه البلاد ضد الحكم العباسي قائمة ، فبعث الرشيد قائده هرثمة بن أعين على رأس جيش ضخم إلى إفريقيا عام ١٧٩ هـ للقضاء على ثوراتهم ففشل في ذلك ، وأخيرا ولى الرشيد إبراهيم بن الأغلب حكم هذه البلاد فأسس دولة الأغالبة فيها (١٨٤ - ٢٩٦ هـ) ، واستقلت ولايات كثيرة عن الخلافة العباسية وأكثرها من الخوارج الذين تحالفوا مع البربر ، ومنها ولاية تاهرت [1] (١٣٧ - ٢٩٧ هـ) ، وولاية سجلماسة (١٦٧ - ٢٥٧ هـ) ،وولاية تلمسان وغيرها من ولايات المغرب ، وأكثر هذه الدول المستقلة عربية يحكمها أمراء عرب ، يعملون ماوسعهم الجهد على نشر الإسلام واللغةالعربية في بلاد المغرب كله ، ويتنافسون فيما بينهم على تشجيع العلماء وتقريب الأدباء والشعراء إليهم ، وبذلك أثمر هذا الخلاف السياسي الشديد قوة وازدهارا للغة العربية وآدابها في هذا العهد .. كما حدث للأدب في العصر العباسي الثاني حين نشأت الدول المستقلة ، وتنافست فيما بينها على تشجيع الأدب ورعاية

---

(١) كانت مدينة تاهرت مركزا كبيرا من مراكز المعتزلة في المغرب العربي ، ويذكر ياقوت أن عددهم في تاهرت كان نحو ثلاثين ألف بيت (معجم البلدان ـ مادة تاهرت) ، وكان المعتزلة منذ القرن الثاني الهجري قد بثوا الدعاة إلى كل جهة (٣ : ٩٢ ضحى الإسلام) ، وصفوان الأنصاري قصيدة في واصـــل وأصحابه ودعوتهم وفي بثهم للدعاة في كل مصر (١ : ٢٥ و ٢٦ البيان والتبيين للجاحظ طبعة الخانجي) .. كما قامت دولة أباضية في تاهرت أيضا ودولة صفرية في سجلماسة .

الأدباء والشعراء والعناية بالثقافة العربية بمختلف ألوانها وفنونها .

واللغة العربية ، والأدب العربى ، والثقافة الإسلامية تسير حيثما كانت تسير الفتوحات الإسلامية ، فحيثما يفتح المسلمون البلاد ، تقيم فيها حاميات من الجند الإسلامى ، وعلى هذه الحاميات قواد من العرب ، وبجانب الجيش أمراء يحكمون هذه البلاد ؛ وغالبا مايكونون هم أمراء الجيوش ، وبجانبها تنزل القبائل العربية المهاجرة ، تتكلم اللغة العربية ، وتذيع الأدب العربى وتأخذ لهجتها ولغتها العربية فى الذيوع بين سكان البلاد الأصليين ، ببواعث الجوار والاختلاط والسيادة والمصالح المشتركة . ويقبل من يدخلون فى الإسلام من أهل البلاد الصميمين على تعلم لغة العرب ، والتأدب بآدابهم ، وحفظ أشعارهم ، وتعلم علومهم . ومن ثم انتشرت اللغة وذاع الأدب فى كثير من البلاد المفتوحة ، وقامت مواطن الأدب فى نواحى المملكة الإسلامية المترامية الأطراف التى كانت تستظل بلواء الإسلام ؛ ومن هذه المواطن العزيزة ليبيا العربية المسلمة . .

كانت قبيلة (لواته) تنزل برقة ، ونزلت هوارة مدينة لبدة ، وسكنت نفوسة مدينة صبرة (١) ؛ وهى كلها قبائل بربرية ؛ فلما جاء الإسلام وفتحت برقة وطرابلس أخذت القبائل العربية تهاجر إلى هذه البلاد .

وهاجر إليها عدد كبير من الصحابة (٢) ، وكان مع موسى بن نصير سبعة وعشرون ألفا من العرب أمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه واللغة (٣) ، ومن الأعلام المشهورة فى هذا العصر: الشيخ عبد الوهاب القيسى المتوفى عام ٢٠٠ هـ والمدفون فى طرابلس ، وضريحه فى مسجده بها (٤) .

---

(١) ١ : ٢٨ و ٦٩ المنهل العذب .

(٢) ١ : ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ المرجع .   (٣) راجع ١ : ٥٣ المرجع .

(٤) ١ : ٧٥ و ٧٦ المرجع — وراجع كتاب تاريخ المغرب العربى من الفتح العربى حتى قيام دولة الأغالبة والرستميين والأدارسة تأليف د . سعد زغلول .

العرب الأولون فى ليبيا

والمأثور من بلاغاتهم

- ١ -

عقبة بن نافع الفهرى ـ أحد أبطال الفتح الإسلامى لليبيا والمغرب العربى الكبير - يوصى أولاده وقد خرج من القيروان ليتابع الجهاد فى سبيل الله :

يابنى : إنى بعت نفسى من الله ، لاأدرى مايقضى على فى سفرى ؛ وإنى أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها :

إياكم أن تملأوا صدوركم شعراً ، وتتركوا القرآن . . املأوا صدوركم من كتاب الله ، فإنه دليل على الله ، وخذوا من كلام العرب ماتهذبون به ألسنتكم ، ويدلكم على مكارم الأخلاق ؛ ثم انتهوا اعما وراءه .

وأوصيكم أن لاتداينوا ولو لبستم العباء ، فإن الدين ذل بالنهار ، وهم بالليل ؛ فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم ، وتبقى لكم الحرمة مع الناس مابقيتم .

ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين ، يحملونكم دين الله، ويفرقون بينكم وبين الله . ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والحيطة فانه أسلم لكم ؛ ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا . .

ثم قال : عليكم سلام الله ، وأرى ألا تروني بعد يومى هذا ، ثم قال : اللهم تقبل نفسى فى رضاك، واجعل الجهاد رحمتى من دار كرامتى عندك(١) .

---

(١) راجع ص ١٩ الدرر السنية للإمام السنوسى .

— ٢ —

عقبة يخطب فى جيش المسلمين ، وهو يستعد لملاقاة الأعداء فى زحفه الكبير إلى شاطىء المحيط الأطلسى (١) :

أيها الناس : إن أشرافكم وخياركم ، الذين رضى الله عنهم ، وأنزل عليهم كتابه ، بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة ، فهم أشرافكم والسابقون منكم للبيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة ، وأنتم اليوم فى دار غربة ، وإنما بايعتم رب العالمين ، فقد نظر إليكم فى مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلبا لرضاه ، وإعزازا لدينه ، فأبشروا ، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شاء الله تعالى ، وربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوم بقلوب صادقة، فإن الله تعالى جعلكم بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه . .

— ٣ —

عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسى يقحم فيه فرسه ، وينادى بأعلى صوته ، وهو يشير بسوطه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال له بعض أصحابه : على من تسلم يا ولى الله ؟

فقال : على قوم يونس من وراء هذا البحر ،ولولا هذا لوقفت بكم عليهم.

ثم رفع يديه إلى السماء وقال :

اللهم اشهد ، إنى قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد

---

(١) صـ ٢٠ المرجع السابق .

أقاتل من كفر بك ، حتى لا يعبد أحد من دونك (١) .

وفى طريق عودته إلى القيروان قتل وهو يقاتل جموعا غفيرة من الأعداء. وذلك عام ٦٢ هـ (٢) .

— ٤ —

ولى موسى بن نصير إفريقية عام ٨٩ هـ ففتح المغرب كله ، وولى طارق ابن زياد البربرى على ولاية طنجة ، وترك موسى معه عددا قليلا من العرب يعلمون البربر القرآن وفرائض الإسلام ، وبعد قليل أصدر أمره إلى طارق بغزو الأندلس ، وعبر طارق بجيشه البحر ، وصعد إلى جبل سمى جبل طارق عام ٩٢ هـ ، وسار إليه لذريق ملك أسبانيا فى جيش كثيف ، فلما بلغ طارقا ذلك ، قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطبهم خطبته المشهورة : « أيها الناس (٣) ، أين المفر ، والبحر من ورائكم ، والعدو أمامكم، فليس لكم والله إلا الصدق والصبر . . واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ...

وهذه الخطبة الطويلة المأثورة أثر من بلاغات العرب فى المغرب ، سواء كان خطب بها طارق فى الأندلس ، أو كان خطب بها فى طرابلس ، وقد سلفت بنصها الكامل كما وردت فى وفيات الأعيان وفى نفح الطيب وغيرهما من المصادر الأدبية .

---

(١) صـ ٢١ المرجع السابق .
(٢) ٩٢ : ١ حسن المحاضرة للسيوطى .
(٣) راجعها فى جميع كتب الأدب والتاريخ ، وفى صـ ٢٣ الدرر السنية .

مقومات الأدب العربى فى ليبيا

فى هذا العصر

— ١ —

ظهر الأدب العربى فى هذا العصر فى ليبيا العربية بإقليميها : برقة وطرابلس ، وذلك بتأثير العوامل الجديدة التى من أهمها :

١ — الفتح العربى الإسلامى لليبيا ، واستقراره نهائيا قبل نهاية القرن الأول الهجرى .

٢ — هجرة القبائل العربية المتتالية من الحجاز ونجد واليمن إلى سهول وجبال وصحارى ليبيا العربية .

٣ — إنشاء المساجد واتخاذها حلقات علمية فى طرابلس ودرنة وغيرهما من مدن ومعاقل ليبيا ، وكان جامع الناقة الكبير فى طرابلس أول المساجد التى أنشئت فى طرابلس .

٤ — إقامة الجنود الفاتحين فى ليبيا ، ومنهم أعلام مشهورون من الصحابة والتابعين ، واتخاذ طرابلس أول الفتح مقرا للحكم الإسلامى فى الشمال الإفريقى كله .

٥ — هجرة كثير من دعاة الفرق والمذاهب الدينية والسياسية إلى ليبيا فرارا من جور الخلفاء وبطشهم ، ويقص التاريخ علينا هجرة كثير من الشيعة والخوارج والمعتزلة إلى هذه البلاد ومن الذين قدموا إلى ليبيا سلمة ابن سعيد الذى وفد على هذه البلاد فى أوائل المائة الثانية لنشر المذهب الإباضى والدعوة إليه .

٦ — هجرة المسلمين الأولين إلى طرابلس ودرنة وزويلة وغيرها واتخاذ كل مكان نزلوا فيه مركزا ثقافيا عربيا إسلاميا ، وقد عنى عمر بن عبدالعزيز

ببعث الصحابة والتابعين إلى الشمال الإفريقي لتعليم أهله فروض الإسلام ولغة الكتاب الحكيم .

٧ — اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للحكم الإسلامي في ليبيا ، فهي لغة الوالي والقواد والجنود والعرب المهاجرين ، ولغة الدولة ولغة العلم والدين والثقافة ، وهي أولا وقبل كل شيء لغة القرآن الكريم .

— ٢ —

وكان العربي حيثما ينتقل من الجزيرة العربية تنتقل معه لغته وأدبها . لذلك كان الكثير من الولاة وقواد الفتح والجنود والعرب المهاجرين، ومن الصحابة والتابعين، بلغاء مقاول ، وفصحاء موهوبين ، ، وطالما نطقوا فأبانوا، وقالوا فأفصحوا ، وعبروا عن كل مايختلج في نفوسهم ، ويتصل بمشاعرهم، ووصفوا الفتح ومعاركه، والمدن الجديدة التي نزلوها ، وأجواءها ومشاهدها، وحنينهم إلى الوطن العربي الأم ؛ كما تحدثوا عن آمالهم وآلامهم ؛ وكان الأدب العربي على ألسنة قواد الفتح في هذا العصر يتمثل في الخطب الحماسية التي يلقونها في الجنود ، يرغبونهم في الجهاد في سبيل الله ، والاستشهاد من أجل دينه ، أو يبشرون فيها بنصر ، أو يوجهون بها الجنود لخطط المعركة وسير أحداثها ؛ وفي غير ذلك من الشئون والأغراض .

وإذا كان الكثير من نصوص هذا الأدب لم يدون ، أو دون وفقدت مصادره ، فإن ما بقي منه هو صورة موجزة تمثل الأدب العربي في ليبيا العربية المسلمة في هذا العصر البعيد .

ومن الضروري أن يتعلم بعض شباب البربر من السكان الأصليين ، من الأسرى وغيرهم، في طرابلس وغيرها من مراكز الدعوة الإسلامية الجديدة اللغة العربية والدين الإسلامي وآداب العرب وبلاغاتها، على أيدي جلة العلماء المسلمين في هذا العصر ، وعلى أيدي الدعاة إلى المذاهب والفرق الإسلامية

الذين كثروا فى ليبيا فى هذا العهد ، وأن ينبغ بعضهم فى اللغة والبلاغة والفصاحة والأدب ، ومنهم طارق بن زياد الذى تروى بلاغته العربية فى خطبته المشهورة التى خطب بها جنده فى بدء الفتح العربى الأندلس .

هذه وغيرها هى مقومات الأدب العربى الجديد فى ليبيا ، الذى ظهر لأول مرة فى هذه البلاد ، فى عصر الولاة الأمويين والعباسيين .

— ٣ —

ولا نخص بذلك كله النثر دون الشعر ، فهما فى الحكم سواء ، فكما عبر العربى فى هذا العصر عن أغراض الكلام بالنثر ، كذلك عبر بالشعر فى وصف المعارك ، والدعوة إلى الجهاد ، وتحميس الجند ، والحض على النضال والقتال ، وفى وصف الحنين إلى الوطن وذكرياته وأحبابه ، وفى كل مايحتاج العربى للشعر فيه من دواع وأغراض .

وكما رحل الشعراء من الحجاز إلى مصر كنصيب وجميل وكثير وغيرهم ، كذلك رحلوا إلى ليبيا مقيمين حينا ، وزائرين حينا آخر .

ومن نصوص الشعر العربى القديم فى ليبيا ما وجد منقوشا على قبر عتيق بمقبرة المنيذر الصحابى الجليل المدفون بطرابلس عام ٩٦ هـ ، فقد وجد عليه هذان البيتان :

محى فى جوارك يامنيذر فاحمها ... ومن المروءة أن يعز الجار
حاشا لفضلك يارفيق محمد ... من أن تمس مجاوريك النار(١)

ولا يعرف تاريخ كتابة هذين البيتين .

---

(١) ١ : ٥٥ المنهل العذب ، وراجع فى ترجمة المنيذر ص ٤٤ من كتاب « نفحات النسرين والريحان » لأحمد النائب .

ومن آثار شعر الفتح الإسلامى العربى لليبيا أبيات لأبى ذؤيب الهذلى يمدح فيها عبد الله بن الزبير أحد قادة الفتح ، والذى تولى قتل جرجير بعد معارك دامية ، ويقول أبو ذؤيب من هذه الأبيات :

وصاحب صدق كسيد الضرا ء ينهض فى الغزو نهضا نجيحا
وشيك الفضول بطىء الفقو ل إلا مشاحا به أو مشيحا(١)

ويبدو أن الفاتحين فى معارك الفتح الإسلامى للشمال الإفريقى . كان أكثرهم من اليمن القحطانيين ، فلم يؤثر لهم نشاط كبير فى مجال الشعر والبلاغة أثناء الفتح الإسلامى فى شمال أفريقيا ، وكانت أكثر القبائل المهاجرة إلى هناك من اليمن ؛ والشعر فى مضر لا فى اليمن(٢) .

ومن قصيدة لشاعر ليبيا الكبير أحمد الشارف عنوانها «أمة ومجد» يقول الشاعر :

حيوا بنى وطنى من أمة العرب تمثلت فيهمو روح من الأدب
لا غرو أن يدعى الليبى أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدر كالياقوت كالذهب(٣)

---

(١) ١٣٥ و ١٣٦ : ١ ديوان الهذليين ، ٦ : ٢٦٦ الأغانى (دار الكتب).
٢ : ٦٣٥ ابن قتيبة .

(٢) ١٦٦ - ١٦٨ شعر الفتوح الإسلامية - النعمان عبد المتعال القاضى - الدار القومية ١٩٦٥

(٣) ٩٠ أحمد الشارف للمصراتى - ط بيروت ١٩٦٣

الأدب في ليبيـــا

في عهد الأغالبة

١٨٤ — ٢٩٦هـ : ٨٠٠ — ٩٠٨م

ليبيا العربية فى عهد الأغالبة

— ١ —

بعد الفتح الإسلامي لليبيا صار أمرها بيد وال عربى يعينه خليفة المسلمين ويعاونه فى حكم البلاد الجيش العربى الفاتح ورؤساؤه من القواد ، ثم زعماء القبائل العربية التى بدأت تهاجر من جزيرة العرب عن طريق مصر إلى هذه الديار ، ثم الموظفون الكبار الذين كان الخليفة يعينهم ليساعدوا الوالى العربى فى الحكم .

وتتابع الولاة من قبل خلفاء بنى أمية ، فخلفاء بنى العباس كما أسلفنا .

وفى عهد الرشيد ولى الخليفة على افريقيا ، هرثمة بن أعين القائد (ربيع الأول ١٧٩ هـ - رمضان ١٨١ هـ) ، فأشار على الخليفة الرشيد أن يخلفه إبراهيم ابن الأغلب فى حكم البلاد ، الذى لم يل أمورها أحسن سيرة ولا سياسة منه (١) ، ففى عام ١٨٤ هـ جعل الرشيد الحكم لابن الأغلب طيلة حياته ، ويظل يتوارث فى أسرته فى ظلال النفوذ العباسى ، فظهرت بذلك دولة الأغالبة العربية التى استمرت أكثر من قرن من الزمان (١٨٤ - ٢٩٦ هـ) ، وكانت عاصمتها القيروان ، وتشمل ليبيا وتونس وجزءا من الجزائر - مقاطعة قسطنطينة - ونقل ابن الأغلب دواوين الدولة إلى مدينة جديدة أنشأها فى ضواحى القيروان سماها «العباسية» ، وتعاقب على حكم هذه البلاد أحد عشر أميرا (٢) .

---

(١) راجع ابن الأثير ٦ : ج ٥ ، تاريخ الإسلام السياسى ٢ : ١٧٩

(٢) منهم : إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ — ١٩٦ هـ) ، وعبد الله بن الأغلب (١٩٦ — ٢٠١ هـ) ، وزيادة الله الأول (٢٠١ — ٢٢٣ هـ) ، والأغلب أبو عقال (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ) ، وابنه أبو العباس محمد (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ) ، =

وكان يحكم ليبيا ولاة عرب من قبل الأمير الأغلبي ، ومنهم سفيان بن المضاء والى طرابلس فى عهد إبراهيم بن الأغلب(١) ، وإبراهيم بن سفيان التميمى الذى تولى طرابلس بعده ، وعبد الله بن محمد بن الأغلب ، ومحمد ابن قهرب ، وغيرهم .

وفى عهد الأغالبة استحكمت الصبغة العربية للبلاد ، وعمها الأمن والرخاء ، وكان لهم قوات برية وبحرية قوية ، واحتل الأغالبة صقلية عام ٢١٢ ﻫ ، ثم مالطة وجنوبى إيطاليا حتى هددوا مدينة روما ، وأغاروا على جنوبى فرنسا ، وأصبح البحر الأبيض بفضلهم بحيرة عربية إسلامية ، ونشروا الثقافة العربية الإسلامية فى صقلية وجنوبى إيطاليا : نابلى وروما ، وفى عهد أبى الغرانيق أسندت ولاية إيطاليا لخفاجة ففتح جنوة عام ٢٥١ﻫ(٢) واستولى حاكم صقليــــة محمد بن خفاجة على مالطة عام ٢٥٥ ﻫ ، وكانت طرابلس محطة بحرية ضخمة لأساطيل الأغالبة (٣) وغزا الأغالبة فرنسا ، وتقدموا إلى مرسيليا .

— ٢ —

ازدهرت ليبيا فى عهد الأغالبة ، وصارت معقلا من معاقل الحضارة

= وأحمد بن محمد (٢٤٢ - ٢٤٩ ﻫ) ، وأبو الغرانيق محمد زيادة الله الثانى (٢٤٩ — ٢٥٠ ﻫ) ، ثم محمد الثانى (٢٥٠ — ٢٦١ ﻫ) ، فإبراهيم (٢٦١ — ٢٨٩ ﻫ) ، ثم عبدالله (٢٨٩ — ٢٩٠ ﻫ) وزيادة الله (٢٩٠ — ٢٩٦ ﻫ) ، وفى عهده فتح الفاطميون البلاد واستولوا على مقاليد الحكم فيها .

(١) ص ٦٠ المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب .

(٢) راجع تاريخ غزوات العرب ص ١٥٢ ، وكتاب المجمل فى تاريخ ليبيا ص ٧٣ .

(٣) راجع ص ١٢٠ دراسات فى التاريخ اللوبى ابميو .

والإسلام ، وانتظم فيها التعليم ، في الكتاتيب والمسجد والمدارس ، وأنشئت المكتبات العامة ، وظهر كثير من العلماء منهم عبدالوهاب القيسي الزاهد (٢٠٠ هـ) ، وعبد الله الشعاب (٢٤٣ هـ) ولكل منهم مسجد باسمه في طرابلس .

وقد نهضت الآداب في عهد الأغالبة ، وكثر الأدباء والشعراء(١) في ليبيا ، بل في المغرب العربي كافة(٢) ، ولما فر زيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة من مدينة رقادة (٣) أمام زحف أبي عبد الله الشيعي عام ٢٩٦ هـ — ٩٠٩م حمل معه ماخف وزنه وغلا ثمنه ، ثم ركب فرسه وتقلد سيفه ، وقدم الأحمال تمر بين يديه هاربا على عيون أهله وولده ، فأخذت جارية من جواريه عودا ووضعته على صدرها ، وغنته لتحركه على حملها معه فقالت :

لم أنس يوم الوداع موقفها
وجفنها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة تتركنا سيدي وتنطلق
أستودع الله ظبية جزعت
للبين والبين فيه لي حرق

---

(١) راجع كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان فيها من اخبار لابن غلبون ، وكتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد الأنصاري .

(٢) يراد بالمغرب في عرف المؤرخين القدماء ماوراء الاسكندرية غربا إلى ساحل المحيط الأطلسي (راجع ١٠ الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للإمام محمد بن علي السنوسي ط ١٩٦٠ بالقاهرة) .

(٣) كانت مقرا للإمارة منذ عهد إبراهيم الثاني الأغلبي (٢٦١ - ٢٨٩ هـ) .

فدمعت عينا زيادة ، وشغله سوء الموقف عن حملها معه ، وخرج من مدينة رقادة ، ولحق بمدينة طرابلس(١) ، فمكث فيها سبعة عشر يوما ذهب بعدها إلى مصر ، وفيها مات ، وتفرق الأغالبة فى نواحى البلاد .

وكما استطاعت هذه الدولة تحقيق الأمن والرخاء فى البلاد ، وزيادة قواتها العسكرية البرية والبحرية الضاربة ، ونشر الحضارة بمختلف فنونها ومظاهرها فى أنحاء الدولة .. فقد عنيت بالجوانب الفكرية والثقافية والأدبية عناية كبيرة ، فأصبحت مدينة القيروان فى هذا العصر معقلا من معاقل الحضارة الإسلامية ، ومنبعا من منابع الفكر العربى ، فانتظم التعليم فى الكتاتيب والمساجد والجوامع ، وتكونت المكتبات العامة التى تضم الكثير من الكتب الدينية والعربية والأدبية والعلمية ، وزادت العناية بالفن المعمارى الذى تمثــــل بعظمته وأبهته فى قصور الملوك الأغالبة بالقيروان(٢) ، وظهر فى ذلك العصر من العلماء القاضى أسد بن الفرات (المتوفى ٢٢٠ هـ) ، والقاضى سحنون (المتوفى عام ٢٤٠ هـ) من أئمة المذهب المالكى .

— ٣ —

ولقد كان معظم عرب برقة من قبائل بنى سليم ؛ أما عرب طرابلس فأغلبهم ، وخاصة فيما بعد عهد الأغالبة من عصور ، من عرب بنى هلال الذين انتشروا فى طرابلس وتونس ، وتحتفظ طرابلس حتى يومنا هذا ببقية

---

(١) ٣ : ١٦١ تاريخ الإسلام السياسى ـ حسن إبراهيم حسن .

(٢) أنشأ الأغالبة فيها معهدا لدراسة الرياضيات والطب والصيدلة ولترجمة الكتب اللاتينية . وسمي هذا المعهد بيت الحكمة . ومن الأطباء فى عهدهم أحمد ابن الجزار .

من العنصر البربرى بين سكانها (١) ، كما نزح إليها بعض الأقباط الذين كان كلامهم بالقبطية (٢) فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) ، وكانت قبيلة المجابرة سكان واحة جالو ، وقبيلة زوية سكان واحة جخرة ، من أشهر القبائل فى برقة نشاطا تجاريا وإلماما بطرق القوافل (٣) ، ولشهرة ليبيا بالقوافل التجارية منذ القدم نجد التمازج بين سكانها واضحا ، ولولا هذه القوافل لكانت تلك الواحات المنتشرة فى الصحراء الجنوبية أحسن ما يمثل مناطق العزلة فى التكوين البشرى ، ولكن بسبب هذه القوافل التجارية اختلط السكان بعضهم ببعض ، وتأثروا بما تأثرت به الجهات الساحلية الشمالية من عناصر أجنبية طارئة ، بل كان تأثر الجهات الجنوبية بالعنصر العربى ـ بعد الفتح الإسلامى ـ بما فى ذلك واحات إقليم فزان ، عظيما ، حتى إن الدم العربى انتشر جنوبا بشكل واضح ، وظهرت آثاره فى ملامح السكان ، ومازالت بعض القبائل إلى يومنا هذا تحتفظ بأنسابها العربية ، وكثير من أفرادها ينتمون إلى البيت النبوى الشريف ، وقد حملت هذه القوافل ـ فيما حملت معها من بضائع ـ هذه الدماء العربية ووصلت بها جنوبا إلى السودان ، حيث انتشرت واستقرت ، وكذلك بالمثل فيما يتعلق بنشر اللغة العربية ، فإنه يرجع إلى تجارة القوافل الفضل الأكبر فى نشرها فى الصحراء والوصول بها إلى مشارف السودان ؛ وكذلك كان التجار المرافقون للقوافل التجارية خير دعاة للإسلام ، فسرعان ما انتشر جنوبا ، وإذا كانت القوافل التجارية فى إقليم ليبيا قد ساعدت على نشر الدم العربى واللغة العربية ، فإن نجاحها فى نشر العقيدة الإسلامية كان أكثر حتى اليوم ، إذ نرى الدين الإسلامى

---

(١) ٩٨ دراسات فى التاريخ اللوبى لمصطفى بعيو ، وراجع كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى طبع الجزائر عام ١٨٥٧ م .

(٢) ص ٥ المغرب للبكرى .

(٣) ص ٢٠٥ دراسات فى التاريخ اللوبى لبعيو .

منتشرا فى جهات جنوبية نائية على الرغم مما يقف دون ذلك من مصاعب وعراقيل (١) .

— ٤ —

ولقد كانت الصلات قوية آنذاك بين ليبيا وصقلية وكثير من جزر البحر الأبيض المتوسط التى خضعت لحكم المسلمين مدة طويلة وخاصة فى هذا العصر ، واستمرت هجرة المسلمين من ليبيا إلى هذه الجزر ، وسار كثير من العلماء إليها ينشرون فيها الإسلام ولغته وثقافاته ، وكان فاتح صقلية هو الإمام الفقيه الورع أسد بن الفرات عام ٢١٢ هـ ، وفاتح جزيرة كريت هو الإمام أبو حفص عمر بن شعيب ، واستقرت اللغة والثقافة العربية فى صقلية ، ونبغ فيها الكثير من العلماء والأدباء ، فى عصور ازدهار الثقافة العربية فيها (٢) ، ووصلت الثقافة العربية عن طريقها إلى أوربا ، ومهد الأساتذة العرب فى صقلية لنهضة أوربا .

— ٥ —

وزاد من تمكن العربية وآدابها فى ليبيا فى عهد الأغالبة أن أمراء الدولة كانوا عربا ، يهزهم البيان الجيد ، وتدفعهم أريحيتهم إلى تقريب الأدباء والشعراء إليهم ، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء ، فإبراهيم بن الأغلب

---

(١) ٢٠٧ و ٢٠٨ دراسات فى التاريخ اللوبى لبعيو .

(٢) من بينهم بعد العصر الأغلبى : ابن القطاع الصقلى (٤٢٣ - ٥١٥ هـ) ، ومحمد بن ظفر الصقلى (٥٦٥ هـ) ، وأبو محمد بن سابق الصقلى (٤٩٣ هـ) ، وابن حمديس الصقلى الشاعر (٤٤٧ - ٥٣٧ هـ) ، ومصعب القرشى (٤٢٣ - ٤٧٠ هـ) . . وقد سقطت صقلية فى أيدى النورمانديين عام ٤٦١ هـ ، وظلت العربية منتشرة فيها بعد ذلك ، حتى ليروى ابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ) فى رحلته أن ملك الجزيرة يقرأ ويكتب بالعربية (٣٠٨ و ٣٠٩ رحلة ابن جبير) .

مؤسس الدولة كان على ماوصفه ابن عذارى (١) - فقيها أديبا شاعرا خطيبا كما كان ذا رأى ونجدة وحزم وبأس ، وعلم بالحروب ومكايدها ، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وقوة بيان وتشجيعا للأدب ، وتقريبا للأدباء والشعراء، وكان الأغالبة يشجعون الفنون كما كانوا يشجعون الآداب، وقد وفد عليهم زرياب المغنى ، ونزل فى القيروان على أميرها زيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ) ، ثم تاقت نفسه إلى الذهاب للأندلس وكتب إلى الحكم بذلك فبعث إليه يرحب به فى بلاده فذهب إليها عام ٢٠٦ هـ وأقام فى قرطبة فى ظلال أميرها الأموى الجديد عبد الرحمن بن الحكم ، وكان زرياب تلميذا لإسحاق الموصلى وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الشعر بألحانها ، وكان لذلك زرياب شاعرا مطبوعا وأديبا بليغا (٢) .

وهكذا كانت القيروان تحاكى بغداد فى زعامة الحركة العلمية والأدبية والحضارية فى المغرب العربى الكبير ومن بينه الوطن الليبى ، وشاركتها طرابلس فى حمل عبء الثقافة .

---

(١) البيان المغرب ج ١ ص ٨٠

(٢) راجع ٤٠٢ - ٤٠٥ : ٢ تاريخ الإسلام السياسى - حسن إبراهيم حسن، ص ٩٢ - ٩٨ ج ١ قصة الأدب فى الأندلس المؤلف فى وصف رحلة زرياب إلى الأندلس .

- ٦ -

أشهر العلماء والأدباء فى عهد الأغالبة

نبغ فى عهد الأغالبة الكثير من العلماء والأدباء من أشهرهم .

١ - إبراهيم بن حسان الأطرابلسى ، مولى عبد الرحمن بن معاوية ، توفى فى رحلته إلى المشرق عام ٢١٨ هـ (١) .

٢ - إبراهيم بن حماد ، مولى ينسب إلى زياد بن حبش من برقة ، وهو محدث ، مات بمصر عام ٢٤٥ هـ (٢) .

٣ - إبراهيم البرقى : من الفقهاء من أصحاب مالك أخذ الناس عنه بمصر ، وتوفى عام ٢٤٥ هـ (٣) .

٤ - إبراهيم الغافقى الأطرابلسى قاضى طرابلس توفى عام ٢٥٣ هـ بالمغرب (٤) .

٥ - خيثمة بن سليمان المحدث (٢٥٠ - ٣٤٣ هـ) (٥) .

٦ - سعيد بن خلف السرتى المحدث ، رحل إلى مكة ومصر وقرطبة وكان أديبا معدودا من العلماء (٦) .

٧ - العباس بن محمد الصوفى (٢١٣ - ٣٠٩ هـ) (٧) .

---

(١) ٢ : ١٧ تاريخ العلماء ، ٥ أعلام من ليبيا الزاوى .
(٢) ٦ أعلام من ليبيا .
(٣) ص ٨ المرجع .
(٤) ص ١٣ المرجع .
(٥) ١٠٦ المرجع ، ٣ : ٣١٢ النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة
(٦) ١ : ٢٠٩ تاريخ العلماء ، ١٢٥ أعلام من ليبيا .
(٧) ١٤٦ - ١٤٨ أعلام من ليبيا .

٨ — عبد الجبار بن خالد السرتي الفقيه الورع (١٩٤ — ٢٨١ هـ) ولما ختن الأمير إبراهيم بن الأغلب أولاده ، دعا عبد الجبار ليدعو لهم ، فقال له : أيها الأمير ، قد أنعم الله عليك بهؤلاء البنين ، وعلمتهم كتاب الله ، وأحييت فيهم سنة رسوله ، وبلغني أنك بالغت في الطعام ، ودعوت إليه الأغنياء ، فلو استكملت هذه المسرة ودعوت إليه الفقراء ، فقال له الأمير : صدقت ، وأعطاه خمسين ألف دينار ، وقال له : تصدق بها على الفقراء (١) .

٩ — عبد الرحيم البرقي المحدث توفي عام ٢٨٦ هـ (٢) .

١٠ — عبد السلام البرقي ولي قضاء برقة ليزيد بن حاتم عام ١٥٥ هـ ، وعمر طويلا (٣) .

١١ — عبد الكريم البرقي المحدث مات قريبا من عام ٢٣٠ هـ (٤) .

١٢ — عبد الله المكوفي الاطرابلسي وهو وبيته من المحدثين (٥) .

١٣ — عبد الله بن محمد البرقي من فقهاء المالكية ومن المحدثين مات عام ٢٩١ هـ (٦) .

١٤ — عبد الله الشعاب الزاهد الصوفي توفي ٢٤٣ هـ بطرابلس (٧) .

---

(١) ١٤٩ و ١٥٠ المرجع ، ١ : ٨٥ - ٩١ المنهل العذب .

(٢) ١٦٩ أعلام من ليبيا .

(٣) راجع ١٧٣ المرجع .

(٤) ١٨٤ المرجع .

(٥) ١٨٨ المرجع .

(٦) ١٩٣ و ١٩٤ المرجع .

(٧) ١٩٦ أعلام من ليبيا ، و ١ : ١٧٩ المنهل العذب ، ٦٧ نفحات النسرين والريحان .

١٥ — علي بن زياد الفقيه شيخ المغرب ، سمع من مالك والليث والثوري(١) .

١٦ — محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي روى عن مالك(٢) .

١٧ — محمد بن صدقة الأطرابلسي المرادي ، كان عالما بالعربية يتقعر في كلامه ، وكان يقرض الشعر(٣) .

١٨ — محمد بن سالم الطرابلسي كان مترسلا شاعراً صاحب نحو ولغة مع علم بالجدل ونظر فيه ، وكان معتزليا(٤) .

١٩ — محمد بن غلبون(٥) .

٢٠ — محمد بن عبدالله البرقي من أصحاب الحديث ، وتوفي عام ٢٤٩ هـ(٦) .

٢١ — محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي المحدث روى عن مالك وغيره(٧)

٢٢ — أبو الأسود موسى القطان الطرابلسي قاضي طرابلس (٢٣٢ - ٣٠٦ هـ) ، وله أحكام القرآن في ١٢ جزءا(٨) .

٢٣ — يونس الأطرابلسي المؤدب توفي عام ٣٠٥ هـ(٩) .

---

(١) ٢٠٧ المرجع .
(٢) ٢٧٥ المرجع ، ٢٠٤ رياض النفوس .
(٣) بغية الوعاة للسيوطي ، ٢٧٦ أعلام من ليبيا .
(٤) ٢٧٥ أعلام من ليبيا .
(٥) ٢٨١ المرجع .
(٦) ٢٨٢ المرجع .
(٧) ٢٩٧ و ٢٩٨ المرجع .
(٨) ٣٥١ و ٣٥٢ المرجع .
(٩) ٣٦٥ المرجع .

دعبل الخزاعي في برقة

دعبل الخزاعي الشاعر العباسي المشهور (١٥٩ - ٢٤٩ ه) صاحب القصائد الرنانة في آل البيت ، والذي طار ذكره في الهجاء السياسي(١) ، ويذكر البكري الجغرافي الرحالة العربي أن قبر دعبل في زويلة (٢) ، ويروى بيت بكر بن حماد الشاعر(٣) في ذلك وهو :

الموت غادر دعبلا بزويلة   في أرض برقة أحمد بن خصيب

وقد كان دعبل ولي ولاية أسوان في مصر ، ولكنه تركها واتجه إلى ليبيا يقصد زويلة وأشرافها من آل البيت لمجد يناله لديهم ، ومات بها(٤) .

---

(١) راجع ١١ : ١٠٨ معجم الأدباء لياقوت ، والجزء الثامن عشر من الأغاني ، ٢ : ١٠٢ شذرات الذهب ، ودائرة معارف البستاني المجلد السابع (مادة دعبل) ، ومعجم البلدان في زويلة (بوزن سفينة) ، وغيرها .

(٢) أثبت هذه المدينة الرحالة الإدريسي في خريطته ، وسماها المؤرخون العرب « زويلة بني الخطاب » إذ كانت عامرة في عهد بني الخطاب الهواريين ، وقد فتحها عقبة بن نافع وكان أول حاكم عربي لها ، وتعتبر من أرض فزان وبينها وبين مدينة « مرزوق » نحو ١٥٠ كم ، وزويلة فوق « ودان » وهي أقرب إلى أجدابية ، وفيها مات كثير من الصحابة والتابعين والأشراف .

وقد ظل حكم بني الخطاب الهواريين لها حتى عام ٥٦٨ ه - ١١٧٢ م (راجع ٢٤ تاريخ الفتح العربي في ليبيا للزاوي) .

(٣) هو بكر بن حماد بن سهل الزناتي ، شاعر أديب مشهور كان من الخوارج (إباضي) المذهب أو (صفري) الرأي ، ولد في تاهرت بالجزائر ورحل إلى الشرق عام ٢١٧ ه ، ومدح الخلفاء ونال جوائزهم ، وهجا دعبلا شر هجاء ، ثم عاد إلى أفريقية يقصد القيروان عاصمة الأغالبة آنذاك ، وقتل ابنه في الطريق ، وكاد يفتك به هو ، حتى وصل تاهرت .

(٤) راجع في تحقيق ذلك كله ٢٥ - ٢٣ لمحات أدبية عن ليبيا - علي مصطفى المصراتي .

وزويلة فتحها عقبة من بين ما فتح من مدن فزان عام ٦٥٠ م . وما إن حل مطلع القرن الثامن الميلادى حتى كانت زويلة وفزان كلها قد دانتا بالإسلام وآل حكم المنطقة إلى بنى خطاب ، وهى أسرة تنتمى إلى قبيلة هوارة اتخذت زويلة عاصمة لها ومقرا لسلاطينها . والقبور الثمانية الجميلة التى تقوم على حدود المدينة هى دون شك آثار أولئك الملوك الذين حكموا هناك ، وكان آخرهم محمد بن عبد الله بن خطاب . ويقول المؤرخ العربى ابن خلدون إن هذا الملك لقى حتفه (عام ١١٩٠ للميلاد) على يد قراقوش الغزى الذى تولى بعده حكم فزان .

ولا يرد أى ذكر لزويلة خلال السنوات الستمائة التالية ، إلى أن حط فيها أول أوروبى منذ الفتح الرومانى رحاله . وكان هذا الأوروبى رحالة ألمانيا اسمه فردريك هورنمان ، جاء فى قافلة من القاهرة فى طريقه إلى نهر النيجر عام ١٧٩٦ . ولسوء الحظ ، لم يعد هورنمان إلى أوروبا ليكتب عما شاهد فى تلك الرحلة المدهشة ؛ إذ لقى حتفه فى مكان ما بنيجيريا ، إلا أنه أرسل من مرزوق وصفا موجزا لزويلة يقول فيه :

« هذه الواحة المزدهرة كانت فى وقت ما ملتقى القوافل من الشرق والغرب ومقر السلطان ، وبالقرب من مركز المدينة يقوم حصن ضخم ، بينما يوجد خارج الأسوار مسجد قديم ، لم يلحق به سوى قليل من التلف ، يحكى روعة زويلة القديمة ، ويقوم فى وسطه صحن كبير تحيط به أعمدة مهيبة ، وإلى شرق المدينة تقوم قبور الأشراف الذين ماتوا فى ساحة القتال عندما هاجم الكفار بلادهم » .

والمهم فى هذا الوصف هو إشارة هورنمان إلى أن المسجد لم يكن قد لحق به سوى قليل من التلف عندما شاهده . أما اليوم ، فلم يبق من هذا البناء سوى عقد أو عقدين يذكران المشاهد بعمار الكنائس المسيحية .

الأدب فى ليبيا فى عهد الأغالبة

زاد تمكن اللغة العربية فى ليبيا فى عهد الأغالبة لقدم الفتح العربى لهذه البلاد ، وكثرة الهجرات العربية إليها ، وكثرة ما أسس فى أنحائها من مدن ومدارس ومساجد تقوم بنشر اللغة العربية والدين الإسلامى بين السكان الأصليين فى أرض ليبيا العربية ، ولرحلات العلماء من المشرق وقيامهم برسالة ثقافية ولغوية ودينية جليلة بين سكان هذه البلاد ولنشوء أجيال من الشباب العربى فى ليبيا ، لغتهم هى اللغة العربية ، ودينهم هو الإسلام ، سواء كانوا من أصول عربية أم من سلالات السكان الأولين فى ليبيا ، ثم رعاية هذه الدولة وملوكها للغة العربية لغة القرآن الكريم .

ولقد ازدهر الأدب العربى فى ليبيا فى عهد الأغالبة ، تبعا لازدهار اللغة العربية والثقافة العربية فى هذا العصر ، فنهض الأدب ، وكثر الأدباء والشعراء ، وبخاصة أن أمراء هذه الدولة كانوا عربا ، يهزهم البيان الجيد ، والشعر البليغ ، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء ، فكان إبراهيم بن الأغلب رأس هذه الدولة أديبا شاعرا خطيبا ، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وبلاغة بيان ، وتشجيعا للأدب ، ورعاية للأدباء والشعراء . وكانت رعايتهم للفنون تشبه رعايتهم للآداب ، فأسسوا فى مدن دولتهم القصور والمساجد وأنشأوا المدن الفخمة ، والحدائق والميادين والآثار العظيمة . وتوالى فى رحابهم الكثير من العلماء والأدباء ورجال الفنون .

وحاكت القيروان بغداد وقرطبة فى زعامة الحركة الحضارية والعلمية والأدبية فى شمال أفريقية وشاركتها فى ذلك طرابلس وغيرها من مدن المغرب .

وفى ظلالهم عاش إبراهيم بن أحمد الشيبانى الذى توفى بالقيروان عام

٢٩٨ هـ ، وكان يكتب للأغالبة وكان أيام زيادة الله على بيت الحكمة ، وأدخل فى إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم ، وله تآليف كثيرة (١) .

ومن الأدباء والشعراء فى ليبيا فى عهد الأغالبة :

١ — محمد بن سالم الطرابلسى وكان كاتبا شاعرا أديبا .

٢ — بكر بن حماد وهو شاعر أديب مشهور .

٣ — محمد بن صدقة الأطرابلسى المرادى ، وكان عالما بالعربية ، وشاعرا مجيداً ـ كما يقول السيوطى (٩١١ هـ) فى « بغية الوعاة » .

وفى « البيان المغرب فى أخبار المغرب » لابن عذارى ، كثير من صور الأدب فى عهد الأغالبة .

ولإبراهيم بن الأغلب شعر فى زوجه ، وكان قد خلفها بمصر ومنه :

ماسرت ميلا ولا جاوزت مرحلة — إلا وذكرك يثنى دائما عنقى
ولا ذكرتك إلا بت مرتقبا — أرعى النجوم كأن الموت معتنقى

هذه صور خاطفة عن الأدب العربى فى ليبيا فى عهد الأغالبة ، هذا العصر الذى سجل للعرب والمسلمين مفاخر خالدة ، لاتزال ذكراها ماثلة فى كتابات المؤرخين من عرب ومستشرقين حتى اليوم وفى المكتبة العربية الصقلية لميشيل آمارى ـ طبع ليبسك ـ صور كثيرة من مآثر هذه الدولة فى نشر الإسلام واللغة العربية فى صقلية وجنوبى إيطاليا فى القرن التاسع الميلادى .

---

(١) راجع ٢ : ١٣٩ تاريخ الجزائر .

الشعر العربي في ليبيا في عصر الأغالبة

كان الشعر أسبق أنواع الأدب ظهوراً ، لأنه مظهر الثقافة العربية ، ومرآة لحياة العرب العقلية والاجتماعية ، يشدو به العربي حيثما نزل وأينما ارتحل ، فيذكر فيه مايمر بخاطره من حب وبغض ، ويصف فيه مايجول بنفسه ، ومايراه في بيئته .

على أن العرب امتزجوا بسكان البلاد ، واعتنق الإسلام فريق من السكان الأصليين ، فنشأ جيل جديد من المولدين خفت لديه العصبية ، ولكنها لم تترك الفخر ، فظل يحتل مكانة بارزة في الشعر ، وظل القوم يحتفظون بالتراث العربي وصاروا يتبادلون مع المسلمين بالمشرق آثار القرائح والأفكار من أدب وشعر وتأليف .

وهكذا عندما دخل العرب ليبيا واستراحوا من الغزو ، رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهي قرض الشعر ، فالشعر هو متعتهم النفسية وغذاؤهم الروحي ، ومرآة لحياة العربي الاجتماعية والنفسية يتغنى به في حله وترحاله . ويذكر فيه مايمر بخلده من حب وبغض ، ويرسم مايحيط به من جمال الطبيعة وما تلهمه روحه من خيال بديع ، فأخذوا يقولونه في أغراضه التي فشت في الشرق وفي أغراض أخرى جديدة ، وكان من الأسباب التي دعت إلى قيام الشعر في ليبيا ماعلمناه من مؤثرات وعوامل ولا سيما هذه العوامل الثلاثة وهي :

١ — طبيعة البلاد وما فيها من المناظر المختلفة ، والجبال المكسوة والمروج الموشاة بألوان الزهر ، مما أكسب الوجدان لطفاً ، والمعاني دقة ، والألفاظ جمالا وروعة .

٢ — عناية الولاة بالشعر حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب ، وجمالا لكل عالم . أولع به الفقهاء والنحاة والعلماء .

٣ — كثرة جمهرة العرب في ليبيا وتمكن السلطان في أيديهم ، وشدة محافظتهم على تقويم لسانهم .

فعندما أقام العربي في ليبيا ، واستقر في جبالها ، وسهولها ، ظهر الشعر العربي في هذه البيئة التي كانت صورة لبيئة العربي الأولى في الجزيرة العربية. وأخذ الشعر يذيع بين الناس ... ولما قام ملك الأغالبة وعظم شأن دولتهم ، واتسعت نفوذها ، وكثرت فتوحاتها ، وازدهرت الحضارة في طرابلس والقيروان في أيامهم ، بدأ الشعر نهضته وازدهاره ، وخاصة أن ملوك الأغالبة وجهوا الكثير من عنايتهم إلى الشعراء والأدباء والعلماء ، وقامت المكتبات العامة في عهدهم ، وكثرت حلقات العلم والأدب في كل مكان .

وازدهرت الفنون ، وجلب العلماء نفائس المؤلفات والآداب والثقافات من المشرق ، ورحل زرياب إلى القيروان فأقام فيها فترة من الوقت قبل أن يرحل منها إلى قرطبة في الأندلس .

وقد حافظ العرب في ليبيا على تقاليد الشعر العربي وأوزانه وقيود القافية فيه . ونسج الشعراء شعرهم على غرار شعر المشرق وثابروا على النظم في موضوعاته المختلفة كالغزل والنسيب والمدح والرثاء والفخر .

وبعد تمكن سلطان العرب في ليبيا، ونقل دواوين المشرق، أخذوا يعنون بالشعر في أغراض شتى ، إذ شملت فنونه كل مرافق الحياة ، فنظموا في كل ما نظم فيه شعراء المشرق من : مدح وهجاء وفخر وحماسة ، وتهنئة ورثاء ، ووصف ، وغزل ، وزهد وتصوف .

وأما مميزات الشعر في ألفاظه وأساليبه : فإننا نرى في الشعر سهولة في الألفاظ وسلاسة في التراكيب .

ويرجع ذلك إلى أن الشعراء لم يحملوا الألفاظ مالا تطيق من المعاني

المزدحمة ، فالسر فى هذه السلاسة والعذوبة : سهولة طباعهم . ولين أخلاقهم وإرسالهم القول من غير تكلف ولا تصنع ، لجاء أكثره جاريا مع الطبع ، ولم يبالغوا فى الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وطباق وغيرها ، وما كان يقع لهم منه فى عباراتهم جميل مقبول ، لأنهم كانوا يأخذون من الأنواع البديعية ماتجود به القريحة من غير تعمل ولا إجهاد خاطر .

وأما مميزاته فى معانيه : فإننا نجدها واضحة جلية بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء ، لقلة المشتغلين منهم بالحكمة ، وبغض العامة لها . . وغلب على الشعر الخيال البديع الذى نشأ فيهم من تأثير الشعر الأندلسى ، وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه ، ويكثروا من استعمال المجاز والكناية فى شعرهم .

ابن سعدون الورجيلى

من شعراء الأغالبة وكان متشيعا يقول فى حضرة المهدى عبيد الله وأبى عبيد الله الشيعى :

هذا أمير المؤمنين تشعشعت ... لقدومه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمى ومن به ... أمنت مغاربها من المحذور
يا من تخير من خيار دعاته ... أرجاهم للعسر والميسور

الأدب العربي فى ليبيا

فى العصرين الفاطمى والصنهاجى

٢٩٧ — ٥٥٦ ﻫ

الأحداث السياسية فى هذه الحقبة

كان المغرب العربى ، ومن بينه الوطن الليبى ، مسرحا الدعوات الدينية والسياسية ، فقد هاجرت إليه من المشرق جماعات كثيرة من أصحاب الآراء والمذاهب ، ليأمنوا فيه على أنفسهم من بطش الخلافة العباسية ، لسعة أرض المغرب وبعده عن بغداد مركز الخلافة ، وكثرة مافيه من جبال وصحارى وواحات لايهتدى للاجئين إليها .. ومن ثم وجدنا دعوة المعتزلة ودعوات الخوارج وخاصة الإباضية ودعوات العلويين، تنتشر فى ربوعه ، فقدذاعت آراء هذه الفرق الدينية والسياسية بسرعة بين قبائل البربر ، ووجد البربر فىفرقة الخوارج وصلابتهم فى الدين تلاؤما مع طبيعتهم ، وسرعان ماأقبلوا على اعتناقمذهبهم ؛ فانتشر مذهب الإباضية (١) وهم فرقة من فرقالخوارج - بين القبائل التى تسكن جنوب المغرب - أما قبائل الشمال ، مثل : كتامة وصنهاجة وغيرهما ، فقدكانت تؤيد آل البيت ودعواتهم ، وقامت دولة الأدارسة فى فارس (١٧٢ - ٣٧٥ هـ) (٢) ، ثم قامت الدعوة الفاطمية فى المغرب .

ومن الدول المستقلة فى المغرب الدولة الرستمية بتاهرت بالجزائر (١٣٧ - ٢٩٧ هـ) (٣) ، وفى أيامها عاش الشيخ أبو سهل ، وكان أفصح أهل زمانه فى اللسان البربرى ، وألف به تآليف . وممن عاشوا فى تاهرت بعد

---

(١) وقدحارب إدريس الثانى (١٧٧ - ٢١٣ هـ) - وهومن ملوك الأدارسة - الصفرية من الخوارج وهزمهم .

(٢) راجع ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٣ ، ٣ : ١٦٢ - ١٦٨ تاريخ الإسلام السياسى .

(٣) راجع ٤٧ - ٧٨ : ٢ تاريخ الجزائر فى القديم والحديث لمبارك الميلى - مكتبة النهضة الجزائرية .

الدولة الرستمية يهودبن قريش التاهرتى من أهل القرن الرابع ، وكان يجيد العربية والعبرية والبربرية والفارسية والآرامية ، وقد اهتم بالبحث فى اللغات ، وبالمقارنة بين العربية والبربرية والعبرية وهو واضع أساس النحو التنظيرى وله فى ذلك كتاب بالعربية مخطوط بمكتبة أوكسفورد (١) .

قضى الفاطميون على دولة الأغالبة عام ٢٩٦ ه ، ودخل أبو عبد الله الشيعى القيروان ، ثم استقدم عبيدالله المهدى فقدم إليها عام ٢٩٧ ه ، وبويع بالخلافة ولقب أمير المؤمنين وبذلك قامت الدولة الفاطمية فى افريقيا (٢) ، والخلافة العباسية ما تزال قائمة فى بغداد ، والخلافة الأموية فى قرطبة بالأندلس، وأسس الفاطميون عام ٣٠٥ه عاصمة جديدة بالقرب من القيروان سموها المهدية (٣) ، واستطاعوا أن يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب (٤) وكما قضوا على الأغالبة قضوا كذلك على الدولة الإخشيدية فى مصر ، وعلى الدولة الإدريسية فى فاس ، وعلى الدولة الإباضية فى تاهرت ، وعلى الدولة الصفرية فى سجلماسة .

---

(١) ٢ : ٦٩ و ٧٠ المرجع نفسه . وراجع عنه المجلة الآسيوية الفرنسية الصادرة عام ١٨٤٣

(٢) راجع ١٤٢ و ٢٥١ : ٣ المرجع السابق .

(٣) ظلت هذه المدينة آهلة بالسكان إلى استيلاء النورمانديين عليها عام ٥٤٣ ه ، ثم أخذها منهم عبد المؤمن عام ٥٥٥ ه .

(٤) حاول أول الخلفاء الفاطميين وهو عبيد الله المهدى (٢٩٧ - ٣٢٢ ه) فتح مصر ، واستولى جيشه على الإسكندرية ، وخلفه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ ه) ثم المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ ه) ه ، وقد بنى عاصمة أخرى له سماها المنصورية بالقرب من المهدية ، وخلفه المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ ه) ، وعلى يديه تم فتح مصر عام ٣٥٨ ه ، وبنيت القاهرة وصارت هى عاصمة الدولة الفاطمية منذ دخلها المعز فى ٧ من رمضان ٣٦٢ ه - ١١ يونيو ٩٧٣ م .

وبانتقال عاصمة الفاطميين من المنصورية إلى القاهرة كون خلفاؤهم ، إمبراطورية واسعة خضع لها الشام والحجاز واليمن وكافة بلاد المغرب ، وجزر البحر الأبيض المتوسط ، واحتفظ الفاطميون بالسيادة البحرية فى هذا البحر ، وأنشأوا أسطولا ضخما ،كان يجوب البحار ، ويشن الغارات على موانىء الأبيض المتوسط وعلى جزر اليونان .

وصارت أرض ليبيا واسطة عقد الدولة الفاطمية ، وولاة الفاطميين يتولون أمورها ، ويشرفون على شئونها . على أن نقل المعز خلافته إلى القاهرة جعل نفوذ الفاطميين يضعف بالتدريج فى أرض المغرب العربى ، فاستقل بلكين بن زيرى شيخ صنهاجة ، وأسس الدولة الزيرية عام ٣٦٢ ﻫ ، وتسمى الدولة الصنهاجية ؛ وحذا حذوه الحماديون عام ٣٩٨ ﻫ ، وحكمت الدولة الصنهاجية طرابلس والقيروان ، وتعد أول دولة بربرية فى إفريقية بعد الفتح الإسلامى ، وقد ورثوا حضارة الأغالبة والفاطميين ، وشاركوا فى بناء صرح الحضارة العربية ، ووصلت النهضة الأدبية والفكرية فى أيامهم إلى درجة لم تبلغها من قبل ، فكثر العلماء والأدباء والشعراء كثرة حافلة ؛ واستمر الحكام الصنهاجيون يحكمون هذه البلاد مدة طويلة (١) .

(١) من ملوكهم : باديس بن منصور حفيد يوسف بن بلكين وقد مات باديس عام ٤٠٦ ﻫ ، فخلفه ابنه المعز بن باديس الذى خلع بيعة الفاطميين عام ٤٤٣ ﻫ ، وأعلن انضمامه للعباسيين فى بغداد ، وخطب فى المساجد باسم خليفتهم ، ثم نشر فى المغرب المذهب المالكى ، فرأى المستنصر الفاطمى أن ينتقم من المعز بن باديس ملك صنهاجة ، فأرسل إلى أفريقية قبائل بنى هلال وبنى سليم ورباح العربية التى كانت تقيم فى صعيد مصر ، وشجعها على هذه الهجرة بمختلف الوسائل ، فوصلت هذه القبائل إلى أفريقية عام ٤٤٣ ﻫ فى رجات كبيرة . وقد أحدث هذا الزحف العربى الكبير انقلابا عميقا فى مختلف جوانب الحياة بإفريقية. إذ تم بسببه استعراب البلاد بصورة نهائية ، وإن عمتها الاضطرابات والقلاقل الداخلية ، فتمزقت أوصال الدولة الصنهاجية ، ونشأت دويلات صغيرة فى أنحاء =

وبوفاة المعز الفاطمي عام ٣٦٥ هـ خلفه ابنه العزيز (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ)، وقد بلغ نفوذ الفاطميين في عهده حدا كبيرا ، وازدهرت الحضارة الفاطمية في عهده ازدهارا عظيما، ونبغ في أيامه طائفة من الشعراء والأدباء والكتاب؛ وخلفه ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ)، ثم الظاهر (٤١١- ٤٢٧ هـ) ، ثم المستنصر الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، والمستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) ، ثم الآمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)، والحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) والظافر (٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) ، والفائز (٥٤٩ - صفر ٥٥٥ هـ) ، ثم العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ) ، وهو آخر الخلفاء الفاطميين (١) .

أما الصنهاجيون فقد بسطوا نفوذهم على تونس وشرقي الجزائر ، وعلى طرابلس وبرقة ، وسارت البلاد في عهدهم في طريق الرخاء والحضارة ، وكان الناس في أيامهم يفتنون في الأبهة وركوب الخيل وتنوعوا في أطعمتهم وبالغوا فيها ، وزينوا مجالس شربهم بالجواري الحسان والمغنيات المطربات .

= ليبيا وتونس أشبه بملوك الطوائف في الأندلس، ولكن بقي بنو زيري محتفظين بالمهدية والمناطق المجاورة لها ، وفي تلك الفترة غزا النورمانديون صقلية وأسقطوا الحكم العربي الإسلامي فيها عام ٤٦١ هـ ، كما غزوا من قبل المهدية واستولوا عليها عام ٥٤٣ هـ ، ثم استولوا على بعض سواحل ليبيا وتونس ، بينما كانت مدن الداخل تخضع لحكم القبائل العربية ، وهكذا سقطت الدولة الصنهاجية ، ولما استنجد الملك الحسن بن علي الصنهاجي آخر ملوك هذه الدولة بعبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين في المغرب الأقصى لإنقاذ البلاد من أيدي النورمانديين سار بجيش كبير فطردهم واحتل البلاد عام ٥٥٥ هـ من طرابلس حتى شاطىء المحيط الأطلسي .

(١) راجع ٢ : ١٤ - ١٧ حسن المحاضرة للسيوطي .

وكان للرونق الرائع والاشراقة البهية التى أحاطت بالبلاط الصنهاجى فى القيروان أن شــد الشعراء والأدباء والفنانون رحالهم إليه ، علهم يصيبون سهام خير ونعمة ، حتى أنه كان يقف بباب المعز فيها أكثر من مائة شاعر .

وفى كتب التراجم أخبار كثيرة عن ترف القوم وكثرة الحظايا والسرايا : فيحيى بن تميم بن المعز حين يقوم إلى مجلس الطعام يشير إلى جارية من حظاياه ليتكىء عليها ، ومحمد بن سحنون يتمتع بتسعة أسرة لكل سرير سرية (١) .

وأخذت ليبيا تنهل فى عهد الصنهاجيين من هذه المناهل العذبة ، وخاصة مدينة طرابلس التى هاجر إليها عدد كبير من سكان إفريقيا .

اللغة العربية فى ليبيا فى عهد الفاطميين

كانت اللغة العربية هى السائدة قبيل حكم الفاطميين فى برقة وطرابلس، ثم زادت قوة ونفوذا بفضل عناية الخلفاء بها وعملهم على نشرها ، ولما هاجرت عام ٤٤٣ ﻫ قبائل بنى هلال وبنى سليم من مصر إلى أرض المغرب، استحكمت عروبة الألسنة فى أنحائه ، وصار للعربية فى هذه البلاد السيادة والهيمنة ، وقد حارب المعز بن باديس الصنهاجى هذه القبائل العربية ، بمنتهى الشجاعة والصبر ، ولكنها تغلبت عليه عام ٤٤٤ ﻫ فى معركة حيدران بتونس(٢) ، واستقر أبناء هذه القبائل فى ليبيا وتونس ، واندمجوا مع أهالى

---

(١) دكتور عبد الرحمن ياغى ـ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ـ ص ٧٨

(٢) توفى المعز بن باديس عام ٤٥٤ ﻫ ، وخلفه ابنه تميم (٤٥٤ - ٥٠١ﻫ) =

هذه البلاد ، وامتزجوا بهم فى المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة ، ولنشأة هذه القبائل على البداوة ، وإلفهم لها لم يطمعوا فى الملك ؛ بل تركوا المدن يحكمها الولاة الخاضعون للنفوذ الفاطمى ، وتقاسموا هم الأراضى الصحراوية التى ألفوا الحياة فيها فى حرية شاملة ، وفراغ كثير ، وطمأنينة موفورة ، لحازت قبائل بنى هلائل أراضى تونس الجنوبية ، وانفردت قبائل بنى سليم بأراضى ليبيا المجاورة للبلدان الساحلية القريبة من مصر ، لأن أكثر بنى سليم بقى فى مصر والحجاز ، ولم يأت منهم للمغرب إلا القليل ، أما بنو هلال فقد جاءوا بجميع فروعهم ، وبنو سليم أصلهم من فرعين كبيرين : الكعوب وأبو الليل ، وقد توطنت الكعوب أرض إقليم طرابلس الساحلية ومنهم : المحاميد ، والنوائل ، وترهونة ، وأولاد سليمان ، ورفلة ، وأما أبو الليل فقد تزوج من زناتة ، واستقر هو وأبناؤه فى إقليم برقة ، ومن قبائلهم : العبيد ، والعرفاء ، والعواقير ، والحرابى ، ومن فروعهم فى مصر قبائل أولاد على(١) .

واختلط العرب الجدد بالأجناس الليبية ، والمغربية ، وبالسلالات العربية القديمة اختلاطا شديداً ، حتى صار لهجرتهم تأثير اجتماعى عظيم

= وكان ميلاد تميم عام ٤٢٢ هـ ، وانتقل بعده حكم الصنهاجيين إلى يحيى وعلى والحسن ، وفى عام ٥٤٣ هـ استولى النورمانديون على المهدية وفيها جميع كنوز الصنهاجيين ، إذ هرب الحسن منها دون أن يتمكن من إنقاذها . ولما استنجد بعبد المؤمن ملك الموحدين احتل بلاد الصنهاجيين وطرد النورمانديين منها ، وبذلك انقرضت الدولة الصنهاجية . وفى عهد الصنهاجيين استقلت الأسرة الخزرونية بطرابلس حينا من الزمن ، ثم سقطت طرابلس فى أيدى النورمانديين الذين ظلوا فيها ستة أشهر ، ثم رجعوا بأسطولهم ، بعد أن تركوا مدينة طرابلس تحت نفوذهم وتحكمها بالنيابة عنهم أسرة بنى مطروح .

(١) راجع ٢٢ - ٢٨ من كتاب برقة لنقولا زيادة ، وراجع ١ : ١٢١ - ١٢٧ المنهل العذب .

من حيث انتشار اللغة العربية والعادات التى كانت لهم فى الحجاز ومصر ، وإن كانوا قد تأثروا بالليبيين كذلك فى كثير من نواحى التقاليد وطرز الحياة والمعيشة ، وكانت موجة بنى سليم وبنى هلال فى القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٥ م) ، ويتراوح عددهم بين مائتى ألف وثلاثمائة ألف نسمة فيما يروى المؤرخون .

كان للعهد الفاطمى ، والحكم الصنهاجى ، لليبيا ، وهجرة القبائل العربية إليها من مصر ، تأثير شديد فى عروبة الألسنة ، واستحكام اللغة العربية وسيادتها فى هذه البلاد (١) ، يقول مصطفى بعيو : إن من أهم الموجات العربية التى أثرت فى ليبيا هجرة بنى هلال وبنى سليم ، فاستوطن معظم قبائل بنى سليم فى برقة ، وغالبية بنى هلال فى طرابلس وتونس (٢) .

---

(١) راجع ١ : ١٤٩ و ١٥٦ تاريخ ليبيا العام لابن مسعود

(٢) ٩٧ دراسات فى التاريخ اللوبى لمصطفى بعيو ؛ ويقول كذلك نقولا زيادة فى كتابه « برقة » ص ٤٤ و ٤٥ : إن الذى أتم لبرقة عروبتها هو مجىء قبائل بنى سليم وبنى هلال فى أواسط القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، واستوطن بنو سليم برقة ، واستقر بنو هلال فى طرابلس وتونس ، وقبائل برقة المنحدرة من بنى سليم والتى تعرف بالسعدية هى التى تعمر تلك البقاع ، وامتزج ما تبقى من البربر بهم ، حتى صارت برقة عربية لا يبزها فى عروبتها قطر عربى آخر باستثناء الجزيرة العربية ؛ ويبدو أن الألسنة ـ قبل هذه الهجرات للقبائل العربية الجديدة إلى أرض ليبيا وتونس ـ كانت تشوبها اللكنة والعى ، وأن لغة التخاطب بما فيها من لهجات بربرية كانت بعيدة عن العربية بعدا كثيرا ، ودليلنا على ذلك أن أبا على القالى صاحب كتاب الأمالى المشهور (٢٨٨ ـ ٣٥٦ هـ) قد دخل طرابلس عام ٣٢٨ هـ فى هجرته من بغداد إلى قرطبة ، ثم دخل القيروان ، ولما وصل القيروان تعجب من غرابة اللهجات العامية ومن بعد لغة التخاطب عن العربية ، يقول ابن بسام فى الذخيرة رواية عن القالى : لما وصلت =

وفى عهد الفاطميين ذاعت فى ليبيا العلوم الإسلامية والعربية والعقلية ، وقد أدخل الفاطميون إلى المغرب عقائدهم فى الدين ممزوجة بالفلسفة ، مما أدى إلى ذيوع الفلسفة وعلومها . وكانت عناية المغاربة بعلوم العربية فى ذلك العهد لا تقل كثيرا عن عنايتهم بعلوم الدين ، وكان أكثر اعتمادهم فيها على ما نقلوه من كتب البصريين والكوفيين ، ولم يكن لهم فى النحو رواية عن الأعراب ، ولا مذهب خاص فيه ، كما كان للأندلسيين .

وفى أثناء العصر الفاطمى العظيم انتقلت مظاهر الحضارة الفاطمية إلى مدن طرابلس وبرقة التى تأثرت بالقاهرة وحاكتها إلى حد ما .. وزاد نصيب ليبيا من الحضارة فى ظلال الدولة الصنهاجية (٣٦٢ - ٥٤٣ هـ) التى انفصلت عن الدولة الفاطمية ، واستقلت بأمور تونس وطرابلس عنها ، مع خضوع لنفوذ الفاطميين حينا ، والعباسيين حينا ثانيا ، والأمويين فى الأندلس حينا ثالثا ؛ ومن أشهر ملوك الصنهاجيين عناية باللغة العربية وعلومها وثقافاتها وآدابها المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٤٩ هـ) ، الذى ازدهرت فى عهده حلقات القيروان وطرابلس العلمية ازدهارا كبيرا ، وظهر فى عهده أئمة النحو واللغة والأدب ، ومن بينهم الإمام ابن القزاز محمد بن جعفر صاحب المعجم الكبير المسمى « الجامع فى اللغة » ، وهو من أمهات كتبها ، ورتبه على حروف المعجم ، وانتهى من تأليفه عام ٤١٢ هـ ؛ وعلى يديه تخرج ابن رشيق

= القيروان وأنا أميز من أمر به من أهل الأمصار ، فأجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم فى مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة ، فقلت : إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى إفهامهم ، بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان فى هذه الأوطان . قال ابن بسام : فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسى فى ذكائهم (٩٨ صور من الفكر العربى وتاريخ الإسلام المؤلف) .

وابن شرف وغيرهما (١) . وكذلك ابن فضال المجاشعي القيرواني (٤٧٩ هـ بغداد) صاحب التصانيف الممتعة في اللغة والأدب والحديث والتفسير ، ومن أشهر علماء اللغة بصقلية في عصره علي بن القطاع صاحب كتاب الأسماء وكتاب الأفعال وتوفي في القاهرة عام ٥١٤ هـ ؛ ومن علماء المغاربة الذين برزوا في مختلف العلوم ، وخاصة في الفلك والجغرافيا : الشريف الإدريسي . وممن رحل إلى المغرب من الأندلسيين : محمد بن أبي الخصال ، وأخوه أبو مروان ، وابن عبدون ، وقد تخرج عليهم من أبناء البلاد كثيرون ، مثل : ابن الميمون ، وابن محشوة ، وهاجر ابن هانيء الشاعر من الأندلس إلى المغرب وأقام فيه حينا من الزمان وهكذا تم للعرب أن يجعلوا من ليبيا قطرا عربيا مسلما تفض عنه غبار البربرية ، وأقبل أهله على الحضارة العربية الإسلامية يعبون منها ، فتكونت لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة (٢) .

---

(١) ذكره جورجي زيدان (٢ : ٣٥٩ تاريخ آداب اللغة العربية) ، وقال : هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر ، وكان مقدما وجيها وصنف له كتبا من جملتها كتاب « الجامع في اللغة » وذكر وفاته عام ٤١٢ هـ . وقد ترجم له ابن خلكان (١ : ٥١٤) ، وياقوت في معجم الأدباء (١٧ : ١٠٥) والوافي بالوفيات (٢ : ٣٠٤) والسيوطي في بغية الوعاة ص ٢٩

(٢) راجع ص ٥٠ برقة - نقولا زيادة .

الشريف الإدريسى

٤٩٣ — ٥٧٥ هـ

عالم عربى مغربى جغرافى كبير ، ورحالة مشهور ، تعلم فى قرطبة ، وأخذ عن علمائها ، ونبغ فى الجغرافيا والطب والنجوم ، وكان إلى ذلك أديبا ذواق الأدب . وطاف فى تركيا وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والأندلس وزار فرنسا ، وعبر البحر إلى انجلترا ، ثم عاد إلى جزيرة صقلية ، فرحب به ملكها روجر الثانى (١١٠١ - ١١٥٤ م : ٤٩٣ - ٥٤٨ هـ) (١) ، وقص عليه قصص رحلاته ، وصنع له كرة أرضية من الفضة ، وكتب عليها بأحرف عربية كل ما كان يعرفه من البلدان ؛ وقد ألف الإدريسى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى كان عونا للجغرافيين الأوربيين فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وقد وصف فيه المدن التى زارها وصفا دقيقا علميا ولا يزال حتى اليوم مصدرا من المصادر المهمة عند الباحثين والعلماء .

والشريف الإدريسى أصله من سبته ، وهاجر آباؤه إلى صقلية .

وهو وإن كان ليس بليبى إلا أنه ينتمى إلى المغرب العربى الكبير الذى كانت الفواصل بين أقاليمه واهية ، وكان أبناؤه من برقة حتى المحيط الأطلسى يخضعون لمؤثرات واحدة .

وقد تلقى الإدريسى دراساته فى قرطبة ، وأتيح له أن يقوم بأسفار عديدة فزار لشبونة ، والأندلس ، ومراكش ، وقسطنطينة ، وسواحل فرنسا وانجلترا كما زار صقلية وآسيا الصغرى وكتابه المشهور ، « نزهة المشتاق » فى جملته تصنيف ممتاز للمعلومات التى أوردها المسافرون ، والتجار ، والحجاج .

---

(١) شهرته فى الكتب العربية رجار ، وامتد حكمه طويلا (١١٣٠-١١٥٤م)

كما نجد فيه تفاصيل على جانب كبير من الفراسة والطرافة ، عن إيطاليا ، وفرنسا ، وبلاد البلقان ، وألمانيا ، حتى جزر اسكندناوة ، وكل هذا مزين بعديد من الخرائط التى لها أهميتها على الرغم من أنها ناقصة ، ومنه نسخة خطية بمكتبة باريس ترجمها « جوبرت » إلى اللغة الفرنسية ، ونشرت بين عامى ١٨٢٦ ، ١٨٤٠ ،وقد ترجمه يوحنا الحصرونى ، وجبرائيل الصهيونى إلى اللغة اللاتينية ، ونشراه مع النسخة العربية . وهاتان النسختان المنشورتان اختصار لنسخة موجودة فى مكتبة الاسكوريال بأسبانيا ، وقد طبعت ترجمة الحصرونى وجبرائيل فى باريس .

ونشر الأستاذان دوزى ودى غويه مختصرا للكتاب أطلقاعليه « صفة المغرب والسودان » وطبع قسم من الكتاب فى « نانورمى » عام ١٧٩٠ ومنه « ذكر الأندلس » ومعه ترجمة أسبانية بقلم المستشرق كوندى عام ١٧٩٩م . وطبع الكتاب أيضا فى مدريد عام ١٨٨١ ومعه ترجمة أسبانية للأستاذ سافدرا . وترجم أميدى جوبار إلى الفرنسية جغرافية الشريف الإدريسى عن النسخة الموجودة فى مكتبة باريس وطبعها بين عامى ١٨٧٧ ، ١٧٧٩ ، ومنه جزء يشتمل على مقدمة وصفة البلاد التى هى الآن مملكة إيطالية ومعها ترجمة إيطالية وشروح وتعليقات بقلم أمارى وشيابارلى .

وطبع الكتاب فى مدينة ليبزج عام ١٨٢٨ بإشراف روزن ملر :

ومن طريف ماوصف به الإدريسى أهل برقة أن ثيابهم حمراء دائما ، وبذلك يعرف أهلها من سائر البلاد المحيطة بها ،والصادر عنها والوارد إليها ؛ ومن الطريف كذلك قوله إن أرضها تمتاز بزراعة القطن الذى لايجانسه صنف من أصناف القطن ، كما أن تربتها ينتفع بها فى علاج بعض الأمراض إذ تعجن مع الزيت وتستخدم فى علاج الجرب والحكة ! .

ووصف الإدريسى برقة ، وقال إن أسواقها كاسدة ، وكانت فيما سلف

على غير هذه الصفة ، وكان لها من الغلات فى سائر الزمان القطن المنسوب إليها ، وبها ديار لدبغ الجلود البقرية والنور الواصلة إليها من أوجلة ، وهى الآن يتجهز منها المراكب والمسافرون الواصلون إليها من الإسكندرية .
ويتحدث الإدريسى عن اجدابية ، وسرت وأوجلة .

وكذلك ، وصف ابن حوقل الرحالة برقة فى كتابه « المسالك » حيث قال : إن برقة مدينة وسط ، وهى فى بقعة فسيحة ، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها ، وأرضها حمراء خلوقية التربة ، وثياب أهلها أبدا محمرة ، ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر ، وهى برية بحرية جبلية ، ووجوه أموالها جمة ، وهى أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان ، وبها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت مالا ينقطع ، طلابا لما فيها من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ومشرقين . ثم يتحدث ابن حوقل عن مدينة أجدابية ويصفها ويقول : إنه يطيف بها من أحياء البربر خلق كثير ، وليس بها ولا ببرنة ماء جار . . إلى آخر ما كتب ابن حوقل عن ليبيا ومدنها من أوصاف شائقة .

ويقول ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان عن مدينة برقة : إنها مدينة حسنة فى صحراء ، وهى خصبة ممتعة . . ويقول المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم » : تحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية ، ويقول : برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة ، وكثيرة الفواكه والخيرات ، وقد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع . . وهى على جادة مصر ، وأهلها يحسنون إلى الغرباء ، وهم أهل خير وصلاح .

أشهر العلماء والأدباء في هذا العصر

١ — إبراهيم بن أحمد بن جعفر الأزدى الطرابلسى البرقى الزاهد عاش فى القرن الرابع الهجرى (١) .

٢ — إبراهيم الاجدابى الطرابلسى ، كان من أعلم أهل زمانه بجميع علوم العربية وأصله من قبيلة لواتة البربرية ، وعاش فى القرن الخامس الهجرى (٢) .

٣ — أبو بكر بن دحمان الأطرابلسى المحدث من القرن الرابع الهجرى (٣) .

٤ — أبو الحسن السيقاطى الفقيه الصالح توفى عام ٤٢٠ هـ (٤) .

٥ — أبو الحسين الاجدابى المؤرخ ، كان واحد زمانه علما وفضلا توفى عام ٤٢٢ هـ (٥) .

٦ — أحمد الأطرابلسى العابد المجتهد الإمام ، توفى عام ٣٤٦ هـ (٦) .

٧ — أحمد بن الحسين الأطرابلسى المحدث من أهل القرن الرابع (٧) .

٨ — أحمد بن خلف الأجدابى ، كان فقيها بارعا ، له معرفة بفن الجدل والأدب توفى ٣٩١ (٨) .

٩ — أحمد بن نصر الطرابلسى من أئمة المالكية (٩) .

---

(١) ١ : ١٠١ الصلة لابن بشكوال ، ٣ أعلام من ليبيا .
(٢) ٤ و ٥ أعلام من ليبيا .
(٣) ١٨ المرجع .
(٤) ٢٥ المرجع .
(٥) ٢٥ و ٢٦ المرجع .
(٦) ٢٩ المرجع
(٧) ٣١ المرجع .
(٨) ٣١ و ٣٢ المرجع ، ١ : ١٠٨ المنهل العذب .
(٩) ص ٤٩ أعلام من ليبيا .

١٠ — حاتم الطرابلسى المحدث توفى عام ٥١٦ ﻫ [١] .

١١ — الحسن الطرابلسى له كتاب فى تاريخ طرابلس توفى ٥٢١ ﻫ [٢] .

١٢ — الحسن الاجدابى عالم محدث مؤرخ توفى عام ٤٣٢ ﻫ [٣] .

١٣ — خليل بن إسحاق له حظ فى العلم وباع واسع فى الأدب قتل عام ٢٣٢ ﻫ [٤] .

١٤ — رافع البرقى فقيه متكلم محدث له شعر موزون وأكثره ملحون [٥] .

١٥ - رافع بن مطروح من أسرة بنى مطروح وحكم طرابلس عام ٥٤٣ ﻫ نيابة عن النورمانديين حتى عام ٥٥٢ ﻫ وله شعر [٦] .

١٦ - عبد الله الاجدابى المحدث المؤرخ توفى عام ٣٨٤ ﻫ [٧] .

١٧ — عبد الله الطرابلسى القاضى الفقيه ولى القضاء ٣٢ عاما (٤٤٤ - ٤٧٦ ﻫ) [٨] .

١٨ — على بن ذكرون الطرابلسى المحدث توفى عام ٣٧٠ ﻫ [٩] .

١٩ — على بن على البرقى نحوى شاعر مات عام ٥٢٣ ﻫ [١٠] .

---

(١) ٩٧ و ٩٨ المرجع .　　(٢) ٦٩ المرجع .
(٣) ١٠٠ المرجع ، ١ : ١١٤ المنهل العذب .
(٤) ١٠٥ أعلام من ليبيا .　　(٥) ١٠٩ المرجع .
(٦) ١١٠ و ١١١ المرجع ، ١ : ١٣٦ المنهل العذب .
(٧) ١٩٠ أعلام ليبيا ، المنهل العذب ١ : ١٠٥ .
(٨) ١٩٣ أعلام ليبيا .
(٩) ٢٠٥ المرجع .
(١٠) ٢١٢ المرجع ، وراجع بغية الوعاة ، ومعجم الأدباء .

٢٠ — على الطرابلسي (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) محدث نحوى بارع ، نشر السنة في المغرب وخاصم العبيديين (١) .

٢١ — فلفل بن سعيد أمير طرابلس من رجالات البربر من بني خزرون توفى عام ٤٠٠ هـ (٢)

٢٢ — محمد الطرابلسي الصوفي الورع(٣).

٢٣ — محمد بن الجبلي قاضي برقة توفى عام ٣٤١ هـ (٤) .

٢٤ — محمد بن الحسن قاضي طرابلس توفى بعد عام ٣٦٩ هـ (٥) .

٢٥ — محمد السرتي المحدث (٢٩٨ - ٣٨٣ هـ) (٦) .

٢٦ — محمد بن سالم الطرابلسي كان مترسلا شاعراً نحويا لغويا وكان معتزليا (٧) .

٢٧ — محمد بن سعيد بن شرف الاجدابي القيرواني (٤٦٠ هـ) كان أديبا بليغا وكاتبا مترسلا وحامل لواء المنثور والمنظوم مات بالأندلس(٧) .

٢٨ — موسى الطرابلسي الفقيه توفى ٤٢٢ هـ (٨) .

٢٩ — هاشم الطرابلسي المحدث (٣٥١ - ٤٣٣ هـ)(٩) .

٣٠ — الوليد بن هشام كان معلما عالما (١٠) .

---

(١) ٢١٦ و ٢١٧ أعلام ليبيا .
(٢) ٢٥٣ المرجع ، وقد حكمت أسرته طرابلس نحوا من ١٥٠ عاما .
(٣) ٢٦٤ أعلام من ليبيا .
(٤) ٢٦٩ المرجع . (٥) ٢٧٠ المرجع .
(٦) ٢٧١ المرجع و ١ : ١٠٤ المنهل العذب .
(٧) ٢٧٥ أعلام ليبيا . (٨) ٣٥٢ المرجع .
(٩) ٣٥٨ المرجع . (١٠) ٣٥٩ المرجع .

٣١ — يحي اللخمى المحدث الأخبارى(١) .

٣٢ — يحي المؤدب الزاهد الطرابلسى توفى عام ٣٠٥ ﻫ(٢) .

٣٣ — خطاب البرقى ، أبو نزار الصوفى المتوفى عام ٣٧٣ ﻫ (٣) .

٣٤ — أبو الحسن محمد بن أحمد المتيم الأفريقى ، وله كتاب « أشعار الندماء » وقد ذكره الثعالبى فى اليتيمة (٤) ، وقد ذكر الثعالبى فى اليتيمة علما آخر هو أحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوى الشاعر ، وروى له شعرا(٥) .

٣٥ — سعيد بن خلفون الزاهد المتوفى ٣٦٢ ﻫ (٦) .

---

(١) ٢٦١ المرجع . (٢) ٣٦٥ المرجع .
(٣) ١ : ١٠٣ المنهل العذب .
(٤) ١ : ٣٠٦ اليتيمة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
(٥) ١ : ٣١١ المرجع السابق .
(٦) ١ : ١٠٢ المنهل العذب .

الأدب فى هذا العصر

فى هذا العصر نبغ العلماء والمشرعون والمفكرون وخطت ليبيا الإسلامية العربية خطوات كبيرة فى سبيل التقدم والحضارة والرفاهية .

ونهضت الآداب العربية فى ربوعها ولقيت من تشجيع الفاطميين والصنهاجيين ومن رعايتهم الفائقة مالم تلقه من قبل وظهر كثير من العلماء والأدباء والكتاب والشعراء ، وقامت حركة أدبية كبيرة فى طرابلس وبقية المدن الليبية ، كما ازدهرت الآداب فى القيروان العاصمة السياسية الكبيرة، وكان بعض ملوك هذه البلاد أدباء وشعراء ومن بينهم تميم بن المعز الصنهاجى (٤٥٤ - ٥٠١ هـ) الذى كان شاعرا أديبا ذا ذوق عربى سليم وبلاغة متمكنة طيعة ويروى له أدب وفير وشعر كثير (١).

ومن الأدباء المشهورين الذين عاشوا فى ظلال الفاطميين فى ليبيا ابن هانىء الأندلسى ٣٦٢ هـ ، وخليل بن إسحاق ٣٣٢ هـ ، وله باع واسع فى العلم والأدب ، وأحمد بن خلف الأجدابى ٣٩١ هـ ، وكان ملما بالجدل والأدب وابن زرعة البرقى الشاعر .

ومن الأدباء الذين عاشوا فى ظلال الصنهاجيين ابن شرف الاجدابى ثم القيروانى (٤٦٠ هـ) ، وكان كاتب المعز بن باديس . ويعاصره ابن رشيق القيروانى (٤٥٦ هـ) صاحب كتاب العمدة المشهور ، وكان ابن رشيق كاتب المعز وشاعره أيضا ، ولابن شرف كتاب أعلام الكلام ، وكتاب أبكار الأفكار ، وكتاب رسائل الانتقاد وهو مشهور ، ومن الأدباء الذين عاشوا فى ظلال الصنهاجيين أيضا إبراهيم الاجدابى الطرابلسى وكان أعلم أهل زمانه بجميع علوم العربية ، وعاش فى القرن الخامس الهجرى ، ومحمد بن سالم

---

(١) راجع ص ١٤١ - ١٦٤ خريدة القصر قسم شعراء المغرب ط ١٩٦٦

الطرابلسى وهو معتزلى أديب شاعر ملم بجميع العلوم العربية ، وعلى بن على البرقى ٥٢٢ﻫ وهو شاعر مجيد ، وابن خراسان الطرابلسى الشاعر، والودانى الشاعر وغيرهم .

وهكذا نهضت الآداب العربية فى ليبيا فى هذا العصر الطويل ، وأثمرت هذه الحركة الفكرية ، وتلك التيارات الأدبية ، تراثا غاليا لايزال مدفونا فى كثير من المخطوطات العربية الباقية فى مكتبات طرابلس والقيروان والزيتونة والقاهرة .

الشعر والشعراء في ليبيا في هذا العصر

نماذج وصور

— ١ —

ابن شرف القيروانى (٤٦٠ هـ) شاعر وكاتب المعز بن باديس :

إن تدعك الغربة فى معشر　　قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم　　وأرضهم مادمت فى أرضهم

— ٢ —

ابن رشيق القيروانى الأزدى المتوفى عام ٤٥٦ هـ بجزيرة صقلية ، وكان كاتب وشاعر المعز بن باديس ، وكان أبوه روميا ، وله كتاب العمدة :

فى الناس من لايرتجى نفعه　　إلا إذا مس بإضرار
كالعود لاتطمع فى طيبه　　إن أنت لم تمسسه بالنار

— ٣ —

ولابن رشيق أيضا :

أحب أخى وإن أعرضت عنه　　وقل على مسامعه كلامى
ولى فى وجهه تقطيب راض　　كما قطبت فى وجه المدام
ورب تجهم من غير بغض　　وضغن كامن تحت ابتسام

— ٤ —

أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى (٤٥٣ هـ) صاحب زهر الآداب :

كتمت هواك حتى عيل صبرى　　وأدنتنى مكاتمتى لرمسى
ولم أقدر على إخفاء حال　　يجول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظى ولفظى　　وإظهارى وإضمارى وحسى

- ٥ -

اضطهد المعز بن باديس الصنهاجي (٤٠٥-٤٥٤ هـ) الشيعة فى أيام حكمه الذى استمر ٤٩ عاما ، فقال فى ذلك القاسم بن مروان الشاعر :

وسوف يقتلون بكل أرض   كما قتلوا بأرض القيروان

وقال شاعر آخر :

يامعز الدين عش فى رفعة   وسرور واغتباط وجذل
أنت أرضيت النبي المصطفى   وعتيقا (١) فى الملاعين السفل
وجعلت القتل فيهم سنة   بأقاصى الأرض فى كل الدول

- ٦ -

ابن رشيق فى الأمير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٤ - ٥٠١ هـ) .

أصح وأقوى ماروبناه فى الندى   من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن كف الأمير تميم (٢)

- ٧ -

تميم بن المعز بن باديس وكان عالما فاضلا وشاعرا رقيق العاطفة :

فإما الملك فى شرف وعز   على التاج فى أعلى السرير
وإما الموت بن ظبا العوالى   فلست بخالد أبد الدهور

ومن رقيق شعره :

وخمر قد شربت على وجوه   إذا وصفت تجل عن القياس

---

(١) هو سيدنا أبو بكر الصديق ، والملاعين يقصد بهم الشيعة .
(٢) ١ : ١٣٢ المنهل العذب .

خدود مثل ورد فى ثغور كدر فى شعور مثل آس

وكان تميم بن المعز بن باديس شهما شجاعا ذكيا ، وله شعر حسن، وكان حسن السيرة ، محبا للعلماء مقبلا على الشعراء وأهل الأدب ، وقصده الشعراء وغيرهم من كل مكان (١) .

— ٨ —

وقال ابن هانىء الأندلسى من قصيدة يمدح بها القائد جوهراً ، ويصف الجيش الذى غزا به مصر ، ويودعه عند خروجه من القيروان :

رأيت بعينى فوق ماكنت أسمع
وقد راعنى يوم من الحشر أروع(٢)
غداة كأن الأفق سد بمثله
فعاد غروب الشمس من حيث تطلع(٣)
فلم أدر إذ سلمت كيف أشيع ولم أدر إذ شيعت كيف أودع(٤)

---

(١) ١ : ١٣٢ المنهل العذب .

(٢) راعنى : هالنى وأدهشنى . يوم الحشر : يوم القيامة . أروع : أكثر هولا ودهشة وفزعا .

المعنى : كنت أسمع عن عظمة جيش المعز لدين الله الذى يقوده القائد جوهر وعن قوته ، ولقد رأيته اليوم بعينى رأسى فعجبت لقوته وعظمته ، وخيل إلى لكثرة عدده وازدحام الخلق فيه أن اليوم الذى رأيته مجتمعا فيه أشد هولا وفزعا من يوم القيامة ، وكان ماسمعته عنه أقل مما رأيته عليه .

(٣) الغداة والغدوة : أول النهار المبكر .

المعنى : رأيت الجيش فى الصباح المبكر وقد أحدث بسيره طبقة من الغبار فى الجو أخفت الجو الطبيعى ، وحجبت الشمس عن الناس فخيل إلينا أن الشمس غربت من مكان طلوعها .

(٤) المعنى : قد حير عقلى هول الموقف وروعة المنظر ، فلم أدر كيف أسلم ولا كيف أشيع من أردت تشييعهم وتوديعهم .

وكيف أخوض الجيش والجيش لجة
وإنى بمن قاد الجيوش لمولع(١)
وأين ؟ ومالى بين ذا الجمع مسلك ولا لجوادى فى البسيطة موضع(٢)
ألا إن هذا حشد من لم يذق له غرار الكرى جفن ولا بات يهجع(٣)
نصيحته للملك سدت مذاهبى فما بين قيد الرمح والرمح إصبع(٤)
فقد ضرعت حتى الرواسى لمـــا رأت
فكيف قلوب الإنس والإنس أضرع (٥)

(١ ، ٢) المعنى : وكيف أصل إلى من أريد توديعه فى وسط هذا الجيش العظيم وكيف أجتاز تلك الكتل البشرية إلى القائد العظيم لأودعه ؟ وأين أذهب ولا طريق لى فى هذا الجمع الحافل ، ولايستطيع جوادى أن يشق طريقه فى هذا الزحام الهائل .

(٣) الغرار : القليل . الكرى : النوم . يهجع : ينام :

المعنى : ولقد جمع هذا الجيش العظيم شخص لم يذق طعم الراحة ، لأن هذا الاستعداد الهائل يتطلب مجهوداً مضنيا وعملا متواصلا ، وهذا مافعله جوهر .

(٤) مذاهبى . طرقى . القيد : القدر . وقيد الرمح والرمح . أى بين الرمحين .

المعنى : المقصود بالنصيحة هنا المشورة بغزو مصر وإخلاصه لدولة المعز ، فشورة جوهر على المعز وإخلاصه لدولة المعز كانا سبباً فى حشد هـــذا الجيش الكبير الذى سد على طرقى فى السير ، فلا يستطيع المرء أن يشق لنفسه طريقا وسط هذا الجمع الذى بلغ من شدة زحامه أن المسافة التى بين الرمحين لاتتسع لأكثر من إصبع ، وهذا كناية عن شدة الزحام .

(٥) ضرع : خضع وذل واستكان . الرواسى : الجبال الراسيات .

المعنى : ليس لدينا من مظاهر ذلة الجبال وخضوعها لهذا الجيش العظيم إلا انهيارها وعدم ثباتها أمام قوته . فكان الشاعر يقول : إن الجبال الرواسى لاتقوى على الثبات أمام هذه القوة الكبيرة فكيف بالإنس وهم أقل احتمالا من الجبال ؟ وكأنه أيضا يقول : لقد فزعت الجبال بما رأت من قوة الجيش ، ومن الطبعى أن فزع الإنسان الذى له قلب وعاطفة يكون أعظم من فزع الجماد الذى لاعاطفة له . وفى هذا كله مبالغة فى قوة جيش جوهر .

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تخب المطايا فيه عشرا وتوضع(١)
تسير الجبال الجامدات لسيره وتسجد من أدنى الحفيف وتركع(٢)
إذا حل في أرض بناها مدائنا
وإن سار في أرض ثوت وهي بلقع(٣)

— ٩ —

ومن غرر مدائح ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٣٧ هـ) قوله في المعتمد ابن عباد :

أنكرت سقم مذاب الجسد وهو من جنس عيون الخرد
وبكت فالدمع في وجنتها كجمال الطل في الورد الندى
ما الذى يبكى بحزن ظبية فتكت مقلتها بالأسد
والظباء الحور إما قتلت لحظات العين منها لا تدى

---

(١) الخبب : ضرب من العدو . والايضاع : الإسراع في السير .
المعنى : لقد بلغ من كبر المسافة التي يشغلها الجيش على الأرض أن الدواب تقطع هذه المسافة وهي مسرعة في عشر ليال ، وفي هذا مبالغة في تقدير الكثرة .
(٢) الحفيف : الصوت . وأدنى الحفيف : أقل الصوت .
المعنى : أن الجبال تسير لسيره وتسجد وتركع لأقل صوت منه ، وأقل صوت وأقل حركة من الجيش تكون كبيرة لكثرة عدد الجيش وضخامته ، وفي هذا كناية عن عظمة الجيش وشديد هيبته .
(٣) ثوت : أقامت . البلقع : الأرض التي لاشيء بها . المعنى : لايزال الشاعر يعطينا صورة عن كثرة عدد المحاربين وضخامة الجيش ، فهو يقول : إن الجيش إذا قام في جهة احتاج إلى مساكن كثيرة ، وثكنات للأجناد ، فيبني مدائن تؤوى هذا الجيش الضخم ، وإذا لم يحل في جهة بل سار عنها ولم يقم فيها تركها قفرا لا أثر فيها للعمران ولا النبات .

غادة إن (ينط) منها موعد … بغد فر إلى بعد غد
هكذا عندي يجرى مطلها … بخلاف عندها مطرد
وهي من عجب ومن تيه لها … كبد ترحم منها كبدي
ذات عين بالهوى نابغة … ضل في الحب بها من يهتدي
وهي نجلاء حكاها سعة … جرحها في كل قلب مكمد
لا يذوق الميل فيها إثمدا … ما لأحداق المها والإثمد
قذفت حبة قلبي في الهوا … هل رأيت الجمر في المفتأد
سحرها وحي بنجوى ناظر … لا نفاث للنهى في عقد
ما لآس في محب عمل … غير داء الروح داء الجسد
خفي البرء على إلطافه … وهو في بعض ثنايا العود
إن في ظلم ظلوم لجنى … شهد ، واها لذاك الشهد
ذاب لي بالراح منها برد … هل يكون الراح ذوب البرد
هاتها صفراء ما اخترت لها … أفق الشمس على أفق يدي
خارج في راحتي مقتنص … كل هم كامن في خلدي
جرد المزج عليها صارما … فاتقته بدموع الزبد
عتقت ما عتقت في خزف … برداء القار منه ترتدي
حيث أبلى جسمها لا روحها … مر أيام الزمان الجدد
ما أطاق الدهر أن يسلبها … أرج المسك ولون العسجد
فانقض أوطار اللذاذات على … نقر أوتار الغزال الغرد
فلحون العود والكأس لنا … والندى والبأس للمعتمد
ملك إن بدأ المجد به … ختم الفخر به ما يبتدي
معرق في الملك موصولا به … شرف المجد ومحض السودد
من غدا في كل فضل أوحدا … ذلك الأوحد كل العدد
من حمى الإسلام من طاغية … كان منه في المقيم المقعد

وكست أسيافه عارية ... ذل أهل السبت أهل الأحد
ذو يد حمراء من قتلهمو ... وهى عند الله بيضاء اليد
تقتدى الأملاك فى العدل به ... وهو فيه بأبيه يقتدى
كيف لايعلى على الناس العلا ... مستمد من علا المعتضد
عارض ينهل بالوبل إذا ... كان للعارض كف الجلد
وهصور يفرس القرن إذا ... جرد المرهف فوق الأجرد
قومت عزمته عن نية ... من منار الدين ميل العمد
لاتله فى عطاياه التى ... إن ترم منهن نقصا تزدد
فنداه البحر والبحر متى ... تعصف الريح عليه يزبد
ومحال نقلك الطبع الذى ... كان منه فى كريم المولد
كم لهام جر فى أوله ... رمحه فهو له كالمقود
وليوث صال فيهم فانثنوا ... وضواريهم له كالنقد
بحسام مطفىء أرواحهم ... بشواظ البارق المتقد
لعـــواريه على هاماتهم ... من شرار القدح مافى الزند
كم تغنى بالمنايا فى الطلا ... فثناه عن مغانى معبد
وسنان مشرع فى صعدة ... كلسان فى فم الأيم الصدى
فى سماء النقع منه كوكب ... طالع فى برنى أملد
أبداً يدعو إلى مأدبة ... حوم الوحش معا بالفدفد
يابنى البأس من الذمر الذى ... جاء فى كاهل عزم أيد
شيب الحرب اقتحاما بعدما ... ربيت فى حجره كالولد
يرعف اللهذم فى راحته ... كلما شم قلوب الأسد
سمهرى أحرقت شعلته ... كل روح فى غدير الزرد
أنت ذاك الأسد الورد فهل ... كان فى رمحك سم الأسود
أعناق البهم استحسنته ... وهو برد أم عناق الخرد

دمت فى الملك لمعنى مادح ينظم الفخر وجدوى المجتدى
وبنات من فصيح مفلق يشهد الفضل له فى المشهد
فهو بالإحسان فى ألفاظها محسن صيد المعانى الشرد
فى بيوت أذنت فيها العلا لك بالتقريظ فى كل ندى
قد بناها من عروض فهى لا يعرض الهدم لها فى المسند
فإذا أثنت عليكم فتقت لكم مسك الثناء الأبدى
وإذا استحييت من المجد أتى معربا عنها لسان المنشد

— ١٠ —

وله من قصيدة طويلة يصف فيها الطبيعة ويشتاق وطنه :

وريح خفيفة روح النسـيـم أطت بليلا وهبت رخاء
سرت وحياها شقيق الحياة على ميت الأرض تبكى السماء
فمن صوت رعد يسوق السحاب كما يسمع الفحل شولا رغاء
وتشعل فى جانبيها البروق بريق السيوف تهز انتضاء
فبت من الليـل فى ظلمة فياغرة الصبح هاتى الضياء
ويا ريح إما مريت الحيا ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى إلى جمام السحاب لأملأهن من الدمع ماء
ويسقى بكائى ربع الصبا فما زال فى المحل يسقى البكاء

أشهر الشعراء فى هذا العصر(١)

١ — أبو الحسن الحصرى(٢)

أبو الحسن على بن على بن عبد الغنى الفهرى الضرير القيروانى ، المعروف بالحصرى ، ذكره ابن بسام فى الذخيرة وقال عنه : إنه بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، وفد على الأندلس نحو عام ٤٥٠ هـ ، وتوفى عام ٤٨٨ هـ بطنجة ، وهو رقيق الشعر عذبه ، وأشهر شعره داليته المشهورة التى افتتن بها الشعراء وعارضوها فى كل زمن ، وممن عارضها شوقى وصبرى ويكن ، وهو غير الحصرى القيروانى صاحب زهر الآداب المتوفى عام ٤٥٣ هـ ، وهو شاعر أيضا(٣) .

ومن دالية الحصرى فى الغزل والصبابة قوله :

يا ليل ، الصب متى غده　　أقيام الساعة موعده
رقد السمار وأرقه　　أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له　　مما يرعاه ويرصده(٤)
كلف بغزال ذى هيف(٥)　　خوف الواشين يشرده

---

(١) راجع كثيرا من شعراء هذا العصر فى كتاب « خريدة القصر قسم شعراء المغرب » وهو مطبوع عام ١٩٦٦ م .

(٢) راجع كتاب « أبو الحسن الحصرى » تأليف محمد المرزوقى والجلانى بن الحاج يحيى ط تونس ١٩٦٤ م .

(٣) ذكر جورجى زيدان أن وفاته عام ٤١٣ هـ (٢ : ٣٣٥ تاريخ آداب اللغة العربية) . . وترجم للحصرى هـذا ابن خلكان (١ : ١٣) ، وياقوت فى معجم الأدباء (١ : ٣٥٨) .

(٤) رصده بالخير وغيره يرصده رصدا ورصدا : رقبه .

(٥) هو ضمور الخصر .

نصبت عيناى له شركا ... فى النوم فعز تصيده
وكفى عجبا أنى قنص(١) ... للسرب سبانى أغيده(٢)
صنم للفتنة منتصب ... أهواه ولا أتعبده
صاح والخمر جنى فمه ... سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفاً ... وكأن نعاساً يغمده
فيريق دم العشاق به ... والويل لمن يتقلده(٣)
كلا لاذنب(٤) لمن قتلت ... عيناه ولم تقتل يده
يامن جحدت عيناه دمى ... وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمى ... فعلام جفونك تجحده ؟
إنى لأعيذك من قتلى ... وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى ... فلعل خيالك يسعده
ماضرك لو داويت ضنى ... صب يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا ... فليبك عليه عوده
وغدا يقضى أو بعد غد ... هل من نظر يتزوده ؟
ياأهل الشوق لنا شرق(٥) ... بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم ... وصروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصل وأعذبه ... لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا ... لفؤادى كيف تجلده ؟

---

(١) القنص : ما اقتنص .
(٢) الأغيد من النبات : الناعم المتثنى ، والوسنان المائل العنق من الناس .
(٣) تقلد السيف : حمله .
(٤) الذنب : الاثم ،وكلا، تأتى بمعنى حقا وبمعنى ألاالتنبيهية وبمعنى لاالنافية .
(٥) الشرق : الشجا والغصة والشرق بالماء والريق ونحوهما ، كالغصص بالطعام . والشرق : دخول الماء فى الحلق حتى يغص به ، مورده : يقال ورد فلان أى حضر وأورده غيره وتورده كورده أحضره فورده اسم مكان من ورده .

وقد عارض شوقي هذه القصيدة بقصيدته :

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهده
أودى حرقا(١) إلا رمقا(٢) ... يبقيه عليك وتنفده
يستهوى(٣) الورق(٤) تأوهه ... ويذيب الصخر تنهده
ويناجي النجم ويتعبه ... ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة (٥) ... شجنا في الدوح تردده
كم مد لطيفك من شرك(٦) ... وتأدب لا يتصيده
فعساك بغمض مسعفه ... ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت بيوسفه ... والسورة أنك مفرده
قد ود جمالك أو قبسا ... حوراء الخلد وأمرده
وتمنت كل مقطعة ... يدها لو تبعث تشهده
جحدت عيناك زكى دمى ... أكذلك خدك يجحده ؟
قد عز شهودي إذ رمتا ... فأشرت لخدك أشهده
وهممت بجيدك أشركه(٧) ... فأبى واستكبر أصيده(٨)

---

(١) الحرق : من حرقته النار ، وفي الحديث :الحرق والغرق والشرق شهادة ، وفيه : أيضا الحرق شهيد .

(٢) الرمق : بقية الحياة .

(٣) يستهوى : يستهيم ويحير .

(٤) الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة والورقة السمرة .

(٥) المطوقة : الحمامة التي في عنقها طوق .

(٦) الشرك : حبائل الصيد .

(٧) أشركه ، أشركه بفتح الهمزة وبضمها ، من شركه .

(٨) الأصيد : الذي يرفع رأسه كبرا ومنه قيل للملك أصيد لأنه لا يلتفت يمينا أو شمالا والفعل صيد يصيد

وهززت(١) قوامك أعطفه ... فنبا وتمنع أملده
سبب لرضاك أمهده ... ما بال الخصر يعقده
بينى فى الحب وبينك ما ... لا يقدر واش يفسده
ما بال العاذل يفتح لى ... باب السلوان وأوصده
ويقول تكاد تجن به ... فأقول وأوشك أعبده
مولاى وروحى فى يده ... قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له ... وحنايا الأضلع معبده
حسادى فيه أعذرهم ... وأحق بعذرى حسده
نسبا بثنايا لؤلؤها ... قسم (٢) الياقوت منضده
ورضاب يوعد كوثره ... مقتول العشق ومشهده(٣)
وبخال كاد يحج له ... لو كان يقبل أسوده
وقوام يروى الغصن له ... نسبا والرمح تفنده
وبخصر أوهن من جلدى ... وعوادى الهجر تبدده
ماخنت هواك ولا خطرت ... سلوى بالقلب تبرده

وعارض قصيدة الحصرى أيضا الشاعر إسماعيل صبرى . والشاعر ولى الدين يكن ، ومطلع قصيدة ولى الدين :

الحسن مكانك معبده ... واللحظ فؤادى مغمده
ياسيدتى هذا حر ... لم يعرف قبلك سيده

ومنها :

للصبح سناؤك أبيضه ... لليل غرامى أسوده

---

(١) هززت قوامك : من هززت فلانا لخير فاهتز أى حركته فتحرك .

(٢) قسم : كفرح ومنضد اسم مفعول أو اسم فاعل .

(٣) مشهده : أشهد الرجل إذا استشهد فى سبيل الله فهو مشهد ، ومنه : أنا أقول سأموت مشهداً .

أحببت فلاك فطاقه | عندى عذب ومقيده
إن ضل حنانك عن قلبي | فأنا بولوعى أرشده
قد بات دلالك يخذله | وجمالك كان يؤيده
زيدى تيها أزدد كلفاً | كلفى إن رث أجدده
(شوقى) إن بنت يضاعفه | (صبرى) إن جرت يؤكده
خلان هما شمسا فلك | طرفى مع طرفك يرصده
فصلى بالله ولو حلما | (مضناك بجفناه مرقده)
وعديه اليوم ولو كذبا | الصب يماطله غده

٢ — الودانى الشاعر

ينسب إلى ودان - بلد من البلاد الطرابلسية الجنوبية - سكن صقلية وكان أديبا رقيق الشعر ، وله ديوان أجاد فيه وأبدع ماشاء له الإبداع ؛ واسمه أبو الحسن على بن أبي إسحاق بن إبراهيم الودانى ، وكان صاحب الديوان بصقلية ، وله أدب كثير ، ذكره ابن القطاع وأنشد له :

من يشترى منى النهار بليلة | لافرق بين نجومها وصحابى
دارت على فلك الزمان ونحن قد | درنا على فلك من الآداب
ودنا الصباح ولا أنى وكأنه | شيب أطل على سواد شباب

وله فى المشيب وقد ذكره صاحب خريدة القصر :

وبرغمى لما أتانى مشيبى | قلت ياأهلا بالضحوك القطوب
ولعمرى ماكنت ممن يحييه | ولكن تملق بالقلوب

وكان معاصراً لابن رشيق ، وبينهما مكاتبات وتراسل(١) .

(١) ٢٣ و ٢٠٤ أعلام من ليبيا ، ١ : ٢٧١ و ٢٧٢ المنهل العذب .

٣ ـ ابن خراسان الطرابلسي الشاعر

هو أحمد بن الحسين بن حيدرة ، المعروف بابن خراسان الطرابلسي الشاعر ، ذكره ياقوت فى معجم البلدان عند الكلام على طرابلس الغرب ، وأنشد له من نظمه :

أحبابنا غير زهد فى محبتكم ... كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم ... وإن هجرتكم فالهجر مفترسى
ولست أرجو نجاحا فى زيارتكم ... إلا إذا خاض بحراً من دم فرسى
وأنثنى ورماح الخط قد حطمت ... فى كل أروع لاوان ولا نكس
حتى يظل عميد الجيش ينشدنا ... نظما يضىء كضوء الفجر فى الغلس(١)

٤ ـ ابن زرعة الشاعر

هو أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة ، الزهرى الأبرق أبو بكر مولى بنى زهرة ، الشاعر ، قال وقد حدثت فى مصر زلزلة :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا ... نجم العلى وسلسيل السادة الصلحا
مازلزلت مصر من كيد يراد بها ... لكنها رقصت من عدله فرحا

وهو يشير هنا إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى .

وقال أيضا فى الحاكم وقد مات وجاء فى عقب ذلك مطر :

أذرى لفقدك يوم العيد أدمعه ... من بعد ما كان يبدى الشر والضحكا
لأنه جاء يطوى الأرض من بعد ... شوقا إليك فلما لم يجدك بكى(٢)

---

(١) ٣٠ أعلام من ليبيا .
(٢) ٤٠ أعلام من ليبيا .

٥ — اللكى الشاعر

هو الحسين بن مروان بن عثمان اللكى الشاعر ، منسوب إلى لك بلدة ببرقة ، شاعر مجيد رقيق الإحساس ، دقيق الوصف ، ومن شعره :

تمكن منى السقم حتى كأننى ... تمكن معنى فى خفى سؤال
ولو سالمت عيناه عينى فى الكرى ... لأشكل من طيف الخيال خيالى
سمحت بروحى وهى عندى عزيزة ... وجدت بقلبى وهو عندى غال(١)

٦ — ابن البرقى الشاعر

أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن البرقى ، ذكره العماد فى الخريدة ، وأثبته ابن أبى الصلت ، وكان بينه وبين أبى النضر مودة ، وأورد له شعراً :

رمانى الدهر منه بكل سهم ... وفرق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارة كل قلب ... وفى عينى مدامع كل عين

وأنشد له ابن سعيد فى « المغرب » :

ولى سنة لم أدر ماسنة الكرى ... كأن جفونى مسمع والكرى عذل

وكتب ابن النضر له يوبخه فرد عليه :

لاتكذبن فما كنا لنوجب من ... حق وأنت تراه عنك قد سقطا
وليت عصر شبابى شاغل أملى ... بك اغتباطا وها فوداى قد شمطا

وتوفى فى ربيع الأول عام ٥٢٢ هـ ، وقد سبق أن ذكر أن اسمه على بن على البرقى نقلا عن كتاب أعلام ليبيا (ص ٢١٢) .

---

(٢) ١٠١ المرجع .

٧ – ابن شرف الاجدابى القيروانى الشاعر [١]

محمد بن أبى سعيد بن شرف الاجدابى من إجدابية إحدى مدن ليبيا ، تتلمذ على أبى الحسن القابسى ، وأثنى عليه الباجى ووصفه بالعلم والذكاء وأن [٢] علم الأدب بعض علومه ، وابن شرف عالم أديب متمكن ، تعلم فى القيروان ، وكان من أساتذته فيها أبو عمران الفاسى ، وأبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز شيخ علماء العربية فى القيروان ، وكان صديقا لأبى الحسن الحصرى صاحب كتاب زهر الآداب (المتوفى عام ٤٥٣ هـ) يحضر مجالسه الأدبية ، وقد كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه ، ورأس عندهم ، وشرف لديهم كما يقول ابن رشيق . واتصل بالمعز بن باديس ، كما اتصل بوزيره ابن أبى الرجال الذى كان شاعرا أديبا ، وكان المعز قد نشأ على حب الأدب وتذوقه وعلى تقدير الأدباء ، وعلى الرغبة فيهم والحفاوة بهم ، وصار ابن شرف أحد شعراء حضرة المعز .

ولما نكبت القيروان بتخريب الهلالية لها هاجر ابن شرف مع المعز إلى المهدية ، التى هاجر إليها كذلك ابن رشيق . ثم اتخذ ابن شرف طريقه إلى صقلية ، ولحقه فيها كذلك ابن رشيق .

ولابن شرف قصيدة مشهورة فى رثاء القيروان ، قال فيها :

آه للقيروان أنة شجو ... من فؤاد بجاحم الحزن يصلى
حين عادت بها الديار قبورا ... بل أقول الديار منهن أخلى

---

(١) راجع ١ : ١٢٩ المنهل العذب ، وكتاب (حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها) .

(٢) ١ : ١٢٩ و ١٣٠ المنهل العذب .

ثم لا شمعة ، سوى أنجم تخـ   طو على أفقها نواعس كسلى
بعد زهر الشماع توقد وقدا   ومتان الذبال تفتل فتلا
والوجوه الحسان أشرق منهـ   ـن ، ويفضلنهن معنى وشكلا

ويصف جلاء أهل هذه المدينة عنها : رجالها ونسائها ، شيوخها وأطفالها ، وقد سالت بهم الطرق ، وازدحمت بهم مسالك البادية ، وما تعرضوا له فى خلال ذلك من عدوان وحشى ، لا يعرف ضميرا ، ولا يرقب فى هؤلاء إلا ولا ذمة . فيقول :

... بعد يوم كأنما حشر الخلـ   ـق حفاة به ، عوارى ، رجلى
ولهم زحمة هنالك تحكى   زحمة الحشر والصحائف تتلى
وعجيج وضجة كعجيج الخلـ   ـق يبكون والسرائر تبلى
من أيامى وراءهن يتامى   ملئوا حسرة وشجوا وثكلا
وحسان كأنها الشمس حسنا   كنفتها الأطهار ، نجلاء ، كحلا
فات كرسيها الجلاء فأضحت   فى ثياب الجلاء للناس تجلى
جار فيهم زمانهم وأولوا الأ   مر ففروا يرجون فى الأرض عدلا
تركوا الربع والأثاث وما يثـ   ـقل ، لا حامل من الناس ثقلا
لبسوا الباليات من خشن الصو   ف ، وعاد النبيه فى الناس خملا
نادبات : عفراء تسعد سعدى   وسعاد تجيب بالنوح جملا
ليس منهن من يودع جارا   لا ، ولا حرمة تشيع أهلا
كلهن اعتدى الفراق عليه   فاقتحمن الجلاء حفلا فحفلا
فإذا القفر ضمهم فرق الدهـ   ـر لهم غير ذلك النبل نبلا
من ثعابين حاملين نيوبا   عصلا : ذابلا ونبلا ونصلا
وشياطين رامحين يلاقو   ن بجوف الفلا مساكين عزلا
فتعرى الظهور تقتل عتلا   وتشق البطون تغسل غسلا
فإذا مطمع أصابوه فى أحـ   ـشاء قوم غموا بذلك كلا
فإذا نجت المقادير منهم   راحلا بالخلاص يحمل رحلا

لقى الهون والمذلة أنى ... كان فى سائر البلاد وحلا
ليس يلق إلا امرأ مستطيلا ... طالبا عنده حقودا وذحلا
فترى أشرف البرية نفساً ... ناكسا رأسه يلاطف نذلا
فهمو كلما نبت بهم أر ... ض مطايا الفراق خيلا ورجلا
مزقوا فى البلاد شرقا وغربا ... يسكبون الدمع هطلا ووبلا
لايلاقى النسيب منهم نسيبا ... يتعزى به ، ولا الخل خلا

ولم يلبث ابن شرف أن ضاق بصقلية ، فطمح ببصره إلى الأندلس، وعاد مرة أخرى إلى مكابدة السفر فى البحر ، مما يقول فيه :

كأنى وأفراخى - إذا الليل جننا ... وبات الكرى يجفو جفوناويطرق
حمائم أضللن الوكور فضمها ... تجانسها حتى تراءى المفرق
إذا أفزعتهم نبوة زاحموا لها ... ضلوعى حتى ودهم لو تفتق
ويصغر جسمى عن جميع احتضانهم ... فيثبت ذا فيـــه وذا عنه يزهق
كأنهم لم يسكنوا ظل نعمة ... لها بهجة ملء العيون ورونق
إلى أن غدوا فن الفيافى فتارة ... تباع ، وفى بعض الأحايين تعتق
وطوراعلى موج البحار ، كأننا ... قذى قد وثقنا أننا ليس نغرق
ونحن نفوس تسعة ليس بيننا ... وبين الردى إلا عويد ملفق

ويقول أيضا :

أطائل ماسمعت بالفلا ... قط ، فعاينت الفلا دارها
ولا رأت أبصارها شاطئا ... ثم جلت باللج أبصارها
وكانت الأستار آفاقها ... فعــادت الآفاق أستارها
ولم تكن تعلو سريرا علا ... إلا إذا وافق مقدارها
ثم علت كل عثور الخطا ... ترمى بها الأرض وأحجارها
ولم تكن تلحظها مقلة ... لو كحلت بالشمس أشفارها
فأصبحت لاتتقى لحظــة ... إلا بأن تجمع اطمارها

وأقام ابن شرف فى الأندلس منذ عام ٤٤٧ ﻫ فى غرناطة والمرية حينا ، وفى شرق الأندلس وغربها حينا آخر . وظل مع ذلك يذكر وطنه القيروان ويحن إليه ، فيقول فيما يقول :

يا قيروان ! وددت أنى طائر ... فأراك رؤية باحث متأمل
آها ! وأية آهة تشفى جوى ... قلب بنيران الصبابة مصطلى
لا كثرة الإحسان تنسى حسرة ... هيهات تذهب علة بتعلل
وإذا تجدد لى أخ ومنادم ... جددت ذكر أخ هنالك أول
(لو كنت أعلم أن آخر عهدهم ... يوم الرحيل فعلت مالم أفعل)

وأخذ ابن شرف ينظم قلائد الأدب شعرا ونثرا ، وألف فيما ألف : « أعلام الكلام » ، و « أبكار الأفكار » . وكان يعاصر ابن رشيق ..

ولما قال ابن رشيق :

مما يبغضنى فى أرض أندلس ... سماع مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

أجابه ابن شرف الاجدابى بقوله :

إن ترمك الغربة فى معشر ... قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم ... وأرضهم مادمت فى أرضهم

وله من قصيدة :

كسيت قناع الشيب قبل أوانه ... وجسمى عليه للشباب وشاح
ويارب وجه فيه للعين نزهة ... أمانع عينى منه وهو مباح
وأهجره وهو انتراحى من الورى ... وقد تهجر الأمواه وهى قراح

ووصفه الباجى بالعلم والذكاء (١) ، ومن مؤلفاته أيضا كتاب « رسائل الانتقاد » عارض به كتاب « العمدة » لابن رشيق ، وقد تأنق فيه فسجعه

---

(١) ٢٦٠ أعلام ليبيا .

وزينه بالتشابيه والكنايات ، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب ؛ وضمنه انتقادا على الشعراء الجاهليين ومن بعدهم ، وشتان بينه وبين كتاب ابن رشيق ، وقد نشرت رسائل الانتقاد فى مجلة المقتبس فى السنة السادسة .

وتوفى ابن شرف عام ٤٦٠ هـ (١) بالأندلس ودفن فى المرية .

٨ — ابن رشيق القيروانى

٣٩٢ - ٤٥٦ هـ

أبو العباس الحسن بن رشيق أبوه مملوك رومى من موالى الأزد ، كان صائغا فى بلدة المحمدية (٢) فعلمه أبوه صناعته ، وقرأ الأدب وقال الشعر ، وأخذ عن علماء المغرب العربى فى طربلس وغيرها ، ورحل إلى القيروان عام ٤٠٦ هـ وأقام فيها واشتهر بها ومدح أميرها المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٤٩ هـ) وابنه الأمير تميم (٤٤٩ - ٥٠١ هـ) ؛ ولما هجم عليها العرب من بنى هلال وقتلوا أهلها وخربوها انتقل إلى صقلية وأقام فى مازر إلى أن مات؛ وله كتاب تزييف نقد قدامة ، وكتابه « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » وهو من أشهر كتب النقد فى الأدب العربى (٣)، وكتاب « قراضة الذهب فى نشر أشعار العرب » (٤) ، وتوفى عام ٤٥٦ هـ ، أو عام ٤٦٣ هـ ؛ وقد ألف فيه كتاب « ابن رشيق » لعبد الرؤوف مخلوف (عدد ٤٥ من سلسلة أعلام العرب) ، وبساط العقيق فى حضارة ابن القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسنى عبد الوهاب ، وابن رشيق لعبد العزيز الميمنى ، والمنتف من شعر ابن رشيق وابن شرف للميمنى ؛ وحياة القيروان وموقف ابن رشيق منها للباغى .

---

(١) راجع ٢ : ٢٨٣ تاريخ آدب اللغة العربية لزيدان .

(٢) من أعمال برقة (٢ : ٧٧ المنهل العذب) ، وراجع ١ : ٢٧٧ إنباه الرواه للقفطى .

(٣) دراسات فى النقد الأدبى ص ٢٦١ للمؤلف ، ٢ : ٣٣٤ و ٢٨٣ جورجى زيدان .

(٤) ١ : ١٣٣ ابن خلكان ، ١ : ١٢٧ معجم الأدباء لياقوت .

ابن هانىء الأندلسى فى القيروان وبرقة

ابن هانىء الأندلسى (٣٢٠-٣٦٢هـ) شخصية مشهورة ، وعلم من أعلام الشعر فى القرن الرابع الهجرى ، ويقرن بالمتنبى فى روعة الشعر وبلاغته .

ولما بلغ ابن هانىء الخامسة والعشرين من عمره هاجر من الأندلس إلى المغرب عام ٣٤٧هـ ونزل فى المهدية وطن والده ، واتصل بجوهر قائد المعز ومدحه ، كما مدح جعفر بن على القائد الفاطمى أمير ولاية الزاب والمسيلة .

وفى عام ٣٥٠هـ وصل الشاعر إلى القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية ، فسعى إلى الخليفة ومثل بين يديه ، وأنشده شعره ومدائحه فيه وفى الخلافة وجلال الدولة وعظمة أيامها ، وتصوير عزها الشامخ ، ومجدها المكين .

ومن مدائح الشاعر فى المعز قصيدة قيل عنها إنها أول شعر مدح به ابن هانىء الخليفة المعز ، وفيها يقول الشاعر :

ملك أناخ على الزمان بكلكل ... فأذل صعباً فى القياد جموحا

ويحذر أعداءه سطوته ويشيد بانتصارات جيوشه فيقول :

ونصرت بالجيش اللهام وإنما ... أعددته قبل الفتوح فتوحا
بزجيه أروع لو يدافع باسمه ... علوى أفلاك السماء أزيحا
فكأنما ملك القضاء مقدرا ... فى كل أوب ، والحمام متيحا

ويصف الأسرى وبؤسهم ، وأسطول المعز وقوته ، وتتبع بنى أمية لحركاته البحرية ، ويذكر مأتمهم الذى تجاوبت به الدنيا ، ورزء فقيدهم الذى فقدوه ، ويدعو إلى القضاء على دولتهم فى الأندلس ، فيقول :

وأمية تحفى السؤال وما لمن ... أودى به الطوفان يذكر نوحا ؟
تتجاوب الدنيا عليهم مأتما ... فكأنما صبحتهم تصبيحا
لبسوا معاليهم ورزء فقيدهم ... كاللابسات على الحداد مسوحا

أنفذ قضاء الله فى أعدائه   لتراح من أوتارها وزيحا

إلى أن يقول :

أعليك تختلف المنابر بعد ما   جنحت إليك المشرقان جنوحا؟
أم فيك تختلج الخلائق مرية   كلا وقد وضح الصباح وضوحا
صورت من ملكوت ربك صورة   وأمدها علما فكنت الروحا

والقصيدة قوية رائعة . ويتجلى من قراءتها أنها نظمت على أثر انتصار حربى لجيوش المعز ، ولكن لاندرى فى أى عام كان هذا الانتصار . ونتساءل : من هو هذا الفقيد الذى لبست أمية رزءه فى الأندلس ، وتجاوبت بمأتمه الدنيا؟ لم يفصح الشاعر بشىء ، ولا يبعد عندى أن يكون هو الملك الناصر الذى توفى عام ٣٥٠ هـ ، وإذاً يكون تاريخ القصيدة هو هذا التاريخ ، وإذا صح أنها أول ماأنشده ابن هانىء أمام الخليفة فيكون إذاً بدء اتصاله به هو عام ٣٥٠ هـ .

ولابن هانىء قصيدة أخرى نالت إعجاب الخليفة ، وكوفىء عليها مكافأة طائلة بلغت خمسة عشر ألف دينار وذكر الديوان أنه قد قيل فيها إنها أول ماأنشده الشاعر بالقيروان من شعر فى المعز ومطلعها :

هل من أعقة عالج يبرين   أم منهما بقر الحدوج العين ؟

ويقول فيها :

هذا معد والخلائق كلها   هذا المعز متوجا والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التى   بدأ الإله ، وسرها المكنون

ويحرض فيها المعز على العبور إلى الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية فيها ، والقصيدة رائعة ، قوية فى نظمها وفى روحها وفى العقيدة التى تملأ جوانبها بالحياة الفنية المشبوبة : وهى على أى حال من أوائل القصائد التى نظمها ابن هانىء فى المعز ، بعد إقامة الشاعر فى القيروان عام ٣٥ هـ ؛ أقام ابن هانىء فى فناء الخليفة ، واستظل بظله ، وعاش فى القيروان عاصمة دولته ، بروح

ويغدو كل يوم إلى الخليفة ، ينشر أمامه الثناء المحبر والشعر الساحر ، والقوافى البليغة ، التى يشيد فيها بالدولة والخليفة ، ويدعم حقها فى تراث الرسول ، ويذود عنها أعداءها من الأمويين والعباسيين ، ويشدو بأيامها وانتصاراتها ، كل هذا والخليفة يزيده عطفا ورعاية وتمكينا .

وبذلك ابتدأت صفحة جديدة فى حياة الشاعر ، فعاش فى مجد الدولة وظلها ، وبين سمع الزمان وبصره . .

وصار ابن هانىء فى القيروان شاعر الخليفة ، والشاعر السياسى لدولة الخلافة الفاطمية ، ينطق بمجدها ، ويتحدث عن عظمتها الروحية والسياسة والحربية ، وكان يجد فى عظمة المعز وعصره مجالا فسيحا ينظم الشعر فيه .

نعم إن قصائده كانت فى أول اتصاله ببلاط المعز تدور حول إثبات وجود الشاعر والتمكين لنفسه ولشخصيته فى الدولة ، وتصوير آلامه والخطوب التى احتملها ، وشكر أيادى الخليفة التى تغدق عليه المال والعطاء ، ولكنها مع ذلك كله لم تخل من الحديث فى مجد الخلافة والدولة وعاهلها العظيم ، وفى انتصارات الفاطميين الحربية والبحرية على الروم عام ٣٥١ هـ إلى ٣٥٤ هـ ، نظم ابن هانىء كثيرا من القصائد الرائعــة التى صور فيها هذه الانتصارات الباهرة أبلغ تصوير ، ثم كان فتح مصر عام ٣٥٨ هـ فألهم الشاعر بآيات ساحرة من القريض ، ونظم ابن هانىء بعد ذلك قصائد هى صورة صادقة لما تلا ذلك من أحداث حتى وفاته عام ٣٦٢ هـ مقتولا فى برقة ، ولما بلغ المعز خبر وفاته حزن حزنا شديدا وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك(١) .

---

(١) ابن خلكان ج٢ ص ٥٠٤ — ويروى أن ابن هانىء قتل مخنوقا بتكة سرواله ، وربط فى شجرة بعد ليلة معربدة ، وكان موته فى برقة بأيدى بعض اللصوص أو بفعل مؤامرة سياسية كما أرجح .

كان ابن هانىء فى هذه الفترة العظيمة التى قضاها فى بلاط المعز شاعر الخليفة ، والشاعر السياسى ، وشاعر العقيدة الفاطمية بمبادئها الروحية وآرائها السياسية ومعتقداتها الدينية ، وصارت شخصيته فى هذا العهد أظهر شخصية بين الأدباء والشعراء وبين رجال الدولة والسياسة ، وأغدق عليه المعز المال إغداقا ، وحسبك أن نونيته وحدها قد كافأه المعز عليها بخمسة عشر ألف دينار ، ولننتقل بعد ذلك إلى مرحلة جديدة من التحليل الأدبى لبعض قصائد الشاعر فى هذه الفترة الحافلة .. لابن هانىء كثير من القصائد التى نظمها فى المعز وتسمى « المعزيات » .

لما وصل إلى المعز نبأ فتح مصر على يد قائده جوهر صور ابن هانىء الفتح وأنباءه ونتائجه السياسية تصويراً باهرا فى قصيدة بالغة نهاية الروعة والسحر والبلاغة ، وهى المثل الأول لقوة العقيدة فى نفس الشاعر ، ولأثر هذه العقيدة فى فنه الشعرى الموهوب ، ومطلعها :

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبنى العباس : قد قضى الأمر

وقيل إن الشاعر بدأها بدعوة المعز إلى فتح بغداد :

تجهز إلى بغداد قد فتحت مصر وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهر
تقول بنو العباس هل بلغ المدى فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

وهو يدل على طموح الفاطميين السياسى أبعد غايات الطموح ، ويسترسل ابن هانىء فى قصيدته استرسالا جميلا ، فيصور الفتح وأثره ومداه وما ترتب عليه من نتائج ويقرر حق الفاطميين فى تراث الرسول ، ويذود عنهم خصومهم السياسيين ، ويصف الجيش الفاتح ، ودخوله الإسكندرية ، ورسول القاهرة إلى جوهر ، ثم سيره إليها ، وقضاءه على الدولة الإخشيدية ، ويدعو الشاعر العالم الإسلامى إلى أن يستظل بلواء الفاطميين ، وأن يدخل فى نظامهم السياسى ، والإ فالويل لمن يقف فى طريق السيل المنهمر ، ويتهكم ببنى العباس إلى أن يقول :

ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت ... وما لبنى العباس فى عرضها فتر
فقد دالت الدنيا لآل محمد ... وقد جررت أذيالها الدولة البكر

ويشيد بالمعز ويده على العلويين :

من انتاشهم فى كل شرق ومغرب ... فبدل أمنا ذلك الخوف والذعر
فكل إمامى يجىء كأنما ... على خده الشعرى وفى وجهه البدر

ويبشر بهذا الفتح العالم الإسلامى ، لاسيما قلبه الخافق ، البيت المحرم ، الذى يراه عما قريب سيكون فى قبضة المعز وسلطانه ، إلى أن يقول :

حبيب إلى بطحاء مكة موسم ... تحيى «معدا» فيه مكة والحجر

ويصور آثار الفتح ، ويشيد بالخليفة ، ويهنئه به ، فى حرارة وقوة إيمان ويصف الأمن والعدل اللذين سادا مصر على يد جوهر ، وينوه بجوهر وأعماله ومجده وولائه إلى أن يقول :

رضينا لكم ياأهل مصر بدولة ... أطاع لكم فى ظلها الأمن والوفر
لكم أسوة فينا قديما لم يكن ... بأحوالنا عنكم خفاء ولا ستر

إلى أن يقول :

ألا إنما الأيام أيامك التى ... لك الشطر من نعمائها ولى الشطر

والقصيدة من أروع شعر ابن هانىء ، ومعجزة من معجزات فنه الخالد .

وفى المغرب وجد الشاعر شعراء ، اتخذهم أندادا لا أساتذة ؛ كان من شعرائه على التونسى الشاعر ، الذى قال فيه ابن هانىء لما هجاه شعراء المغرب بعد هجرته : «لا أجيب منهم أحدا إلا أن يهجونى على التونسى فأجيبه (١)» . وكان منهم عبدالله بن الحسن الجعفرى ، ومقداد بن الحسن الكتامى وسواهم من الشعراء ؛ وهكذا عاش ابن هانىء فى القيروان وبرقة وربوع المغرب خمسة عشر عاما ، كل ثروته الشعرية هى من إنتاجه الأدبى فى هذه الفترة الصغيرة فى حياة الشاعر ..

---

(١) ١ : ٧١ عمدة .

الأدب العربي فى ليبيا

فى ظلال الموحــدين والحفصيين

٥٥٦ — ٩٥٨ هـ

هذا العصر التاريخى

— ١ —

قام محمد بن تومرت المهدى بسوس : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وآزره فى دعوته عبد المؤمن بن على ، وبايع الناس ابن تومرت بالإمارة عام ٥٣٢ هـ ، فأنشأ فى المغرب دولة جديدة سميت دولة الموحدين ، وصارت بلاد المغرب تحت حكمهم .

وعاصرت دولة الموحدين دولا كثيرة ، منها : دولة المرابطين (٤٣٤ - ٥٣٩ هـ) - والدولة الحمادية بالجزائر[١] (٤٠٥-٥٤٧ هـ) ، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية ؛ ومات ابن تومرت [٢] عام ٥٣٤ هـ ، فخلفه تلميذه عبد المؤمن بن على [٣] ، الذى فتح البلاد ، وطوى الممالك ، وضم الأندلس إلى مملكته حيث انتزعها من أيدى المرابطين ، وقضى على دولتهم عام ٥٤١ بعد أن استمرت نحو ستة وخمسين عاما (٤٨٤ - ٥٤١ هـ) ، وأصبحت دولة الموحدين تشمل شمال بلاد المغرب من طرابلس إلى مراكش ، وكذلك الأندلس ، وتوفى عبد المؤمن فخلفه ابنه يوسف على الملك (٥٥٨ - ٥٨٠هـ)،

---

(١) كان محمد بن حماد ببجاية فى القرن الخامس الهجرى ولوعا بندب آثار أسلافه الحماديين بالقلعة وما حولها من الأمكنة ، وله فى ذلك شعر كثير ، (راجع ٢ : ٢١٣ و ٢١٤ تاريخ الجزائر) .

(٢) لابن تومرت كتاب فى أصول الدين على مذهب الأشاعرة ، وكان أشعريا ، وتأثر بآراء أستاذه الغزالى ، وحاول نشرها فى المغرب ، وقد سموا الموحدين تسجيلا لتوحيدهم الله ، وتعريضا بمن جنح عن التأويل ووقف عند الظاهر .

(٣) بنى عبد المؤمن بن على مدينة الرباط فى مراكش عام ٥٤٥ هـ : ١١٥٠ م لتكون مركزا لتجمع الجيوش الموحدية الغازية .

ثم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ، ثم محمد بن يعقوب (٥٩٥ - ٦١٠ هـ) ، ثم يوسف بن محمد بن يعقوب (٦١٠ - ٦٢١ هـ) ، وحكم الموحدون البلاد نحو خمس وسبعين سنة (٥٥٤ - ٦٢٩ هـ) وكان بدء دولتهم عام ٥٢٤ هـ .

كانت أسرة بنى مطروح (١) فى طرابلس خاضعة لنفوذ النورمانديين فى صقلية ، فلما عظم شأن الموحدين فى عهد عبد المؤمن بن على طرح يحيى ابن مطروح طاعتهم وسار على رأس وفد من الشعب الليبى إلى المهدية وبايعوا عبد المؤمن بن على بالخلافة ، وبذلك دخلت ليبيا فى حكم الموحدين وصار يحيى بن مطروح واليا عليها من قبلهم ، وشغل وظيفته نحو اثنى عشرة سنة ، وفى عام ٥٦٨ هـ استأذن من ملك الموحدين يوسف بن عبد المؤمن فى الحج ، فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وهيأ لوازمه ، وغادر طرابلس ، حيث ركب إحدى السفن التجارية ، واستقر عام ٥٦٨ هـ غرب الإسكندرية ، وقيل المكان الذى نزل فيه مرسى مطروح فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وكثر الطامعون فى الإمارة والحكم من الثائرين ، فى ذلك العهد ، ممن حكموا ليبيا ، وإن ظل نفوذ الموحدين غالبا فيها (٢) ، وينافسهم فى هذا النفوذ ملوك الدولة الحفصية (٦٢٥ - ٩٨١ هـ) . .

وبعد انتهاء دولة الموحدين اتسعت المملكة الحفصية (٣) ، فشملت

---

(١) راجع ١ : ١٣٦ و ١٤٠ المنهل العذب .

(٢) راجع وصف لآثار الموحدين فى مراكش والأندلس (أشبيلية) فى عدد رجب ١٣٨٤ م من مجلة قافلة الزيت بالظهران - فى مقال للمؤرخ محمد عبد الله عنان بعنوان « أطلال مغربية » .

(٣) عاصر الحفصيون دولة المماليك فى مصر ، ودولة بنى مرين بفاس (٦٥٧ - ٨٦٩ هـ) ، والدولة الزيانية بتلمسان (٦٣٣ - ٩٥٧ هـ) ، ودولة بنى الأحمر فى غرناطة ، وسواها (راجع الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية لابن =

طرابلس وتونس والجزائر ومراكش التى انضم ملوكها من بنى مرين إلى الحفصيين ، وقدموا لهم فروض الولاء ، وقد أسس دولة الحفصيين أبوزكريا يحيى بن عبد الواحد ، وكان واليا على إفريقية من قبل الموحدين منذ رجب ٦٢٥ هـ ، ومالبث أن استقل عنهم سنة ٦٢٦ هـ ؛ وبعث أبوزكريا إلى طرابلس بولاته . . . ولما ضعف نفوذ الحفصيين أغار لويس التاسع ملك فرنسا على تونس عام ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) فى الحملة الصليبية الثامنة بعد أن هزم من قبل فى المنصورة عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ، ولقى لويس حتفه فى تونس عام ١٢٧٠ م ٦٦٩ هـ ، وشاهدت الخلافة الحفصية عهدا مضطربا دام مائة عام ، فاستقلت أسرة بنى ثابت بطرابلس (١) ، ثم غزا أهالى جنوا بإيطاليا مدينة طرابلس ، وقويت الخلافة الحفصية مرة أخرى فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى ، فعادت البلاد إلى وحدتها القديمة ومجدها السالف ، وسادها الأمن ، وفى آخر القرن التاسع الهجرى حدثت نكبة الأندلس عام ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م وطرد العرب منها ، فأخذوا يهاجرون جماعات وأفرادا إلى أرض المغرب العربى الكبير وينزلون فى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، فعاد لهذه البلاد ازدهارها .

وقد عقدت الدولة الحفصية معاهدات تجارية وسياسية مع مدن أوربا

= قنفذ ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد الزركشى ، تاريخ الموحدين والحفصيين لابن الشماع ، والخلاصة النقية فى أمراء إفريقية لمحمد الباجى ، وتاريخ ابن خلدون ، وكتاب « عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس » لمحمد عبد الله عنان ، وسوى ذلك من المصادر .

(١) منهم أبو بكر بن محمد بن ثابت الطرابلسى أمير طرابلس ، وقد حارب أهل جنوا الذين استولوا على طرابلس وهزمهم ، ومات وهو أمير على المدينة عام ٧٩٢ هـ (١٩ أعلام ليبيا) ومنهم ثابت بن محمد أول أمير من الأسرة (٧٣٠ هـ) وثابت الثانى (نحو ٧٣٥ هـ) ومحمد بن ثابت (٧٥٠) .

التجارية كبرشلونة وجنوة وصقلية والبندقية ومرسيليا ، واشتهرت أسواق طرابلس وتونس بين التجار الأوربيين ، وبتأثير هجرة الأندلسيين والصقليين إليها ازدهرت الفنون والصناعات والعلوم والآداب، وظهر أثر الفن الأندلسى فيما أنشىء من المبانى : كجامع القضاء بتونس وصومعته المشهورة وأسواق المدينة وأبوابها التى ماتزال موجودة إلى الآن ؛ ونهضت العلوم والآداب ، وعمل الملوك الحفصيون على تشجيع العلم والأدب فى أنحاء بلادهم ، فأسسوا المدارس ، ونظموا التعليم بجامع الزيتونة ، وأنشأوا المكتبات ، وظهر فى أيامهم كثير من الأدباء والشعراء . ومن مشاهير هذا العصر ابن خلدون والأطباء من آل الصقلى ، وكذلك الإمام المازرى (٧٣١ هـ) وابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) وغيرهم (١) ؛ ومن الأدباء ابن حازم القرطاجنى (٦٠٨ - ٦٨٤ هـ)، ومن الرحالة ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩ هـ : ١٣٧٧م) ، ومن أدباء أهل المغرب أبو إسحاق إبراهيم التلمسانى الأنصارى الكاتب الشاعر الرحالة الذى دخل مصر والشام وغيرهما ومات بسبته عام ٦٩٠ هـ .

وظل نفوذ الحفصيين سائدا فى ليبيا إلى بدء الحكم العثمانى لها عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م) ، وإن كان إقليم برقة يخضع لنفوذ المماليك فى مصر ولسلطانهم الأسمى .

— ٢ —

أربعة قرون كاملة عاشتها ليبيا العربية فى ظلال نفوذ الموحدين والحفصيين ، وفى ظلال حكام من بيوت ليبية صميمة مثل بيت بنى مطروح وبيت بنى ثابت .

وفى هذه القرون الأربعة وعلى الرغم من كثرة الحروب والخلافات

---

(١) راجع ٢ : ٣٠٨ — ٣١٩ قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف .

السياسية فيها ، والثورات التى كثيرا ماتنشب من آن لآخر ، قويت العربية ، واستحكمت الألسنة ، وصقلت الطباع ، وازدهر الأدب ، وكثر الأدباء والشعراء ، وتعددت حلقات العلم فى كل مدينة من مدن ليبيا وقراها ، وأثمر هذا العهد نهضة أدبية زاهرة فى النثر والشعر ، وبتأثير ازدهار الحياة العلمية والأدبية نهضت الكتابة ، وهى أهم ألوان الأدب ، فوجدنا كتابة الرسائل وكتابة التأليف قوية رصينة دقيقة ؛ وبعد أن كانت الكتابة والنثر الفنى مقصورة على الأمراء والعلماء تخرج فى الفصاحة والبلاغة الموالى من البربر ، فشاركوهم فيها ؛ وأصبحت الكتابة صناعة اقتدى الكتاب فيها بكتاب مصر والأندلس وبغداد ، ففشا فيها السجع والتأنق فى المجاز والاستعارة . وما جاءت الدولة الفاطمية والصنهاجية إلا ولصناعة الكتابة منزلة عند ملوكهم ليس وراءها إلا منزلة أمراء الجيوش وأمراء الأساطيل ، فكان من كتاب عصر الصنهاجيين : على بن أبى الرجال ، وابن رشيق ، وابن شرف ، وابن القزاز .

وفى عهد الموحدين والحفصيين هاجر كثير من أعلام كتاب الأندلس إلى بلاد المغرب العربى ، حتى اجتمع منهم فى بلاد العدوة الإفريقية مالم يجتمع مثله للملك من ملوك الطوائف فى الأندلس ، فكان منهم : أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال ، وأخوه أبو مروان ، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون ، وابن عياش ، وابن محشوة ، وابن الميمون ، فنشروا طريقة الأندلسيين فى الكتابة ، وتخرج عليهم كثيرون ثم اضمحل أمر الكتابة بالتدريج ، حتى أصبحت مجرد سجع قليل البلاغة ، متكلف التقفية .

— ٣ —

وهذا فصل من رسالة كتب بها ابن الميمون عن المستنصر بالله أحد ملوك الحفصيين (٦٨٣ — ٦٩٤ هـ) إلى بعض نوابه ، وقد نقض العهد على بعض المهادنين من النصارى : قال بعد الديباجة :

بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلا ، ونخوة تعقب هوانا وذلا ؛ وقد أخطأتم فى فعلتكم الشنيعة من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه خلاف ما أمر الله به من الوفاء بالعهد، والوقوف مع العقد

الثانى : عصيان الأمر العزيز ، وفيه التغرير بالمهج ، وترك السعة للحرج .

الثالث : أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم ، قصمه الله ، شررا ، يستعر ضراما يعدم فيه المنتصر ، فليتكم إذ تحليتم بالعصيان ، ورضيتم الغدر المحرم فى سائر الأديان ، ثبتم للعدو إذ دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوى حين زحمكم .

فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته ، فأدوا من أسرتم إلى مأمنه ، وردوا ما انتهبتم إلى مسرحه ، ولا تمسكوا من الأسارى بشعرة ، ولا من الماشية بوبرة ، ومن سمعنا عنه بعد وصول هذا الكتاب أنه تعدى هذا الرسم ، وخالف هذا الحكم ، أنفذنا عليه الواجب ، وحكمنا فيه المهند الغاضب . فلتسرع من نومة الغفلة إفاقتكم ، ولا تتعرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم . ونحن متعرفون مايكون منكم من تأن أو بدار ، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار وإنكار . . وهو يرشدكم بمنه .

أشهر العلماء والأدباء فى هذا العصر

نبغ فى هذا العصر الكبير (٥٥٦ - ٩٥٨ هـ) ، الذى استمر أربعة قرون كاملة ، فحول العلماء والأدباء والشعراء ممن عاشوا فى ظلال نهضة علمية كبيرة ازدهرت فى مدن ليبيا والمغرب العربى كله ، على الرغم من كثرة الاضطرابات السياسية والدينية فى هذه الفترة . .

وسوف نذكر هنا بعض هؤلاء الأعلام الخالدين :

١ - أحمد بن محمد الآبى من ناحية برقة أديب شاعر توفى عام ٥٩٨ هـ، وأقام بالإسكندرية والقاهرة مدة طويلة ، وترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (جـ ٥ ص ٥٥ - ٥٩) .

٢ - أبو إسحاق إبراهيم المصراتى ، تولى الخطابة بجامع القيروان ؛ وتوفى بها عام ٧٠٤ هـ(١) .

٣ - أبو على الحسن الطرابلسى (٦٠٩ - ٦٨٣ هـ) كان فقيها عالما ، كاتبا بارعا أديبا (٩٢ و٩٣ نفحات النسرين والريحان) وكان خطيبا أديبا ، وله شعر كثير ، ومنه قوله :

آها نردد لو تشفى لنا كربا وبالتعلات نحيي لو قضت أربا
وبالأمانى ينال القلب بغيته وقد تحقق من معتادها كذبا(٢)

وتوفى فى تونس عام ٦٨٣ هـ وستأتى ترجمة له . .

---

(١) ٨ أعلام ليبيا الزاوى ، ١ : ١٧١ ، ١٧٢ المنهل العذب .

(٢) ٢٣ - ٢٥ أعلام ليبيا ، و ٢٨ - ٣٠ مجلة القلم الجديد (تموز ١٩٥٣) ، وأعلام من طرابلس المصراتى .

٤ — أبو القاسم الطرابلسى الرماح (٧٨٥ ـ ٨٨٧ هـ) [١] .

٥ — أبو موسى الهوارى الطرابلسى توفى عام ٧٦٠ هـ [١] .

٦ — أحمد القروى (٨١٤ - ٨٩٦ هـ) أحد الأئمة الفقهاء [٢] .

٧ — أحمد التاجورى كان حافظا للآداب والتاريخ (٦٣٥-٧٠٨هـ) [٣] .

٨ — أحمد بن محمد (٩٨٩ هـ) من أصحاب عبد السلام الأسمر [٤] .

٩ — أحمد القيروانى من تلامذة عبد السلام الأسمر ومن أعلام المائة التاسعة [٥] .

١٠ — أحمد بحر السماح (٩٧٩ هـ) [٦] .

١١ — أحمد زروق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أئمة العلماء ، شرح حكم ابن عطاء الله ، ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر (١٠٦) ٦١٥٠ ، و ١٣١٤ بخيت ، وشرح العقيدة القدسية للغزالى وله مؤلفات كثيرة [٧] منها كتابه « قواعد التصوف » ، وهو مطبوع بالمطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٨ هـ .

١٢ — راشد بن أبى زيد من تلامذة عبد السلام الأسمر توفى ٩٨٩ هـ [٨] .

١٣ — سالم بن طاهر (٩٩٩ هـ) لقى الأسمر عام ٩١٠ هـ كان مشاركا فى جميع العلوم [٩] .

١٤ — شعبان الفرارى من تلامذة الأسمر توفى عام ٩٩٧ بغريان [١٠] .

---

(١) ٢٨ أعلام ليبيا .
(٢) ٣٧ و ٣٨ المرجع .
(٣) ٣٨ و ٣٩ المرجع .
(٤) ٤٦ المرجع .
(٥) ٥٣ و ٥٤ المرجع .
(٦) ٥٥ المرجع .
(٧) ٦٥ - ٦٧ أعلام من ليبيا .
(٨) ١٠٩ المرجع ، ١ : ١٩٣ المنهل العذب .
(٩) ١٢٠ المرجع .
(١٠) ١٣٤ المرجع .

١٥ ـ صالح الطرابلسى من العلماء الفضلاء وتتلمذ على الأسمر ، توفى ٩٨٩ هـ [١] .

١٦ ـ عبد الحميد بن أبي الدنيا الطرابلسى من أئمة العلماء وكان شاعرا مجيدا وله تآليف كثيرة (٦٠٦ - ٦٨٤ هـ) [٢] ، وله من شعره قصيدته :

طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيت بالتوحش مؤنس

١٧ ـ عبد الحميد الكمودى (٩٠٥ - ٩٩١ هـ) من أئمة العلماء ، تلقى عن الأسمر [٣] .

١٨ ـ عبد الرحمن التاجورى الطرابلسى (٩٦٠ هـ) من أعلام العلماء [٤] .

١٩ ـ عبد الرحمن الطرابلسى المحدث (٥٧٠ - ٦٥١ هـ) [٥] .

٢٠ ـ عبد الرحمن السليمى من مشاهير العلماء توفى عام ٨٩٩ هـ [٦] .

٢١ ـ عبد السلام الأسمر (٨٨٠ - ٩٨١ هـ) من أعظم علماء عصره ومن كبار الصوفية [٧] .

٢٢ ـ عبد السلام المصراتى (٦٤٦ هـ) عالم صوفى [٨] .

٢٣ ـ عبد العزيز الطرابلسى (٦٢٩ - ٧٠٨ هـ) من أئمة العلماء فى عصره [٩] .

---

(١) ١٣٦ أعلام من ليبيا ، ص ٩٠ نفحات النسرين والريحان .
(٢) ١٥٤ و ١٥٥ أعلام . (٣) ١٥٦ المرجع .
(٤) ١٥٨ - ١٦٠ المرجع ، ١ : ٢١١ المنهل العذب .
(٥) ١٦٠ أعلام من ليبيا .
(٦) ١٦١ المرجع .
(٧) ١٦٩ - ١٧٢ المرجع .
(٨) ١٧٣ المرجع ؛ ١ : ٢٢١ - ٢٢٣ المنهل العذب .
(٩) ١٧٨ و ١٧٩ أعلام من ليبيا .

٢٤ - عبد الله بن شرف الطرابلسي (٩٤٠ هـ) من قواد الدفاع عن طرابلس ضد الأسبان[١] .

٢٥ - عبد النبي الصنهاجي عالم متصوف من القرن التاسع الهجري[٢] .

٢٦ - علي بن أبي عجيلة عالم متصوف (٩٨٩ هـ)[٣] .

٢٧ - أبو الحسن علي بن محمد (٩٩٧ هـ)[٤] من العلماء والنساك .

٢٨ - عمر القريوي (٩٠٦ - ٩٩٩ هـ)[٥] من كبار العلماء ، كانت له حلقة علمية بطرابلس .

٢٩ - عمران بن عبد السلام الأسمر (٩٩٥ هـ) من العلماء والنساك[٦] .

٣٠ - عمران الطرابلسي (٦٦٠ هـ) من العلماء والخطباء[٧] .

٣١ - غلبون السالمي (٧١٠ هـ) من أسرة علمية جليلة[٨] .

٣٢ - كريم الدين البرموني المصراتي من مشهوري المؤرخين (٨٩٣ - ٩٩٩ هـ) ، وتاريخه « روضة الأزهار » مشهور[٩] .

٣٣ - محمد الجبالي من علماء طرابلس المشهورين (٩٩٨ هـ)[١٠] .

٣٤ - محمد الحجرسي (٩٠٧ - ٩٨٨ هـ) من العلماء والنساك[١١] .

٣٥ - محمد الخروبي (٩٦٧ هـ) من العلماء المعروفين وله تفسير مخطوط

---

(١) ١٨٩ المرجع .
(٢) ١٩٧ المرجع .
(٣) ٢٠٤ المرجع .
(٤) ٢١٥ المرجع .
(٥) ٢٢٧ المرجع .
(٦) ٢٣٩ المرجع .
(٧) ٢٤٠ أعلام ليبيا .
(٨) ٢٤٤ المرجع .
(٩) ٢٥٥ و٢٥٦ المرجع .
(١٠) ٢٨٤ المرجع .
(١١) ٢٨٦ المرجع .

فى دار الكتب المصرية فى ثمانية أجزاء(١) اسمه «رياض الأزهار»(٢) .

٣٦ — محمد البرق (٨٢٣ هـ) من العلماء(٣) .

٣٧ — محمد أبو طبل (٨٨٥ - ٩٨٧ هـ) من أصحاب الأسمر(٤) .

٣٨ — محمد الحطاب الطرابلسى (٨٥٦ - ٨٩٦ هـ) من العلماء(٥) .

٣٩ — محمد الحطاب الكبير هو أخو السابق ، (٨٦١ - ٩٤٥ هـ) عالم ناسك(٦) .

٤٠ — محمد الحطاب الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ) من سادات العلماء ومشهورى المؤلفين فى عصره(٧) .

٤١ — يحيى الحطاب (٩٩٣ هـ) كان علامة مؤلفا متفننا(٨) .

٤٢ — مساعد المصراتى (٨٧٢هـ) له اشتغال بالعربية والمنطق(٩) .

٤٣ — يوسف بن على (٩٨٩ هـ) له معرفة بسائر العلوم(١٠) .

---

(١) ٢٨٦ و ٢٨٧ المرجع ، وراجع عنه ٤٣ - ٤٨ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى ، ويذكر عن الكثيرين أن وفاته عام ٩٦٣ هـ .

(٢) دار الكتب المصرية - مكتبة طلعت رقم ٣٦٤ تفسير ، ١ : ٢١٢ المنهل العذب ، وص ١١٦ نفحات النسرين والريحان .

(٣) ٢٩٢ أعلام ليبيا .   (٤) ٣٠٨ المرجع .

(٥) ٣٠٩ المرجع ، وراجع ص ١٠٤ نفحات النسرين والريحان .

(٦) ٣٠٩ - ٣١١ أعلام ، وراجع الضوء اللامع للسخاوى ، والمنهل العذب للنائب ١ : ٢٠٣ ، وص ٤٤ نفحات النسرين والريحان .

(٧) ١ : ٢٠٧-٢١٠ المنهل العذب ، ١١١-١١٤ نفحات النسرين والريحان .

(٨) ٣٦١ أعلام ليبيا .

(٩) ٣٣٧ أعلام ليبيا .

(١٠) ٣٦٣ المرجع .

٤٤ — أبو محمد بن أبي الدنيا (٦٨٤ هـ) من العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء ، وله مؤلفات كثيرة ، ومن شعره :

طرق السلامة والفلاح قناعة	ولزوم بيت بالتوحش مونس
يكفيه أنسا أن يكون أنيسه	آي الكتاب ونوره في الحندس
وإذا رأت عيناه إنسانا أبى	فلينفرن نفور ظبي المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول	من عثرة أو زلة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل	حتى يراها في مقام المفلس[١]

٤٥ — أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الاجدابي من أئمة العلم والدين والعربية ومشاهير الفضلاء في عصره ، ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا ، وله عدة كتب[٢]، وقد توفي عام ٦٥٠هـ ، وكتابه « الأزمنة والأنواء » طبع في دمشق في سلسلة إحياء التراث القديم بتحقيق عزة حسن .

و « الأزمنة والأنواء » كتاب طريف[٣] ألفه أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بن الاجدابي المتوفى سنة ٦٥٠ للهجرة ؛ والكتاب يتناول الأزمنة والأنواء ؛ والمؤلف إجدابي الأصل ، وإن كان ولد في طرابلس الغرب ، واجدابية بلدة من نواحي افريقية ، تقع قريباً من طرابلس الغرب ، إلى الشرق منها ، وتبعد عنها ما يزيد عن ثمانمائة كيلو متر .

---

(١) ١ : ١٦٤ المنهل العذب ، و ٨٥ - ٨٨ نفحات النسرين والريحان .

(٢) ١ : ١٦٦ و ١٦٧ المنهل ، ص ٨٦ نفحات النسرين والريحان ، وراجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ، ومن كتبه « كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ » ، ومنه نسخة خطية في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف في ١٠٢ صفحة ، وقد طبع في القاهرة عام ١٣٢٣ هـ ، وفي بيروت أيضا ، ومنه نسخة خطية أخرى في مكتبة الحسينية بالنجف .

(٣) راجع مجلة المعرفة عدد ١٢ / ٢ / ١٩٦٥

وأبو إسحق بن الاجدابي كان أحد شيوخ العلم واللغة في القرن السابع الهجري ؛ وطرابلس الغرب مثل مصراته واجدابية ، لها في العلم والعناية به باع طويل ، وكانت دوماً موئلا لعلماء كبار !

ولابن الاجدابي «كفاية المتحفظ» ، وهو كتاب مختصر في اللغة ، ومختصر في الأنساب ، وألف في العروض ، أما كتاب «الأزمنة والأنواء» . فقد قدم ابن الاجدابي كتابه بقوله : «هذا كتاب مختصر أودعناه أبواباً حسنة في علم الأزمنة وأساسانها ، والفصول وأوقاتها ، ومناظر النجوم وهيئاتها ، بأوضح ما أمكننا من التبيين ، وبأسهل ماحضرنا من التقريب . وبالله نستعين ، على مانحاول من جميع أمورنا ، وإليه نرغب في التوفيق لما يرضيه عنا . وحسبنا الله وعليه توكلنا» .

والقسم الأول من الكتاب يتناول فيه مؤلفه الأصل في حساب الأزمنة ، وعلامات السنين والشهور ، الشمسية منها والقمرية . ثم ينتقل من ذلك إلى باب يعرض فيه إلى مشاهير الكواكب ومواقعها في القبة الزرقاء . ويلي ذلك ذكر النجوم السيارة . فإذا فرغ من ذلك عدل بنا إلى أزمنة السنة وفصولها وبروج الشمس ومنزلتها ، وذكر الرياح وأسمائهن . وآخر أبواب الكتاب هو في معرفة الشهور الشمسية وأسمائها عند الأعاجم ومايحدث في كل شهر منها من طلوع المنازل أو سقوطها .

ويقول ابن الاجدابي عن أيام السنة الشمسية عند الأعاجم : «واعلم أن الروم والسريانيين والقبط بنوا حساب أزمنتهم على مسير الشمس . فجعلوا مدة سنتهم ثلاثمائة يوم وخمسة وستين يوماً . وزادوا المكان الربع الذي في سنة الشمس يوماً في كل أربع سنين من سنيهم مساوية في عدة الأيام لأربع سنين شمسية ، وصارت شهورهم من أجل ذلك ثابتة في أزمنة الشمس ، غير منتقلة عن مواضعها منها . إلا أنهم لم يجعلوا ابتداء سنتهم موافقاً لابتداء سنة الشمس . بل افتتح كل فريق منهم السنة في وقت من سنة

الشمس غير موافق لأولها . فكان افتتاح السريانيين سنتهم فى الربع الثالث من سنة الشمس وهو فصل الخريف ، والشمس حينئذ ببرج الميزان . وكانت الروم فى أول أمرها موافقة لهم على ذلك ، ثم افتتحت الروم السنة بعد ذلك فى الربع الآخر من سنة الشمس ، وهو فصل الشتاء ، والشمس حينئذ ببرج الجدى . وافتتحت القبط سنتها فى الربع الثانى من سنة الشمس ، وهو فصل الصيف ، والشمس حينئذ ببرج السنبلة . وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر دون غيرهم من العجم ، لأن حسابهم هو المحفوظ فى بلاد المسلمين والمستعمل فيها واشهر ذلك وأغلبه على استعمال الناس حساب الروم والسريانيين . وعليه اعتمدنا فى كتابنا هذا فى تحديد أوقات تداخل الفصول ، وأوقات الطلوع والسقوط ، وغير ذلك مما يحدث فى الأزمنة ، ويختص بوقت من أوقات السنة .

ومن فصول الكتاب ذكر أوقات الليل . وهو فصل لغوى يقور ماهو تلخيص للأزمنة، فى ذلك يقول المؤلف : «فأما أوقات الليل فأولها العشاء، وآخر العشاء عند مغيب الشفق ، ثم الهدوء وهو حين يهدأ الناس وينامون . والوهن والهزيع من أول الليل إلى نحو من ثلثه» .

ويكثر المؤلف النقل عن ساجع العرب ، والذى يقصده الأمثال المسجوعة المرتبطة بمواعيد معينة من الشهر أو منازل معينة من النجوم . فهو يقول ، فى ذكره شهر نيسان «أى إبريل» : إن السماك الأعزل يسقط فيه ، ويضيف إلى ذلك واحداً من الأقوال الدالة على الطقس «وعند سقوط السماك يبتدىء بحصاد الشعير بالعراق، وحينئذ تطلع السمكة» ثم ينقل قول ساجع العرب : «إذا طلعت السمكة ، أمكنت الحركة ، وتعلقت الحسكة ، ونصبت الشبكة» وهذه الاسجاع تبلغ الأربعين عداً .

والكتاب محقق عن نسخة فريدة وهو مطبوع فى دمشق بتحقيق الدكتور عزة حسن فى سلسلة إحياء التراث القديم .

٤٦ — ومن هؤلاء الأعلام عبد العزيز الطرابلسي(١) ، (٦٣٩ - نحو ٧٠٠ هـ) وهو من العلماء الفحول ، حسن العبارة ، شارك في علوم كثيرة ، ومدحه العلامة التيجاني الرحالة بقصيدة .

٤٧ — أبو سعيد فرج المسراتي من العلماء الزاهدين(٢) ، وراجع بعض الأعلام الأخرى في كتاب « المنهل العذب »(٣) وكتاب « نفحات النسرين والريحان » .

---

(١) ١ : ١٠٧ - ١٠٩ المنهل العذب .

(٢) ١ : ١٧٢ المرجع .

(٣) ١ : ١٨٨ - ١٩٦ المرجع نفسه .

نماذج من الشعر فى هذا العصر

— ١ —

أبو الحسن الهوارى الطرابلسى (٦٠٦ - نحو ٦٨٣ هـ) يشكو زمانه ، ومعاندة الأيام له (١) :

اما نردد لو تشفى لنا كربا ... وبالتعلات نحيى لو قضت أربا
وبالأمانى ينال القلب بغيته ... وقد تحقق من معتادها كذبا
وارحتاه لقلب كم أجشمه ... أمرا يذيب من الأصلاد ماصلبا
وكم يعانى ملمات بأيسرها ... يهون الأمر من دنياه ما صعبا
وكم يلجلج فى أفكاره لججا ... سودا تؤجج فى أحشائه لهبا
وكم تهب سموم من تنفثه ... لو استمرت لما هبت نسيم صبا
أستغفر الله لا أشكو الزمان، ولا ... أبدى - إذا طرقت أحداثه - رهبا
ولا أئن لحظ منه أعوزنى ... ولا أسر إذا ماء المنى انسكبا

— ٢ —

أحمد بن الحسين الطرابلسى الشاعر ذكره ياقوت فى معجم البلدان (٢) :

أحبابنا غير زهد فى محبتكم ... كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم ... وإن هجرتكم فالهجر مفترسى
ولست أرجو نجاحا فى زيارتكم
إلا إذا خاض بحرا من دم فرسى (٣)

---

(١) ٢٤ و ٢٥ أعلام ليبيا .
(٢) مادة (طرابلس) .
(٣) ٣١ أعلام ليبيا ، ٢ : ١١٤ المنهل العذب .

— ٣ —

رافع بن مطروح الطرابلسى ينشد فى الحنين إلى طرابلس وهو مقيم فى مرسى مطروح :

لوقفة بين باب البحر ضاحية وباب هوارة وموقف الغنم[١]
أشهى إلى النفس من كسر الخليج ومن
دير الزجاج وشاطى بركة الخدم[٢]

— ٤ —

الشاعر أبو محمد عبد الله التيفاشى يمدح عبد المؤمن بن على (٥٢٥ - ٥٥٨ ﻫ) ملك الموحدين بقصيدة مطلعها :

ماهز عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

وأراد الاسترسال فى القصيدة فأمره بالتوقف ، واكتفى منه بهذا البيت لبلاغته ، وأعطاه ألف دينار .

— ٥ —

حماد المالقى يصف هزيمة بعض الثوار أمام المنصور ملك الموحدين المتوفى عام ٥٩٥ ﻫ :

أرى يحيى أمام الخلق يأتى يفر أمام من يأتى إليه
فشبهت الشقى بياء (يرى) ولام الأمر داخلة عليه

---

(١) الأماكن الثلاثة فى طرابلس .
(٢) الثلاثة أماكن فى الإسكندرية .

أشهر الشعراء فى هذا العصر

١ — أبو بكر السرتى

شاعر من شعراء سرت المبرزين ، ومن شعره :

أقول لعينى دائما واعينها لسان بسر الحب فى الخلد ناطق
أجدك ماينفك لى منك ضائر بسرتى ، واش ، أو لحينى رامق
فلولاك لما أعرف العشق أولا ولولاه لم أعرف بأنى عاشق(١)

٢ — ابن معمر الهوارى الطرابلسى

٦٠٩ — ٦٨٣ هـ

هو الفقيه أبو الحسن على بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسى من أعلام القرن السابع الهجرى ، وكان مع تضلعه فى الفقه وعلوم الدين أديبا شاعرا موهوبا .

ولد فى طرابلس وتلق العلوم المختلفة فيها ، ورحل إلى تونس والمهدية ، وتتلمذ هو وأخوه معا على أبى زكريا البرقى ، ثم عاد أخوه أبو موسى إلى موطنه فتولى القضاء والفتيا فى طرابلس وبقى أبو الحسن فى المهدية ، وفى فتن سياسية هناك اعتقل الأستاذ البرقى وتلاميذه ومنهم شاعرنا ، وعاد الشاعر إلى تونس ، واجتمع به علماؤها وأدباؤها ، وجلس إليه الأمراء والعظماء ، وكان ابن معمر خطيبا بليغا ، ومحدثا لبقا ، وعالما متضلعا ،

(١) ١٩ أعلام ليبيا للزاوى ، ولم يذكر تاريخ وفاته . وأرجح أنه عاش فى هذا العصر ، بدلالة خصائص شعره ، وراجع ١٣٤ و ١٣٦ من هذا الجزء .

وشاعرا مطبوعا، وولى مناصب فى تونس، منها الإشراف على خزانة الكتب العلمية (دار الكتب التونسية) ، ثم تقلبت به الأحوال السياسية ، فنفى إلى المهدية عام ٦٦٧ هـ ، ويقول الشاعر فى هذه الفترة لصديق له :

كتبت ولولا الحكم كنت إليكم   من الشوق فى متن الرياح أطير
وما فى صميم القلب من خالص الوفا
    فسيان فيـــه غيبة وحضور

ثم عفى عن الشاعر وأفرج عنه عام ٦٦٨ هـ ، وفى عام ٦٧٥ هـ عاد إلى الإشراف على خزانة الكتب ، وبعد قليل أعيد اعتقاله فى دار الأشراف، فآثر العزلة وأرسل الشعر فى الشكوى والحنين إلى الوطن ، يقول فيما يقول :

وزال التعلق حتى ليس تلتقى   فتى يسخو بمرجوع السلام
وزاد الأمر حتى ليس إلا   تشفى بالأذية والملام

ومن شعره :

وارحمتاه لقلب كم أجشمه   أمرا يذيب من الأصلاد ماصلبا
وكم يعانى ملمات بأيسرها   يهون الأمر من دنياه ماصعبا
وكم تلجلج فى أفكاره لجج   سود تأجج فى أحشائه لهبا(١)

ولما أفرج عنه كتب لصديق له فى المعتقل :

لئن سرنى فك الأسارى من الحبس   لقد ساءنى فقدى لما فيه من الأنس
ولو أننى خيرت فيما أريده   لآثرت تقديمى سراحك عن نفسى

وله قصيدة على نمط « المنفرجة » المشهورة يقول فى أولها :

---

(١) راجع ٢٣ - ٢٥ أعلام ليبيا ، وأعلام من طرابلس وص ٢٨ - ٣٠ مجلة القلم الجديد من مقال بقلم على مصطفى المصراتى ، وص ٩٢ - ٩٦ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب ، وقد مضت هذه الأبيات مع غيرها آنفا فى « نماذج الشعر فى هذا العصر » ص ١٣٦

الله أنعم بعد اليأس بالفرج ياأزمة الدهر بعد الشدة انفرجي

وقد أثبتها الرحالة التجانى فى رحلته ، وأخيراً لقى ربه عام ٦٨٣ هـ (١)

٣ — شرف الدين البوصيرى

٦٠٨ — ٦٩٥ هـ

هو الكاتب الشاعر المتصوف شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى البوصيرى صاحب البردة والهمزية .

وهو من أسرة ترجع إلى أصول مغربية ، فهو من صنهاجة إحدى قبائل البربر ووطنها الصحراء .

وقد أقامت بليبيا وبلاد المغرب طويلا ؛ ثم هو يتأثر فى شعره بنزعات المغاربة فى الميل إلى التصوف ، وقد عاش فى الإسكندرية طويلا قريبا من ليبيا ، وكان من أساتذته كثير من المغاربة ؛ وأرجح أن أسرته ليبية الأصل .

ويعده الكثير أحد شعراء مصر فى عصر الدولة الأيوبية وأوائل عصر دولة المماليك .

والبوصيرى ومنزلته فى الشعر فى عصره مما لا يجهله أحد ، فلا داعى للكلام عليه ، والترجمة له فى هذا المقام ، فما إلى الترجمة قصدت ، ولكنى ذكرته إثباتا لأصله المغربى الليبى فيما أذهب إليه .

وأستاذه الأول هو أبو العباس المرسى ،وللبوصيرى قصيدة دالية يمدح بها أستاذه ويعزيه عن شيخه أبى الحسن الشاذلى ، وعـــدد أبياتها ١١٨ بيتا . . .

---

(١) وينسب إلى هوارة وهى باب من أبواب طرابلس الغرب ، نسبة إلى قبيلة كبيرة فى صعيد مصر وليبيا وتونس ، وهم فى الأصل من عرب جزيرة العرب .

وراجع عن ابن معمر رحلة التجانى ، و ص ٢٩ و ٣٠ مجلة القلم الجديد عدد تموز ١٩٥٣ من مقال لعلى مصطفى المصراتى ، وراجع كذلك كتاب المصراتى « أعلام من طرابلس » .

— ٤ —

محمد بن مكرم بن منظور

من أشهر العلماء واللغويين والأدباء والشعراء فى عصره (٦٣٠ - ٧١١ هـ: ١٣١١ م) ، وكان من أشهر المؤلفين ، اختصر تاريخ دمشق ، والأغانى ، والعقد الفريد ، والذخيرة ، ومفردات ابن البيطار ، وكان من صدور العلماء ، وألف لسان العرب فى عشرين جزءا ، فكان من أعظم الموسوعات اللغوية ، وهو من الكتاب المنشئين المجيدين فى النثر إجادته فى الشعر . وكان متقدما فى النحو واللغة والتاريخ ، والأدب ومن الكتب التى اختصرها نشوار المحاضرة ، كما ذكر ابن حجر فى « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » وقال الصفدى فيه : لا أعرف كتابا مطولا فى الأدب إلا وقد اختصره ، قال: وأخبرنى ولده قطب الدين أنه ترك بخطه خمسمائة مجلد ، ويقال إن مختصراته بلغت هذا العدد من المجلدات .

وقد جمع فى « اللسان » بين التهذيب والصحاح والمحكم ، وتولى قضاء طرابلس سنين طويلة ، وتولى كذلك ديوان الإنشاء فى مصر ، وذكر ابن فضل الله أنه فقد البصر فى آخر حياته .

ومن نثره فى وصف القمر: « أنسوا بالقمر ، لأنهم يجلسون فيه للسمر ، ويهديهم السبيل فى سرى الليل والسفر ، ويزيل عنهم وحشة الغاسق ، وينم على المؤذى والطارق » .

ومن شعره قوله :

الناس قد أثموا فينـــا بظنهم	وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا
ما ذا يضرك فى تصديق قولهم	بأن نحقق مافينا يظنونا
حملى وحملك ذنبا واحدا ـ ثقة	بالعفو ـ أجمل من إثم الورى فينا

ومن شعره كذلك :

بالله إن جزت بوادى الأراك　　وقبلت عيدانه الخضر فاك
فابعث إلى المملوك من بعضها　　فإننى والله مالى سواك

وابن منظور هو الشيخ محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى الافريقى ثم المصرى، جمال الدين، ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصارى (٦٣٠-٧١١هـ) .

ترك خمسمائة مجلدة بخطه ، وكتابه اللسان جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية ، وجوده ماشاء ، وولى قضاء طرابلس ، وخدم فى ديوان الإنشاء فى مصر كما ذكرنا .

وتوفى ابن منظور فى القاهرة فى شعبان عام ٧١١ هـ ، ومن مؤلفاته : أخبار أبى نواس وقد طبع فى القاهرة .. ويؤكد الزاوى فى كتابه « أعلام ليبيا » أنه من مواليد طرابلس(١) ، ويقول الزاوى : إن ابن منظور ينتمى إلى الإمام الصحابى رويفع الأنصارى أمير ليبيا فى أوائل الفتح العربى(٢) .

ويقول فى مقدمة اللسان :

« لم أزل مشغوفا بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها ، وعلل تصاريفها ، ورأيت علماءها بين رجلين : أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة الوضع ، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع . . فصارت الفوائد فى كتبهم مفرقة ، وصارت أنجم الفضائل فى أفلاكها هذه مغربة وهذه مشرقة ، فجمعت منها فى هذا الكتاب ما تفرق ، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق ، فجاء بحمد الله وفق البغية ، وفوق المنية » .

---

(١) وكذلك أكد هذا على الفقيه حسن (جـ ٣٢ ص ٤٦ بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق)

(٢) راجع ٢٩٩ - ٣٠٢ أعلام ليبيا ، وراجع ترجمة لابن منظور فى ١ : ١٦٩ و ١٧٠ المنهل العذب ، وص ١٤٦ نفحات النسرين والريحان .

مفكرو هذا العصر

من أعلام المغرب العربى

عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ

حين نتحدث هنا عن ابن خلدون لا نتحدث عنه كعالم أو أديب ليبى عاش فى هذا العصر ، بل نتحدث عنه كمفكر إسلامى كبير أنبته المغرب العربى الكبير ، وعاش فى ربوعه ، وتتلمذ على علمائه ، وكتب الكثير من آرائه وهو مقيم فيه ، وذاعت فلسفته وآراؤه الإسلامية والصوفية فى أرجائه ، وتتلمذ عليه فيها الكثير من أبنائه ، وقضى فى طرابلس بالذات وقتا من الأوقات ، جالس علماءها وأدباءها وكبار الصوفيين فيها .

وكذلك نحن هنا لا نتحدث عن العلامة المؤرخ الفيلسوف الكبير ابن خلدون ليبيا أنبتته أرض ليبيا العربية ، وإنما نتحدث عنه بوصفه ابنا من أبناء المغرب العربى الكبير ، وأحد الفلاسفة والمؤرخين المسلمين الذين يعتز بهم تاريخ الحضارة الإسلامية ، وقد نشأ ابن خلدون فى أرض المغرب العربى ، وتعلم فيها على أيدى علمائه ، وعاصر الكثير من الأحداث التى ألمت به ، وذاعت آراؤه وكثر تلاميذه فى صعيده ، وأقام فى طرابلس فترات قصيرة يدرس ويكتب ويحاضر ويفيد ويستفيد من علمائها .

وعبد الرحمن بن خلدون من علماء القرن الرابع عشر الميلادى ١٣٣٢ - ١٤٠٦ ؛ ورغم أن تراثه العلمى قد تبوأ مقامه بين تراث الفكر العالمى منذ القرن التاسع عشر ، إلا أنه مايزال مغموط الحق فى الشرق العربى ، ولقد كان المعتقد الذى يذهب إلى حد البداهة أن أوربا هى أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادىء علم الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسى ؛ فإذا علماء الغرب فى القرن التاسع عشر يصابون بالعجب والذهول حين اكتشفوا

أن ابن خلدون قد سبق الغرب فى كل هذه الميادين بعدة قرون وأنه هو المؤسس الحقيقى لكل هذه العلوم ، فعكفوا على دراسته وترجموا تراثه إلى معظم اللغات وارتفعوا به إلى اسمى مكانة وجعلوه فى سلك الفلاسفة ومؤرخى الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسى واعترفوا له بالسبق والأصالة فى كل تلك الميادين . يقول الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابه عن ابن خلدون :

« وجه آخر لدراسة الظواهر الاجتماعية لم يعرض له أحد من قبل ابن خلدون ، وذلك أن دراسة هذه الظواهر لا لمجرد وصفها ولا للدعوة إليها ، ولكن لتحليلها تحليلا يؤدى إلى الكشف عن طبيعتها والأسس التى تقوم عليها والقوانين التى تخضع لها ، أى أن تدرس كما يدرس العلماء ظواهر الفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الأعضاء ، هذا الوجه من الدراسة لا يتاح إلا لمن ثبت لديه أن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، ولا حسب ما يريده لها الأفراد ، وإنما تسير فى نشأتها وتطورها وختلاف أحوالها حسب قوانين ثابتة مطردة ، وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون . . بل إن نقيضها كان هو المسيطر على أفكارهم جميعا ، فقد كان المعتقد أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح » .

فمن بحوث ابن خلدون فى المقدمة يتألف علم جديد لم يعرض له أحد من قبل . وقد سماه ابن خلدون علم العمران البشرى أو علم الاجتماع الإنسانى وهو العلم الذى نسميه الآن السوسيولوجيا أو علم الاجتماع .

ويقول عنان فى كتابه عن ابن خلدون : كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافا علميا حقا ، وكان أعجب ما فى هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب فى تراث المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة .

أجل اكتشف النقد الغربي لدهشته وإعجابه في تراث ابن خلدون كثيرا مما ردده مكيافللي بعده بقرن ، وما ردده فيكو ومونتسكيو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون . وكان المعتقد أن البحث الغربي أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادىء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، فإذا ابن خلدون يسبقه بعصور ، ويغزو في مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة .

ويقول لوفيج جمبلوفتش : لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كنت بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع .

ومقدمة ابن خلدون تراث جليل خالد يمتاز بالجدة والابتكار ، وهي تسجل منهاجا جديدا في فهم التاريخ وتحليله ونقده ، وفي فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها . . وموضوع المقدمة ، كما يصفه ابن خلدون نفسه هو « العمران البشري والاجتماع الإنساني » . وقد تحدث ابن خلدون فيها عن: العمران البشري على الجملة وأصنافه ، والعمران البدوي ، وذكر القبائل والأمم البربرية ، وتحدث عن الدول والخلافة والملك ، وذكر المراتب السلطانية ، وعن العمران الحضري ، والبلدان والأمصار ، وعن الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه وعن العلوم واكتسابها وتعلمها . .

وبحوث ابن خلدون في المقدمة هي تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه ، وهي بحوث جديدة كل الجدة ، وإن كانت آراء الفارابي في المدينة الفاضلة ، وإخوان الصفاء في رسائلهم ، تعد تمهيدا موجزا صغيرا لبحوث ابن خلدون : كبحوث الفارابي عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع ، وعن نشأة القرى والمدن ، وكتقسيم إخوان الصفا للعلوم والصنائع وبحثهم عن تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق . . ولكن بحوث الفارابي وإخوان الصفاء لها منهجها

الفلسفى ، حيث يتناول ابن خلدون هذه البحوث والموضوعات من الجانب الاجتماعى . وتشمل بحوث ابن خلدون فى المقدمة جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسى .

وقد عنى المستشرقون عناية خاصة بالجانب الاجتماعى من تفكير ابن خلدون وتراثه ، وعد « فون كريمر » المستشرق النمسوى « ابن خلدون » مؤرخا للحضارة الإسلامية ، وعده دى بور فيلسوفا ، ولكن الاتجاه العام كان إلى دراسة فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، التى تسمى اليوم بحوثه فيها بعلم الاجتماع ، الذى سبق فيه أوجست كونت ، وفيكو ، ومكيافللى من أعلام الاجتماع فى أوربا . ولقد سبق مكيافيللى ومونتسكيو وفيكو إلى الدرس النقدى للتاريخ. كما سبق ماركس وسواه إلى نظريات علم الاقتصاد السياسى . والمقدمة تسبق كتاب مكيافيللى الذائع « الأمير » بأكثر من قرن من الزمان وهى أوسع دراسة ، وأرحب أفقا، وأغزر مادة ، على الرغم من أن المقدمة قد ألفت عام ١٣٧٧ م ، وكتاب الأمير ألف عام ١٥١٣ م .

وفى آخر تاريخ ابن خلدون تعريف كتبه ابن خلدون عن نفسه حتى مستهل عام ٧٩٧ هـ ، وهو بمثابة ذيل لتاريخه ويعد مفتاح شخصية ابن خلدون ، ومرجعا لكل من كتب عنه ، ومن التعريف نسخة كاملة مستقلة فى دار الكتب المصرية (١٠٩ م تاريخ) تصل حوادثها إلى نهاية عام ٨٠٧ هـ أى قبل وفاته بشهور قلائل . .

وقد نشرت المقدمة فى مصر عام ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٨ م[1] ، وفى بيروت عام ١٨٧٩ وفى باريس عام ١٨٥٨ م بإشراف المستشرق كازمير ، وظهرت

---

(١) فى مطبعة بولاق بتصحيح الشيخ نصر الهورينى ، وفى عام ١٢٨٤ هـ تم طبع تاريخ ابن خلدون بأكمله .

ترجمتها الفرنسية لدى سلان بين عامى ١٨٦٣ ، ١٨٦٨ فى ثلاثة مجــــلدات وترجمت إلى التركية بعناية بيرى زاده المتوفى عام ١١٦٢ هـ - ١٧٤٩ م . وترجمت فصول منها إلى الإيطالية والإنجليزية واللاتينية والروسية . .

وقد خلدت هذه المقدمة النفيسة ابن خلدون ، ورفعته إلى مصاف الفلاسفة ، وبوأته فى تاريخ التراث الفكرى الإسلامى مكانا رفيعا ، ويعجب علماء الغرب وفلاسفته بالمقدمة ، ويرون أن ابن خلدون بها يعد المبتكر الأول لعلم الاجتماع ، وواضع أسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعى والسياسى ، وفلسفة التاريخ والقانون العام . وقد عرفوا فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون، فترجموا المقدمة إلى لغاتهم ، ثم طبعت فى القاهرة لأول مرة منذ نحو مائة عام ، وكان لها أثر فى أساليب الكتاب والأدباء وأى أثر . وفى عام ١٩٣٢ أحيا جماعة من أدباء مصر ذكرى ابن خلدون ، ونشر عنان كتابا عنه .

ولا شك أن المقدمة أثر لحياة هذا العالم وثقافته وتجاربه وشخصيته التى هى مثل للمفكر والمؤرخ والرجل السياسى ، إذ أن تجاربه وصلاته السياسية بعروش دول المغرب وتوليه أعظم المناصب فيها ، وتقلبه شابا ورجلا وكهلا فى الأحداث السياسية ، كل هذا خلق منه سياسيا داهية ؛ والمسائل التى عالجها ابن خلدون فى المقدمة ذات دقة متناهية ، ولم يسبق لأحد من علماء المسلمين أن تناولها بالتأليف على هذا النمط والأسلوب ، وهو ينبه فى المقدمة على أن الكلام فيها « مستحدث جديد أدى إليه البحث والتفكير » وأنه « ليس من علم الخطابة المنطقية ولا من علم السياسة المدنية » وأنه « علم مستقل » ابتكره ابن خلدون دون أن يطلع على تأليف فى معناه ، وإن كان بعض الأبجديات التى ذكرها فى المقدمة قد تجرى لأهل العلوم بالعرض فى براهين علومهم ، مثل ما يذكره الحكماء فى إثبات النبوة من أن البشر متفاوتون فى وجودهم فيحتاجون فيه إلى الوازع والحاكم، ومثل ما يذكر فى أصول الفقه من

أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات ومثل ماورد فى حكم الحكماء وكتب الفلاسفة كالكتاب المنسوب لأرسطو فى السياسة ورسائل ابن المقفع وسراج الملوك للطرطوشى . . فقد حوم فيه،وبوبه على أبواب تشابه أبواب المقدمة ولكنه لم يستوف المسائل، بل يبوب الباب للمسألة فيستكثر من الأحاديث والحكم بدون تحقيق ، فهو نقل وترغيب أشبه بالمواعظ،وكان حوم على الغرض فلم يدركه .. وابن خلدون يؤكد أن المسائل التى ورد ذكرها فى المقدمة قد ألهمه الله إياها إلهاما ، فهو الذى نهج للباحثين فيها السبيل ، ووضح لهم الطريق .

ولابن خلدون رأى فى العرب عجيب ، فهو يذهب إلى أنهم لايتغلبون إلا على البسائط ، وإذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الفساد والخراب ، وإذا حصل لهم الملك فإنما يحصل لهم بصفة دينية ، وهم عنده أبعد الأمم عن سياسة الملك ، وهم أبعد الناس عن الصنائع ، ومبانيهم يسرع إليها الفساد ، وحملة العلم فى الإسلام عجم ، وهذا الرأى الغريب حير الباحثين فى تراث ابن خلدون الفكرى ، فعللوه بأسباب مختلفة متناقضة ، أما نحن فنعلله بأحد أمرين :

الأول:أن ابن خلدون يريد بالعرب البدو فى أى مكان كما عبر هو عنهم بهذا أحيانا ، لاعرب الجزيرة العربية خاصة ، وهذا الرأى محتاج إلى إثبات السر فى ترجيحنا هذا المعنى دون المعنى الآخر للفظة عرب . .

والثانى:أن ابن خلدون يقصد العرب ويريدهم ويتكلم عنهم،ومن الملحوظ من عبر التاريخ أن العرب فى جاهليتهم وحين تحللهم من الدين بعد الإسلام كانت أحوالهم كما يصفها ابن خلدون،فكأنما ابن خلدون يقصد بهذه الفصول ذكر طبيعة العرب حين ضعف الدين من نفوسهم ، وكأنه يريد التعميم فى أحوالهم،فإن العرب حين تمسكهم بإسلامهم وشريعتهم،كانوا كما نعرف عدلا وسياسة وإصلاحا ونبل حكم،وفى هذا البحث يذكر ابن خلدون أن أهل البادية

مغلوبون لأهل الأمصار . ويذكر ابن خلدون أحوال الموالى والمصطنعين وما يعرض للدول من الحجر على السلطان والاستبداد به ومشاركته فى نفوذه وألقابه .

وآراء ابن خلدون فى الفصل الخامس فى المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنائع مباحث قيمة فى الاقتصاد السياسى والاجتماعى ، وقد اقتبس منها كارل ماركس فى كتابه «رأس المال» ، ومن آراء ابن خلدون فى المقدمة :

١ — أن النقد التاريخى هو تطبيق طبائع العمران على التاريخ وحوادثه ، فما جاز لنا قبوله من التاريخ قبلناه ، وما لا يجوز فيه رفضناه .

٢ — أن أصول التوحيد هى عقائد متلقاة عن الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه . وهنا يذكر ابن خلدون أن العقل معزول عن الشرع لأن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية ، فهى فوقها محيطة بها . لاستمدادها من الأنوار الإلهية ، ويأخذ فى ذم الفلسفة وتخلفها ، ولاشك أن ابن خلدون كان بحاجة إلى تأكيد ذلك لبغض المجتمع الإسلامى فى عصره للفلسفة وعلومها وأصحابها والعنف فى البطش بكل من عرف عنه أنه محب لها ، ولا نخال ابن خلدون سوى فيلسوف ملهم . . فأفكاره فى المقدمة أفكار فلسفة عميقة ، وكذلك دراسته الفلسفة وعلومها وتاريخ نشأتها تدل على أنه من أنصارها ومحبيها وعارفى قدرها ، ويبدو أنه كان يقصد التمويه على عامة الناس وجمهور العلماء حتى لا يتهم بالإلحاد والكفر ، ويعرض نفسه لمحن لا داعى لها ، بل إن المقدمة نفسها لون من ألوان الفلسفة فى عصرنا الراهن ، ولا شك أن ابن خلدون يستحق تقدير المفكرين والتاريخ والإنسانية جمعاء .

ويبدأ ابن خلدون مقدمته فيقول : « يقول العبد الفقير إلى الله تعالى ، الغنى بلطفه ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى ، وفقه الله » .

ثم يقول : أما بعد ، فإن فن التاريخ من الفنون التى تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والاقيال، وتتساوى فى فهمه العلماء والجهال» وبهذا الأسلوب المسجوع الموقع يستمر ابن خلدون فى التنويه بعلم التاريخ ، وقد كان لهذا الأسلوب أثره فى أوائل عهد النهضة الأدبية فى مصر والعالم العربى .

ثم يذكر ابن خلدون فى مقدمته أنه قسم كتابه إلى :

١ — المقدمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بمغالط المؤرخين .

٢ — الكتاب الأول فى العمران وذكر مايعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ومالذلك من العلل والأسباب .

٣ — الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد ، وفيه من الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجة .

٤ — الكتاب الثالث فى أخبار البربر ومواليهم من زناته وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بدول المغرب خاصة من الملك والدول .

إن « المقدمة » من أهم ماوصل إلينا من التراث العربى الثقافى الأصيل ، وهى تحفة فريدة مبتكرة لامثيل لها فى الآثار الإسلامية القديمة . . وابن خلدون بمقدمته يحتل مكانة بارزة فى التاريخ الإسلامى الفكرى والعقلى .

ونحن مدينون لابن خلدون ولنظرياته بالكثير ، وقد رفع ابن خلدون بكتاباته من مكانة العقل العربى ، ولا يزال تراثه موضع الفخر والإعجاب من كل الباحثين والدارسين .

ويرجع تاريخ تأليف هذه المقدمة إلى عام ٧٧٩ هـ ، ففي عيد الفطر من عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م قدم ابن خلدون مدينة تلمسان فى المغرب ، وكانت شهرته آنذاك تسبقه إلى كل مكان .

وأراد ابن خلدون أن يخلد فى هذه المدينة إلى الدرس والتأليف ، وأن يستريح من أعباء السياسة وتعبها ، ولكن أمير تلمسان أراد من ابن خلدون أن يسعى لتوطيد عرشه بين القبائل المغربية ، فتظاهر بالقبول وخرج من تلمسان ، وذهب إلى أحياء بنى عريف فنزل لديهم ، وقدمت أسرته من تلمسان حيث أقام ابن خلدون فى هذه المنطقة النائية مدى أربعة أعوام ، بدأ فيها بتأليف كتابه التاريخى المشهور « بتاريخ ابن خلدون » ، ويسمى « العبر وديوان المبتدأ » .. وكان ابن خلدون يومئذ فى الخامسة والأربعين من عمره ، وكان مكتمل الثقافة ، كثير التجارب ، ناضج التفكير ، عميق العقلية ، دارسا لأحوال المغرب وسياسته وتاريخه ودوله وملوكه ، ولحياة القبائل البربرية وطباعها وتقاليدها .

وفى هذه العزلة النائية كتب ابن خلدون مقدمة تاريخه حيث جاد فكره بأفكار وبحوث وآراء جديدة . وبنظريات خالدة لا تزال الجامعات وشتى الهيئات العلمية تعكف على دراستها وبحثها .. وقد انتهى ابن خلدون من كتابة مقدمته فى منتصف عام ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م ، حيث أمضى خمسة شهور فى تدوينها ، ثم نقحها وهذبها بعد ذلك عدة مرات ، ويقول عنها ابن خلدون فى آخر الجزء السابع من تاريخه : « وأكملت المقدمة على هذا النحو الغريب الذى اهتديت إليه فى تلك الخلوة ، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعانى على الفكر ، حتى امتخضت زبدتها ، وتألفت نتائجها » .

ثم شرع ابن خلدون بعد إتمام المقدمة فى كتابة تاريخه ، فكتب تاريخ العرب والبربر وزناته ، وهو المدون فى الأقسام الأولى والأخيرة من « العبر » ،

وكان منهج ابن خلدون كتابة تاريخ المغرب والدول البربرية . كما يشرح ذلك فى المقدمة فيقول : « وأنا ذاكر فى كتابى هذا ماأمكننى منه فى هذا القطر المغربى إما صريحا مندرجا فى أخباره أو تلويحا ، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه وذكر ممالكه ، دون ماسواه من الأقطار ، لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه ، وإن الأخبار المتناقلة لاتوفى كنه ماأريده منه » . ولكنه بعد أن أمضى شوطا فى كتابة تاريخه رأى أن يكون كتابه شاملا لتاريخ البشر منذ بدء الخليقة ، لذلك آثر أن يعود إلى تونس ليستكمل المراجع اللازمة له بعد أن كان قد أكمل المقدمة وكتابة الأقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر .

وكتب ابن خلدون إلى سلطان تونس يستأذنه فى العفو عنه والإذن بعودته إلى وطنه لإكمال كتابه التاريخى فرد السلطان عليه بالصفح والقبول، ودعاه إلى القدوم إلى تونس ، فغادر ابن خلدون أحياء عريف فى شهر رجب عام ٧٨٠ هـ ، ولقى العالم الجليل أبا العباس سلطان تونس بظاهر سوسة، حيث بالغ فى إكرامه وأصدر أوامره إلى رجال الدولة بتوفير مايلزم له ولأسرته من المسكن والمعاش ؛ ودخل ابن خلدون وطنه بعد أن غاب عنه شابا دون العشرين ، عام ٧٥٣ هـ ، وأقام فى دعة وهـــدوء عاكفا على الدرس والبحث .

وعكف المؤرخ التونسى الكبير على إتمام مؤلفه وتهذيبه وتنقيحه ، وأتم منه نسخة أهداها إلى السلطان أبى العباس فى أوائل عام ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م وتشمل المقدمة وأخبار البربر وزناتة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده ، وتاريخ الدول الإسلامية المختلفة إلى عصر المؤرخ واسترجاع السلطان أبى العباس لتوزر عام ٧٨٣ هـ ، وأنشد ابن خلدون السلطان وهو يقدم إليه موسوعته التاريخية الكبرى قصيدة لامية طويلة نوه فيها بالسلطان وأعماله وانتصاراته .

وبعد قليل استأذن ابن خلدون فى السفر للحج ، فأذن له ، وودعه أصدقاؤه وتلاميذه ومريدوه وهو يركب البحر إلى المشرق فى منتصف شعبان عام ٧٨٤ هـ - أكتوبر ١٣٨٢ م . . وفى عيد الفطر من العام نفسه وصل ابن خلدون الإسكندرية ، فنزل فيها ، وتوجه منها إلى القاهرة فوصلها فى أول ذى العقدة عام ٧٨٤ هـ - نوفمبر ١٣٨٢ م ، بعد دخول ابن بطوطة الرحالة إليها بنحو ستين عاما ، إذ كانت وفادة ابن بطوطة على القاهرة عام ٨٢٦ هـ - ١٣٢٦ م فى عهد الناصر بن قلاوون .

وأقام ابن خلدون فى القاهرة ، وانثال عليه طلبة العلم بها يلتمسون منه الإفادة ، واستوطن القاهرة وتصدر للتدريس بها بالجامع الأزهر ، وكان سلطان مصر إذ ذاك هو الظاهر برقوق الذى ولى حكم مصر فى أواخر رمضان عام ٧٨٤ هـ ، وتولى بعد ذلك ابن خلدون التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو ، وهى من مدارس المالكية المشهورة فى مصر ، وبعد قليل عين قاضيا لقضاة المالكية فى مصر فى أواخر جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ .

وكان سلطان تونس قد حجز أسرة المؤرخ فى تونس حتى يعود ابن خلدون إلى موطنه ، فتوسل إلى السلطان الظاهر أن يشفع له لديه فى تخلية سبيل أسرته ففعل . وأطلق سراح أسرته ، وركبت سفينة إلى مصر ، ولكن السفينة غرقت فى البحر الأبيض وغرق أهله فيها ، ووصله فى القاهرة نبأ هذه الفاجعة الأليمة ، فحزن حزنا شديدا ، وفى عام ٧٨٩ هـ سافر إلى الحج ، ثم عاد إلى القاهرة فى جمادى الأولى سنة ٧٩٠ هـ .

وفى أثناء إقامة ابن خلدون بالقاهرة أخذ يهذب وينقح فى المقدمة والتاريخ وزاد فى حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجرى بعد أن كان قد بلغ بها فى تونس حتى عام ٧٨٣ هـ . . ومن الفصول الجديدة التى كتبها فى مصر : خواص دول المماليك المصرية ، ونشأة التتار ، وسوى ذلك من بحوث .

ويذهب سلامة موسى إلى أن ابن خلدون قد سرق كل ما كتبه إخوان الصفا وعزاه إلى نفسه ؛ ويرد عليه أبو القاسم محمد كرو مفندا هذا الرأى .

وابن خلدون هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى جده الأعلى ابن خلدون ، وأسرته من بنى وائل . وقيل إنها هاجرت إلى الأندلس فى القرن الثالث .

ولد بتونس فى أول رمضان عام ٧٣٢ هـ ٢٧ مايو ١٣٣٢ م ، من أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والأدب والرياسة ، وكان نزوحها من الأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى من اشبيلية ونشأ عبد الرحمن فى تونس فى ظلال دولة الحفصيين ودولة بنى مرين بالمغرب وكان منهم السلطان أبو الحسن المرينى (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) ، وابنه أبو عنان (٧٥٢ - ٧٥٨ هـ) ، ثم أبو سالم ابن أبى الحسن المرينى (٧٥٨ - ٧٦٢ هـ) ، وأكمل دراسته الأولى على والده ، وعلى بعض الأساتذة المشهورين ، ولكن الوباء الكبير الذى اجتاح البلاد قضى على أسرته فى المغرب ، فحزن لذلك حزنا شديدا ، واشتغل بالكتابة ، فدعاه السلطان أبو إسحاق ملك تونس عام ٧٥١ هـ ليتولى له كتابة « العلامة » ، وهى التوقيع على المراسيم السلطانية والمخاطبات الرسمية باسم السلطان، وقربه إليه ، ولكن ابن خلدون لم يلبث أن ترك أبا إسحاق واتصل بالسلطان أبى عنان المرينى ملك المغرب الأقصى عام ٧٥٥ هـ ، فتولى له الكتابة والتوقيع حينا ، ثم اتهم بالتآمر على السلطان فسجن ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبى عنان ، ورد إلى وظائفه ، ثم تولى كتابة السر والإنشاء وخطة المظالم للسلطان أبى سالم ابن أبى الحسن المرينى ، فأظهر كفاية وإخلاصا ، ولاذ بالسلطان أبى سالم فى هذه الفترة ملك الأندلس محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين ابن الخطيب ، بعد أن اغتصب العرش منه ، فاتصلت رابطة الصداقة والأدب بين ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب من ذلك الحين ، ثم توفى السلطان أبو سالم سنة ٧٦٢ هـ ؛ ولم يلبث ملك الأندلس أن استرد

عرشه ، فرحل ابن خلدون إلى الأندلس عام ٧٦٤ هـ ، وأقام في العاصمة غرناطة مشمولا بعطف ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب ، وأرسله في سفارة رسمية إلى ملك قشتالة بأشبيلية ، فقام بها خير قيام ، بيد أن فتور العلاقة بينه وبين ابن الخطيب كان باعثا له على الخروج من الأندلس عام ٧٦٦ هـ حيث تولى الحجابة لأمير « بجاية » ولكن عرش هذا الأمير لم يلبث أن اغتصبه مغتصب ، فظل ابن خلدون ينتقل من خدمة أمير إلى خدمة أمير ، حتى حيكت حوله المؤامرات ففر إلى الأندلس مهاجرا إليها مرة أخرى عام ٧٧٦ هـ ، ولكن فراره إلى غرناطة وهرب ابن الخطيب منها إلى المغرب الأقصى كان مثارا لمشكلات سياسية بين ملك بني الأحمر في غرناطة وبني مرين في فاس بالمغرب الأقصى ، وقد انتهت الأحداث بقتل ابن الخطيب في فاس وبطرد ابن خلدون من الأندلس .

عاد ابن خلدون إلى المغرب الأقصى ، ملتجئا إلى أحياء بني عريف بتلمسان ، حيث أقام يؤلف كتابه التاريخي الكبير ، وهو كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » كما أسلفنا ، ثم عاد إلى وطنه تونس عام ٧٨٠ هـ ، فأتم كتابه ورفعه إلى سلطان تونس أبي العباس الحفصي عام ٧٨٣ هـ ، وقربه السلطان إليه ، ولكن الوشايات عادت تحوك حوله الدسائس من جديد ، فعزم على الرحلة إلى المشرق ، مستأذنا من السلطان في السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج ، فأذن له وركب ابن خلدون سفينة أقلته إلى الإسكندرية فنزل بها وسافر إلى القاهرة ، فوصلها عام ٧٨٤ هـ ، وأخذ ابن خلدون يلقي دروسه في مذهب مالك في الأزهر الشريف ، واتصل ببرقوق رأس دولة « المماليك البرجية » الذي حكم مصر سبعة عشر عاما (٧٨٤ — ٨٠١ هـ) وولاه التدريس في المدرسة القمحية المالكية بجوار جامع عمرو ، وتولى قضاء المالكية أيضا ، فأرسل إلى بلاد المغرب يستقدم أسرته ، ولكنها

غرقت بها السفينة التى كانت فيها ، ولم ينج أحد ، فعظم حزن ابن خلدون لذلك ، كما أسلفنا .

كان وجود ابن خلدون فى مصر وولايته لمنصب قضاء المالكية فيها ، مثار دسائس وأحقاد بينه وبين علماء عصره الذين كانوا يتطلعون لهذا المنصب ، واضطرب الأفق حوله ، وعزل عن القضاء ، فاستأذن من برقوق فى الحج فأذن له ، وعاد بعد الحج فعينه برقوق أستاذا فى المدرسة الصرغتمشية — شمال جامع ابن طولون ، ثم عينه شيخا لخانقاه بيبرس ، وانقطع إلى التدريس والتعليم ، يوطد الصلات السياسية والعلمية بين مصر والمغرب ، حتى أعاده برقوق إلى منصب القضاء ، وظل فيه إلى أن توفى برقوق عام ٨٠١ هـ وتولى بعده ابنه فرج فعزله عن القضاء .

وفى هذه الأثناء كان جيش تيمورلنك يغزو الشرق ، ويعيث فى بلاده فسادا ، ودخل الشام ، فخرج فرج للقائه ، وخرج معه ابن خلدون ، ولكن فرجا رجع مسرعا ليقضى على ثورة سياسية قامت فى مصر ، وأقام الجيش حيث هو ، وأقام مع الجيش ابن خلدون ، ثم انتصر جيش تيمورلنك ، فسار ابن خلدون إلى معسكر الظافرين يفاوض فى شروط الصلح ، وفى تسليم دمشق بعد أن أنهكها الحصار . . ولما عاد ابن خلدون إلى مصر أعيد إلى القضاء لثالث مرة ، ثم عزل عام ٨٠٤ هـ ، واستمر بين ولاية للقضاء المالكى وعزل منه ، حتى تولاه لسادس مرة عام ٨٠٨ هـ ، فلبث فيه ستة أسابيع توفى بعدها .

وقد انقطع ابن خلدون عام ٧٧٧ هـ لتأليف تاريخه فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، وأقام عامين يكتب فى مقدمته حيث أتمها عام ٧٧٩ هـ ، وأتم كذلك بعض فصول الكتاب التاريخية ، ثم كتب

فصولا أخرى منه فى تونس وفى القاهرة ، وانتهى أخيرا من الكتاب فى القاهرة عام ٧٩٧ هـ ، وسماه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » .

وقد أهدى ابن خلدون نسخة كاملة من الكتاب لسلطان المغرب الأقصى أبى فارس المرينى ، الذى تولى حكم المغرب ثلاثة أعوام (٧٩٦ - ٧٩٧ هـ) ويقع الكتاب فى سبعة مجلدات ، والمجلد الأول منها فى فلسفة التاريخ والاجتماع وهو المشهور بالمقدمة ، والستة الباقية فى تاريخ العرب والعجم والبربر .

وبعد هذه الحياة الحافلة ، وفى القاهرة توفى ابن خلدون فى ٢٦ رمضان عام ٨٠٨ هـ - ١٦ مارس عام ١٤٠٦ م ، ودفن فى مقبرة الصوفية فى العباسية خارج باب النصر ..

— ٢ —

ابن بطوطة الرحالة

ولد ابن بطوطة فى مدينة طنجة عام ٧٠٣ هـ - ١٣٠٤ م من أسرة دينية عريقة فى الاشتغال بالعلوم الشرعية وينتهى نسبها إلى قبيلة لواتة ، إحدى قبائل العرب التى كانت فى وقت ما فى بلاد برقة بين مصر وطرابلس . أما ثقافته فلم تكن تتجاوز العلوم الدينية والأدب وممارسة بعض الشعر واللغة الفارسية ، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره أى عام ٧٢٥ هـ - ١٣٢٦ م خرج فى وفد من الحجاج إلى مكة ، ومنها قطع طريق البادية إلى العراق ، وظل يتنقل فى بلاد العرب وفارس وتركيا والهند والصين زهاء ربع قرن ، حج خلال هذه المدة أربع مرات ، وتزوج كثيراً من النساء ؛ وفى سنة ٧٥٠ م - ١٣٤٩ م ، عاد إلى طنجة ، وكانت بلاد المغرب فى تلك الفترة تحت سلطان بنى مرين الذين كانوا يعطفون على العلماء والشعراء ويجزلون لهم العطاء . فلاذ ابن بطوطة بأبى عنان أمير مراكش وصار من جملة حاشيته وكان يقص فى مجالسه على الناس ما رآه فى أسفاره ، فطلب إليه الأمير أن يدون رحلته فأملاها على

كاتب الأمير الفقيه محمد بن جزى الكلبي ، وانتهى من كتابتها سنة ١٣٥٣م وسماها « تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » وعاش ابن بطوطة فى بلاد فاس حتى توفى سنة ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م .

يكاد يجمع المؤرخون على أن الدافع الذى حمل ابن بطوطة على القيام بهذه الرحلة هو الحج ، وأنه لما وصل إلى مكة والتقى بالحاج حصلت له فكرة الطواف حول العالم ، وهم يستدلون على ذلك بقوله : « وكان خروجى من طنجة معتمداً حج بيت الله الحرام » ، ثم إنه لم يكن متأهباً للسفر الطويل . بيد أنه يلوح لى أن ابن بطوطة لم يكن يوم خروجه من طنجة بعيداً عن فكرة الطواف حول العالم ، إن لم تكن هذه الفكرة الهدف الرئيسى الذى كان يرمى إليه أولا . لا ينكر أن الحج كان فى نظره غاية سامية باعتباره مسلماً شديداً الإيمان والثقة بالله ، لكن لا مانع من أن يكون هذا الإيمان البالغ المتمكن من نفسه بعض ما كان يرومه من تلك الرحلة ، والدليل على ذلك ما رواه ابن بطوطة نفسه فقد حدث أنه نزل فى مصر ضيفاً عند أحد علماء الإسكندرية المسمى « برهان الدين » ثلاثة أيام ، فتوسم فيه برهان الدين حب التجوال ، وأوصاه بأنه إذا ذهب إلى الهند أو السند أو الصين أن يزور أفراداً سماهم له ، ثم ما رواه ابن بطوطة نفسه أيضا من أنه زار وهو فى طريقه إلى القاهرة أحد الأولياء الصالحين الذى كان مقيما بقرية « قبالة » بالقرب من بلدة « فوه » على النيل فرأى فى منامه وهو عنـــده أنه زار مكة واليمن والعراق وبلاد الترك والهند .. وأما أنه لم يتخذ الأهبة الكافية لهذا السفر الطويل فى الحقيقة أن ابن بطوطة لم يتأهب حتى بالنسبة إلى الحج ، إذ كان جل اعتماده على الهبات والعطايا يوم فارق طنجة . ولعل عدم التأهب هذا يعتبر دليلا على أنه كان ينوى السفر الطويل من أول الأمر . إذ يتعذر على مثل ابن بطوطة الذى عرفنا حاله من الفقر والفاقة أن يطوف حول العالم ، ويعد ما يكفيه من المال والزاد لمثل هذا السفر الطويل الشاق .

تعتبر رحلة ابن بطوطة من أهم المصادر التاريخية الجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية فى القرون الوسطى ، وهى ليست بأول مشروع من نوعه فى هذا الصدد كما نعلم ، لقد قام « مركو بولو » الإيطالى برحلة فى الشرق قبل « ابن بطوطة » بنصف قرن تقريبا ودون مشاهداته إلا أن ابن بطوطة لم يطلع على تلك الرحلة . والذى يميز رحلة ابن بطوطة هو أنها رسمت لنا صورة واضحة للشعوب التى كانت تتكلم فى ذلك الوقت اللغة الفارسية كايران والهند، وذلك راجع إلى تمكن ابن بطوطة من هذه اللغة ، فى حين أن رحلة « ماركو بولو » تمتاز بناحية أخرى وهى أنها عرفتنا حالة الدول المغولية التى كانت تبسط نفوذها من شواطىء المحيط الهادىء إلى ماوراء نهر الفولغا بشكل أوضح مما ذكره ابن بطوطة . وسبب ذلك راجع إلى معرفة « ماركو بولو » اللغة المغولية، الأمر الذى ساعده مساعدة كلية على فهم حالة أولئك الأقوام؛ والحقيقة أن هاتين الرحلتين تعتبر إحداهما مكملة للأخرى .

لقد أيد « فريسكو بالدى » الرحالة الإيطالى الذى ساح فى الشرق بعد ابن بطوطة بأكثر من نصف قرن مارواه ابن بطوطة فى رحلته ، ومع هذا يقول « ابن خلدون » : ورد بالمغرب لعهد السلطان « أبى عنان » رجل من مشيخة طنجة يعرف « بابن بطوطة » كان رحل منذ عشرين سنة إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند ، وكان يحدث عن شأن رحلته ومارأى من العجائب ، فتناجى الناس بتكذيبه .

ونلاحظ أن ابن بطوطة فى رحلته الثانية خرج من طنجة عام ٧٢٥ هـ - ١٣٢٦ م للحج فمر بمصر والشام ومكة ثم العراق واليمن وجدة ، ثم الصومال وأريتريا ، ثم عاد إلى الحجاز ومنها إلى آسيا الصغرى والأناضول ثم الهند وسيلان وأطراف من الصين وسيلان ، ثم عاد إلى الشام فالقاهرة فى عهد السلطان حسن قلاوون ودخل مدينة فاس عام ٧٥٠ هـ ، ثم ذهب إلى طنجة وقام من طنجة برحلة إلى الأندلس . ثم عاد منها ، وقام برحلة أخرى إلى السودان عام ٧٥٣ هـ ، وعاد منها إلى سجلماسة عام ٧٥٥ هـ .

الأدب العربي في ليبيا

في عصر الأتراك العثمانيين

٩٥٨ — ١٣٢٩ هـ : ١٥٥١ — ١٩١١ م

هذا العصر التاريخي والثقافي

— ١ —

في نهاية الفترة الطويلة السابقة تعرضت ليبيا العربية الإسلامية إلى هجوم استعماري صليبي من الشعوب الأوربية ، ولاسيما من فلول فرسان الصليبيين، الذين حلوا في جزيرة مالطة ، بعد أن اضطرهم العرب المسلمون في شرق البحر المتوسط إلى الجلاء عن سواحل سوريا ، كما تعرضت ليبيا لغزو أسباني بعد انتصار الأسبان على العرب في الأندلس ، فقد قدموا بأسطول بحرى كبير ليتعقبوا العرب المسلمين الذين نزحوا من الأندلس بعد الهزيمة ، وحلوا ضيوفا على إخوانهم العرب المسلمين في ليبيا ، وكان الاسبان يقصدون السيطرة على سواحل ليبيا في مطاردتهم العنيفة للمسلمين الفارين بدينهم وعروبتهم من أرض أسبانيا ، حتى يقضوا على الروح العربية .

والتفت أهل ليبيا إلى الدولة الإسلامية الكبرى التي كانت قائمة آنذاك وهي الدولة العثمانية ، التي صارت مسئولة في ذلك الحين عن مصير الأمة العربية ، يطلبون مساعدتها ومعاونتها العسكرية والسياسية ، وكان من نتيجة ذلك أن مدت الدولة العثمانية سلطانها إلى أرض ليبيا ، واستمر الحكم العثماني في ليبيا مدة طويلة ، تطورت فيها الحياة في البلاد تطورا جديدا ، انتهى آخر الأمر إلى نشأة دولة مستقلة على يدى حاكم تركى هو مؤسس الدولة القره مانلية التي كان لها أثر في نظام الحكم وفي حياة الشعب ، وفي وضع الأسس الأولى لمقومات الدولة الليبية الحديثة .

ولكن الدولة القره مانلية لم تستمر أكثر من قرن وربع ، ثم عاد العثمانيون يبسطون نفوذهم وسلطانهم على البلاد مرة أخرى ، وظلت الخلافة العثمانية تحكم البلاد حتى فرجئت آخر الأمر بالغزو الاستعماري الإيطالي الغاشم .

— ٢ —

وعندما ننتقل إلى استقصاء أحداث التاريخ ومقدماتها فى هذه الفترة الحالكة نجد أن السلطان سليما الأول العثمانى عندما فتح مصر عام ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م وضع يده على مصائر الامبراطورية المصرية ، التى أسسها المماليك بقواتهم العسكرية المتفوقة ، وأصبح سلطان تركيا يحكم مصر ، ويحكم جميع الشعوب التى كانت تخضع لسلطان المماليك أو لنفوذهم ، وباستيلاء العثمانيين على مصر خضع إقليم برقة للعثمانيين بحكم تبعيته الإسمية لمصر فى ذلك الحين .

وفى عهد السلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول اشتد النضال البحرى بين العثمانيين والاسبانيين فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، وحدثت عدة مصادمات بحرية بين السفن العثمانية والأسطول الاسبانى ؛ وكان من نتائج هذا النضال البحرى مجىء العثمانيين إلى طرابلس الغرب ، واستخلاصها من أيدى فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة الذين حكموا البلاد بعد أن تنازل لهم عنها شارل الخامس ملك أسبانيا .

وكانت طرابلس منذ عام (٩١٦ هـ — ١٥١٠ م) قد احتلها الأسبان(١) بعد صراع بحرى دام بين القوات الإسلامية والقوات المسيحية ، أى بين الأتراك والأسبان ، وذلك حتى لاتقع فى أيدى الأتراك فتكسبهم موقعا بحرياً فريدا يستطيعون أن يتخذوا منه قاعدة حربية وبحرية للهجوم على أسبانيا نفسها وعلى أسطولها البحرى الضخم ، وحتى يبادروا هم باتخاذها

---

(١) راجع كتاب « الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس » تأليف عمر البارونى مطبعة ناجى بطرابلس ١٩٥٢ ، وكتاب العهد العثمانى الأول فى طرابلس للمؤلف نفسه أيضا ، والاحتلال الأسبانى لطرابلس امتد من عام ١٥١٠ حتى عام ١٥٣٠ م : ٩١٦ - ٩٣٦ هـ ، واحتلال فرسان القديس يوحنا لها استمر من عام ٩٣٦ - ٩٥٨ هـ : ١٥٣٠ - ١٥٥١ م .

قاعدة للهجوم منها على تركيا وعلى أسطولها فى البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك رغبة فى الاستفادة من أرباح تجارة القوافل التى كانت تسير بين مدينة طرابلس وبلاد السودان ، وشجع الاسبان على احتلال طرابلس ضعف دولة الحفصيين وعدم قدرتها على الوقوف فى وجه الاسبان ، وقد سقطت المدينة بعد دفاع باسل عظيم من الشعب الليبى ، وبتأثير هذه المقاومة لم يستطع الأسبان بسط نفوذهم إلا على المدينة وحدها ، وقد نقل الليبيون حركة المقاومة للغزو الاسبانى إلى مدينة تاجوراء المجاورة لطرابلس ، وعلى مسافة قريبة منها إلى الشرق ، وأرسلوا وفدا منهم للخليفة العثمانى يطلبون منه النجدة ومساعدتهم على طرد الاسبان ، فقدم الأتراك بأسطول بحرى إلى ساحل ليبيا لدعم حركة النضال ضد الأعداء فى البحر المتوسط ، وجعلوا موانى ليبيا قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الاسبان ، وكان أول وال تركى على ليبيا هو «درغوت باشا» الذى سقط شهيدا فى الهجوم على جزيرة مالطة بعد أن رد للساحل الليبى أمنه وأنزل الرعب فى قلوب الأعداء[1] ، وبعد أقل من عشرين عاما من الغزو الاسبانى لطرابلس تنازل ملك أسبانيا شارل الخامس عن المدينة لفرسان مالطة لانه كان فى هذا الوقت مشتبكا فى حروب طويلة مع الفرنسيين فى إيطاليا ، وذلك عام ١٥٣٠م - ٩٣٦ هـ وحكم المدينة فرسان مالطة نحوا من اثنين وعشرين عاما حتى طردهم منها العثمانيون عام ٩٥٨ هـ - ١٥٥١ م .

وكانت برقة آنذاك فقيرة فى مواردها الاقتصادية والنفوذ الداخلى فيها لقبائل بنى سليم ، وإن كانت قد انتقلت تبعيتها الاسمية من سلاطين المماليك إلى السلاطين العثمانيين . أما إقليم فزان فكان لقبيلة «الخرمان» - إحدى قبائلها - النفوذ الفعلى فيه ، ثم أقام منتصر بن محمد وهو أحد أشراف مراكش أسرة

---

(١) راجع ١٢٩ و ١٣٠ دراسات فى التاريخ اللوبى لبعيو .

حاكمة فى فزان عرفت فى ذلك العهد باسم أسرة بنى محمد التى كانت عاصمتها بلدة «مرزق» . وظل الحكم فى فزان فى أيدى هذه الأسرة حتى قضى عليها يوسف باشا القره مانللى عام ١٨١١ م بقتله لآخر حاكم منها .

- ٣ -

كانت عاصمة البلاد فى هذا العصر الطويل هى مدينة طرابلس ، وقد مرت هذه المدينة (١) بعصور تاريخية عديدة هى :

العصر الفينيقى (القرطاجنى)	٨٠٠ - ١٤٥ ق م
« الرومانى	١٤٥ ق م - ٤٥٠ م
« الفندالى	٤٥٠ - ٥٣٣ م
« البيزنطى	٥٣٣ - ٦٤٣ م
الحكم الإسلامى العربى	٦٤٣ - ١٥١٠ م
الحكم الأسبانى	١٥١٠ - ١٥٥٣ م
العهد العثمانى الأول	١٥٥٣ - ١٧١٤ م
عهد الأسرة القره مانلية	١٧١٤ - ١٨٣٥ م
العهد العثمانى الثانى	١٨٣٥ - ١٩١٢ م
الغزو الإيطالى	١٩١٢ - ١٩٤٣ م
الإدارة البريطانية	١٩٤٣ - ١٩٥١ م
عهد الاستقلال منذ عام	١٩٥١ حتى اليوم

---

(١) هى مدينة أويا القديمة وحرفت إلى أوا، ومعناها بالإغريقية ثلاث مدن، ثم أطلق عليها اسم تريبوليس نسبة إلى الخط الدفاعى الذى أقامه الرومان فى المنطقة ، وعربت عند الفتح الإسلامى إلى اطرابلس .

وتقع قلعة طرابلس على زاوية فى الجنوب الشرقى من المدينة، وقد بنيت أول ما بنيت فى عهد الفينيقيين ، وأعاد بناءها وجددها الرومان ، وبعدهم البيزنطيون ثم العرب . والبناء الحالى لا يحتفظ لنا بشىء من الآثار التى سبقت عهد الاسبان إلا بالقليل .

وموقع القلعة منذ أن أسست لم يتغير وإن تغيرت معالمها فى مختلف العهود . ويعتقد أن بقايا القلعة القديمة لازالت موجودة تحت الطبقات السفلى منها ، ولو أن بعض هذه الأنقاض استعملت فى بناء بعض نواحيها من جديد . وتورد بعض المراجع التاريخية أنه عند استيلاء العرب على مدينة طرابلس فى سنة ٦٤٣ م ، قاموا بتحصين القلعة التى كانت فى موقع استراتيجى يعتمد عليه ويحدثنا التيجانى ـ الرحالة العربى الشهير ـ عن عظمة قلعة طرابلس عندما زارها وهو فى طريقه إلى الأراضى المقدسة سنة ١٣٠٧ م . برفقه أبى يحيى زكريا اللحيانى :

ويشير الرحالة العربى إلى قاعة للجلسات داخل القلعة ملبسة بالمرمر ومزخرفة بأنواع الزينة . وقد ظلت هذه القاعة مطموسة تحت الأنقاض إلى الآن ولم يكشف عنها رغم الحفريات التى أجريت فى القلعة .

ونكاد نجهل كل شىء عن قلعة طرابلس خلال القرنين التاليين لزيارة التيجانى ، أى من أوائل القرن الرابع عشر إلى أوائل القرن السادس عشر . ويحدثنا عن عظمة قلعة طرابلس الربان التركى الحاج محمد الشهير بيرى رئيس عندما زار ميناء طرابلس قبيل الاحتلال الاسبانى فى ١٥١٠ م ، فيقول فى كتابه (كتاب البحرية) : « إننا لم نشاهد فى بلاد المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس ، وان كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع خاصة ، وأن قلعة طرابلس تبيض بالجير كل سنة فتظهر للناظر إليها من البحر كالفضة الناصعة البياض . ولكن الأسبان بعد احتلالهم البلاد هدموا بعض أبراجها وحفروا حولها خندقاً » .

أما مؤرخو الأسبان فلم ينقلوا لنا شيئاً عن حالة القلعة من الداخل ، إلا أنه جاء فى تقاريرهم وصف موجزلها من الخارج إذ تقول تلك التقارير : إن طول القلعة من الجنوب إلى الشمال ١٦٠ خطوة ومن الشرق إلى الغرب ٢٠٠ خطوة ، وان الأمواج تتكسر على جدرانها من الجهة الشمالية ، ويحيط بها خندق من جميع الجهات الأخرى مملوء بمياه البحر ، ويبلغ عرض هذا الخندق ٤٤ خطوة وعمقه قامة إنسان ، وأما ارتفاع جدران القلعة فثمانى قامات أى حوالى ١٢ متراً » .

وأهم وصف لقلعة طرابلس من الداخل هو الذى كتبه عنها رجل فرنسى كان قد أسره البحارة الطرابلسيون فى عهد عثمان باشا الساقزلى سنة ١٦٦٨ م . مع الطبيب الفرنسى جيرارد . وقد مكث فى الأسر حوالى عشر سنوات .

يقول هذا الفرنسى المجهول : « إن قلعة طرابلس محيطها ٥٠٠ خطوة وتتكسر أمواج البحر على جدرانها الشرقية ، بينما البقية يحيط بها خندق وشكلها منحرف وتقفل أبوابها ليلا، وتوجد بداخلها قصور ومساكن الباشا وحاشيته ، التى تعتبر آية فى الجمال . وكذلك مساكن الحامية من ضباط وجنود . وهذه المساكن مريحة جداً تتوفر فيها وسائل الراحة » .

وتقع القلعة ـ السراى الحمراء ـ على الشاطىء، وكانت طوال القرون الخمسة الماضية مسرحا حافلا للأحداث السياسية فى المدينة . وفى الوقت الحاضر تعتبر من أهم المعالم التى يقصـــدها زوار طرابلس للتعرف على تاريخ هذه البلاد الزاخر بأنباء الأمم وأحداث الماضى .

ولقد شيد هذا الصرح على انقاض قلعة حربية رومانية إبان الفتح الإسلامى لمدينة طرابلس . ويعتقد أنه أدخلت عليه بعض التعديلات أثناء حكم الاسبان الذين غزوا طرابلس فى النصف الأول من القرن السادس عشر .

وقد هاجمها الاسبان بقيادة فردناند الكاثوليكي واحتلوها عام ١٥١٠ م . وأجريت عليها بعض الإصلاحات ثم تم تسليمها إلى فرسان مالطة .

وفي عام ١٥٥١ احتلها الأتراك وأعادوا بناءها وجعلوها مركزاً لحكومتهم . وقد تم مؤخراً إجراء حفريات في القلعة كشفت النقاب عن العديد من الآثار القديمة . وقامت مصلحة الآثار بعد استقلال البلاد بترميم القلعة وخصصت بعض أبنيتها لمكاتبها كما خصصت المباني الأخرى للمتاحف الأثرية والعلمية والتاريخية . وكذلك فإن إدارة الآثار بولاية طرابلس الغرب تقع في أحد أجنحة القلعة التي تطل على البحر من عل ، وأمامها الحدائق الجميلة التي تزيد في بهاء القلعة .

وللقلعة بوابتان إحداهما في الناحية الغربية والأخرى في الناحية الجنوبية ، وكانت البوابة الغربية تستخدم كبوابة رئيسية للقلعة وتؤدي إلى برج سان جورج الذي تشغله حالياً بعض المكاتب الحكومية .

وبعد الدخول من البوابة والمرور في الممر الذي يكشف عن سماكة جدران القلعة التي كانت تنصب عليها المدافع ، يرى الداخل في الناحية اليمنى باباً يؤدي إلى جامع ، وهو أقدم مبنى داخل جدران القلعة .

أما الجزء الأوسط من القلعة كما يبدو الآن فقد شيد خلال القرن الثامن عشر عندما أصبح مسكناً لعائلة حكام القره مانللي ومركزاً للحكومة ، وقد شيد حوله عدد من الدواوين التي غطت معظم المساحة الواقعة داخل القلعة . وتطل على المساحة المكشوفة داخل القلعة أجنحة مساكن عائلة القره مانللي ، وكانت مبانيها كغيرها من المباني التي شيدت في القرن الثامن عشر في طرابلس ذات طابقين .

وتتوسط حدائق القلعة الواسعة الجميلة وغيرها من الأماكن هناك ، نافورات رخامية جميلة جيء بها من ساحات عدة مبان قديمة في طرابلس .

ولإحدى هذه النافورات أحواض ذات ثمانية أضلاع نقش عليها باللغة العربية تاريخ القرن السابع عشر . أما النافورات الأخرى فعليها نقوش عربية تبين تاريخ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

وعلى محاذاة الناحية اليسرى من الحديقة توجد جدران القلعة وعليها فتحات لإطلاق المدافع منها ويطل على الحديقة أيضاً ديوان القره مانللى ، وهو أكبر الدواوين الموجودة فى القلعة ، وكان متاخما الديوان الكبير الذى كان يستقبل فيه باشوات القره مانللى قناصل الدول الأجنبية وغيرهم من الزوار ذوى الشأن .

ولم يكن اسم(١) طرابلس حتى سنة ١٨٨٠ يطلق إلا على المدينة القديمة ، داخل السور القديم الذى كان يحيط بها من كل جهاتها بما فيها جهة البحر . أما القسم الآخر خارج الأسوار فكان يسمى المنشية .

وكان للمدينة أربعة أبواب ، اثنان فى الجهة القبلية ، وهما باب الخندق وباب المنشية ، وواحد فى الجهة الغربية وهو الباب الجديد وقد فتح فى سنة ١٨٧٠ ، وكان فى الجهة الغربية قبل ذلك باب قديم جداً يسمى باب زناته ، فأغلقه على باشا القره مانللى عندما قامت الحرب بينه وبين محمد بك القره مانللى على الحكم حوالى سنة ١٨٣٣ ، والباب الرابع فى الجهة الشمالية وهو باب البحر .

وفى المدينة القديمة ست محلات هى : حومة غربان وحومة البلدية وسيدى الصفار وباب البحر والحارة الكبيرة والحارة الصغيرة ، وهذه الأسماء لم تتغير منذ مئات السنين . والمحلات التى كانت خارج السور القديم - والتى كانت تسمى فى مجموعها بالمنشية - هى الشارع الغربى ومجلة الظهرة وزاوية الدهمانى وشارع الزاوية وشارع ابن عاشور وغيرها من الشوارع والمحلات ؛

(١) مجلة المعرفة - ١٩٦٤

وبقى السور القديم الذى كان يفصل المدينة عن المنشية ، والذى كان سكان طرابلس يعتمدون عليه فى الدفاع عن ممتلكاتهم وأرواحهم من الغارات البحرية والبرية حتى سنة ١٨٨٠ . فكانت أبوابه تغلق بعد صلاة العشاء مباشرة ، ولا يسمح بالخروج من المدينة والدخول إليها لأحد إلا صباحاً . ولما كثر البناء خارج السور ، ولم تعد للأسوار قيمة دفاعية بالنسبة للحروب الحديثة ، واستقر الأمن فى البلاد ، هدم الأتراك الجزء المواجه للبحر وفتحوا فيه ثغرة كبيرة أخرى سميت بباب الحرية . وبعد الاحتلال الإيطالى قام الإيطاليون بهدم جزء آخر من السور ولم يبق منه الآن إلا الجزء الممتد من مدخل سوق المشير إلى باب الحرية ، والجزء الآخر الذى يمتد من الباب الجديد حتى البحر حيث مخازن الحلفاء . وقد بقى هذان الجزآن كآثار تاريخية إلى اليوم .

وأما السور الذى يحيط بضواحى المدينة والذى يسميه الأهالى بالكردون، فقد بناه الإيطاليون سنة ١٩١٢ لحماية منطقة احتلالهم من غارات المجاهدين وطوله بضعة كيلومترات وله عدة أبواب منها باب العزيزية وباب قرقارش وباب ابن غشير وباب ترهونه وغيرها .

وقد ورد فى « السالنامة » (وهى نشرة سنوية كانت تصدرها الولاية فى العهد العثمانى) أنه كان فى عام ١٨٨٥ « يوجد داخل السور قصر الحكومة فى السراى الحمراء ، وثكنة عسكرية تستوعب ١٥٠٠ جندى ، ومركزان للشرطة ، وبرج الساعة و٩ جوامع و١٨ مسجداً وثلاث زوايا و ٥ كنائس للنصارى و٧ كنائس لليهود ، ومدرسة ثانوية و١٥ مدرسة قرآنية وابتدائية، ومدرسة واحدة للبنات ، وثلاثة معاهد دينية ، وجميع قنصليات الدول ومستشفى واحد ، والبلدية ومعملان للصابون و٢٠ فرناً و٧٢ مطحناً تدار بالجمال ومدبغة واحدة و٢٤٥٣ بيتا و١٠١٩ دكانا و٤٠ مخزنا و٢٢ مقهى

و ٤ حمامات و ٢٫ فندقاً وثلاث صيدليات . وعدد سكانها قدر بـ ٢٥ ألف نسمة بين مسلمين ونصارى ويهود » .

أما القسم الذى كان خارج السور فكان فيه : « ٤٤ جامعاً و ٧١ مسجداً و ٤٥ زاوية و ٣٠ مدرسة قرآنية وابتدائية و ٢٥ مصحناً منها اثنان تداران بالبخار و ٤٨ فندقاً وكنيستان و ١٥٠٠ بيت و ٥٩٥ دكانا و ٢٢ مقهى و ١٢٠٠ بستان ، وثكنات الفرسان والمدفعية ، وثلاثة مراكز للشرطة ، والمستشفى العسكرى ، و ١٥ مدبغة . وقدر عدد السكان فى هذه المنطقة بـ ٢٠ ألف نسمة » .

- ٤ -

استمر الحكم العثمانى لليبيا مدة طويلة تقرب من نحو أربعة قرون شملت ثلاث فترات مختلفة :

١ - الفترة الأولى عهد الحكم العثمانى الأول (١٥٥١ - ١٧١١ : ٩٥٨ - ١١٢٣ هـ) .

٢ - الفترة الثانية العهد القره مانلى (١١٢٣ - ١٢٥١ هـ : ١٧١١ - ١٨٣٥ م) .

٣ - الفترة الثالثة العهد العثمانى الثانى (١٢٥١-١٣٢٩هـ : ١٨٣٥-١٩١١م)

(ا) فى الفترة الأولى : كان يحكم ليبيا ولاة أتراك ، كانوا فى أغلب الأمر من كبار القواد ، وعلى رأسهم درغوت باشا الذى يعده بعيو أول حاكم تركى لليبيا(١) ، أو مراد آغا الذى يعده كثيرون أول تركى حكم البلاد(٢) وقد بنى

---

(١) ١٣٠ دراسات فى التاريخ اللوبى - بعيو .

(٢) ص ٣٣ تاريخ ليبيا .

له مسجدا ومدرسة فى تاجوراء ، وخلفه درغوت (١٥٥٣ - ١٥٦٥) الذى بنى مسجدا كبيرا فى طرابلس أطلق عليه اسمه ، ومن الولاة جعفر باشا (١٥٦٩ - ١٥٨١) الذى طرد الأسبان من تونس وقضى على الدولة الحفصية عام ١٥٧٠ م ، ومحمد باشا الساقزلى (١٦٣١ - ١٦٤٩) الذى ضم إقليم برقة إلى ولايته بعد أن كان خاضعا للسلطة العثمانية فى مصر اسميا .

وفى هذه الفترة نمت البحرية الليبية نموا كبيرا ، وأصبحت عاملا فعالا فى الدفاع عن الوطن الليبى وفى تهديد أعدائه وفى حماية القوافل التجارية الليبية البحرية فى البحر المتوسط[١] ، وكانت (ترسانة) طرابلس لا تكف عن العمل ليل نهار لتزويد الأسطول بأكبر عدد من السفن[٢] ، وقد تحدث الرحالة العياشى عن القوة البحرية الطرابلسية التى شاهدها عند مروره بطرابلس يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٠٧٦ هـ فى طريقه إلى الأراضى المقدسة[٣] وفى عام ١٦٧٥ م هاجمت البحرية الليبية سفنا إنجليزية فى البحر المتوسط وغنموا منها ثلاثا ، مما آثار غضب البحرية الإنجليزية فقامت بغارة بحرية على طرابلس ، حيث أحرقت السفن الليبية الراسية فى الميناء بعد أن قذفت المدينة بمدافعها[٤] .

وكان لنشاط البحرية الليبية أثره الكبير فى زيادة الثراء والرفاهية للشعب ، وفى تحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقوة البلاد السياسية ، وقد تغنى الأدب الشعبى بهذه البطولات والملاحم وأعمال الأسطول الليبى فى تهديد سفن أوربا وحماية الوطن من غزو صليبى أوربى ، ومن الأدب الشعبى آنذاك قصة عسيلة وهى فتاة ليبية أسرها قراصنة الروم وحملوها معهم

---

(١) ١٢٤ دراسات فى التاريخ الليبى .　　(٢) ١٣١ المرجع .
(٣) ١٣٦ المرجع ، ١ : ٦٠ رحلة العياشى .
(٤) ١٢٦ و ١٣٧ دراسات ليبية .

فاستنجدت بالشيخ الولى عبد السلام الأسمر الفيتورى ببلدة زليتن الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى قرن نمو البحرية فعمل هذا الولى على نجدتها وإنقاذها من العدو(١) .

(ب) وفى الفترة الثانية : وهى العهد القره مانلى كانت ليبيا مستقلة استقلالا داخليا تاما وإن اعترفت بالسيادة العثمانية ، وأول حاكم لليبيا من هذه الأسرة هو أحمد باشا القره مانلى الكبير الذى ينتسب إلى بلدة قرمانيا فى هضبة الأناضول بآسيا الصغرى ، وكان بحارا فى الأسطول العثمانى ، ثم صعد إلى الحكم بعد كفاح طويل فى ٢٧ يوليو ١٧١١ م .

وقد أولى الأسطول وقوافل التجارة البرية جل اهتمامه وقد جعل اللغة العربية اللغة الرسمية وبجـــانبها اللغة التركية ؛ فكتب بالعربية الوثائق والمعاهدات السياسية والأوراق الرسمية ، وبنى مسجدا ضخما فى طرابلس يعد تحفة فنية رائعة ويدل على الرخاء والرفاهية ، الذين سادا البلاد ، وقد حكم البلاد أربعة وثلاثين عاما ومات عام ١٧٤٥ ، وظهر فى عهده المؤرخ محمد بن خليل غلبون وكتابه « التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار » مشهور(٢) وقد ألفه عام ١٧٣١ م ،وخلف أحمد باشا ابنه محمد باشا (١٧٤٥ - ١٧٥٤) ، ثم على باشا القره مانلى (١٧٥٤ - ١٧٩٣)،ويوسف

---

(١) راجع الفصل القيم الذى كتبه بعيو عن ليبيا والسيادة البحرية (١٠٩ - ١٦٦ دراسات فى التاريخ اللوبى) .

(٢) وقد توفى ابن غلبون عام ١١٧٧ هـ : ١٧٦٣ م (١٦٨ نفحات النسرين والريحان) وراجع كتاب ابن غلبون للأستاذ على المصراتى . وقد ذكر فيه أن ابن غلبون من مصراتة وأنه درس فى الأزهر وعاد إلى ليبيا عام ١١٣٣ هـ : ١٧٢٠ م ، وكان معاصرا لأحمد باشا القره مانلى ، ومن معاصريه : أحمد بن محمد المكنى المفـــتى ومحمد النعاس ، وكتابه « التذكار » شرح لقصيدة أحمد بن عبد الدايم الأنصارى فى طرابلس .

باشا القره مانللى (١٧٩٥ - ١٨٣٢) وعلى باشا (١٨٣٢ - ١٨٣٥) وهو آخر الأسرة القره مانلية .

وفى هذه الفترة بلغت البحرية الليبية ذروة قوتها ، وألقت الرعب فى قلوب الأوربيين ، وعقدت دول أوربا المعاهدات مع حكومة ليبيا حتى تأمن على تجارتها نظير دفع جزية سنوية وكانت انجلترا أسرع هذه الدول إلى عقدها فى سنة ١٧٥١ (١) ، ثم البندقية عام ١٧٦٥ م ، وفى عهد يوسف باشا القره مانللى فرضت الإتاوات السنوية على معظم الدول البحرية ، وكان لذلك أثره القوى فى حياة البلاد وانتعاشها ، وكان الصراع بين البحرية الليبية والبحرية الأمريكية فى عهد يوسف باشا (٢) ، صدمة قوية أصابت هيبة البحرية الليبية فى الصميم(٣) ، وبانتهاء الأسرة القره مانلية عام ١٨٣٥ زال ماللبحرية الليبية من وجود (٤) . . وكان نشاط تجارة القوافل البرية فى ليبيا مصاحبا لازدهار الأسطول الليبي وقوته (٥) ، وقد تغنى به الأدب الشعبي فى ليبيا(٦) .

(جـ) وفى الفترة الثالثة : وهى العهد العثمانى الثانى عادت ليبيا إلى الحكم العثمانى ، وتولى أمورها ولاة من قبل الخلافة العثمانية ، وفيها اختلت أمور البلاد وظهرت الدعوة السنوسية بقيادة الإمام الكبير محمد

---

(١) ١٣٨ و ١٣٩ دراسات لبعيو .

(٢) ١٤٨ - ١٦٢ المرجع .   (٣) ١٦١ المرجع .

(٤) ١٦٣ المرجع .

(٥) ١٨٥ المرجع وراجع الفصل القيم عن تجارة القوافل فى ليبيا الذى كتبه بعيو فى كتابه دراسات (١٦٧ - ٢٢٠ المرجع) .

(٦) ١٩٧ و ١٩٨ المرجع - وفى آخر هذه الفترة ظهر أبو القاسم المحمودى (١٢٣٦ هـ) شيخ قبيلة المحاميد المشهورة وكان صاحب النفوذ فى جبل نفوسة واغتيل بيد أتباع يوسف باشا (٢٧ و ٢٨ أعلام ليبيا) .

ابن على السنوسى ، وأنشئت بعض المدارس وكثر الشباب الليبي فى مدارس وجامعات استانبول ، وذاعت الثقافة التركية واللغة(١) والتقاليد والعادات والأسماء التركية فى البلاد، وكادت تمحى شخصية ليبيا العربية ، وصارت التركية لغة الدواوين ولغة الحكم والسياسة لولا أن عصم الله البلاد بظهور الحركة السنوسية الرائدة وإمامها الكبير ، وقد تنافس الأهلون فى إنشاء المساجد والمدارس العلمية ومنهم رمضان ميزران(٢) (١٣١٩ هـ) مؤسس المدرسة المسماة باسمه فى طرابلس « مدرسة ميزران القرآنية » التى كان لها قصب السبق فى تحفيظ القرآن الكريم ، كما كان لمدرسته العلمية أكبر الفضل فى نشر العلوم وتخريج العلماء ممن أسهموا فى نشر العلوم الدينية والعربية ، وفى المحافظة على الثقافة الإسلامية ؛ وقام عمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣) وجماعة من المصلحين بإصلاح مدرسة أحمد باشا لتقوم برسالتها العلمية ، فوضعوا لها نظاما خاصا وسموها كلية أحمد باشا ، وتولى رياستها قبيل وبعد الاحتلال الإيطالى مباشرة (٣) .

لقد كان الفضل فى حفظ اللغة العربية وأدبها فى هذا العصر راجعا إلى أثر غيرة العلماء والأدباء الليبيين ، فضلا عن أثر الأزهر والزيتونة والزوايا الدينية والمعهد الجغبوبى (٤) .

---

(١) كانت التركية اللغة الرسمية للبلاد ولغة التعليم أيضا (١٥٩ أعلام ليبيا) .

(٢) ١١٨ و ١١٩ أعلام ليبيا .

(٣) ٢٣٠ المرجع .

(٤) وإذا كان التعليم ضئيلا فى العهد التركى حتى إن الرجل فى البادية كان لا يجد من يقرأ له رسالة فيتكلف الذهاب بها إلى أقرب مدينة إليه (٥٧٠ برقة العربية) فإن الإمام محمد بن على السنوسى قد قلب - بجهوده وبما أنشأ هو وخليفته الإمام المهدى السنوسى من زوايا - كل هذا التخلف وأحاله إلى يقظة ونهضة واسعة .

وفى العهد العثمانى الأخير اختير بعض الممثلين عن ليبيا أعضاء فى مجلس المبعوثان ـ النواب ـ العثمانى ومن بينهم : سليمان باشا البارونى ، وأحمد ضياء بك المنتصر والد محمود المنتصر رئيس وزراء ليبيا فى فترات عديدة ، وفرحات بك الزاوى والد نجم الدين فرحات وعم طاهر الزاوى ، والمرحوم المختار بك كعبار عم السيد عبد المجيد كعبار رئيس مجلس النواب الليبى فى فترة من فترات عهد الاستقلال ، وعمر منصور الكيخيار رئيس مجلس الشيوخ الليبى كذلك فى فترة من فترات الحياة النيابية فى عهد الاستقلال ، والمرحوم يوسف بن شتوان من برقة .

وكان القضاء قبل العهد العثمانى على مذهب الإمام مالك ، فلما جاء العثمانيون أدخلوا معهم الفقه الحنفى كمصدر من مصادر التشريع والقضاء .

وإذا كان القضاء قد بقى فى ليبيا جاريا على مذهب مالك بن أنس فى الدعاوى المدنية ، والجنائية ، فى عهد الأتراك الأول ، وعهد حكومة القره مانلى ، وبقى للمدن الليبية الكبرى حق ترشيح القضاة .

فإن مذهب الإمام الأكبر أبى حنيفة النعمان قد ساد فى العصر العثمانى الثانى وفرض الأتراك تطبيقه ، وجعلوا المجلة الشهيرة هى مصدر الأحكام ، وصار القضاة يعينون من الأتراك والشاميين ، وكان قاضى طرابلس هو القاضى الرئيسى ، وسائر القضاة نوابا له ، وكان يساعـــد هؤلاء القضاة مفتون يدلون باجتهادهم فيما يشكل على القضاة من الأحكام ، كما كانوا يفتون الناس كمحكمين .

وقد طبق الأتراك فى القضاء الجنائى قانون العقوبات التركى ، وأصبحت الإجراءات فى كل من القضاء المدنى والجزائى منظمة بقانونى أصول المحاكمات الحقوقية وأصول المحاكمات الجزائية .

ولكن مذهب مالك كان هو السائد بين الشعب ، وعليه تدور أحكام الناس فيما بين بعضهم والبعض الآخر ، ويتسم فقه مالك بالمرونة وبروح تقدمية تساير كل عصر ، وتتمشى مع أحدث النظريات القانونية ؛ ومدونة مالك الفقهية موسوعة ضخمة فى الفقه ، وكانت تحمل على بعير ، ووجدها بعض القضاة عام ١٩٣٥ فى بلدة « أوبارى » بفزان تملأ خزانة كبيرة ومكتوبة على صحف من جلد الغزال .

ومن الفقهاء المالكيين القدامى الإمام المازرى أحد شراح مختصر خليل بن إسحاق وهو من بلدة مازرة بسيشليا فى إيطاليا ؛ وقد أخذ الفقه اللاتينى عن مذهب مالك كثيرا من النظريات حتى فى مواد الأحوال الشخصية .

أشهر العلماء والأدباء فى هذا العصر

نبغ فى العلم والأدب الكثير من العلماء والأدباء فى هذا العصر الذى امتدا نحوا من أربعة قرون :

نذكر منهم ما يلى :

١ ـ أبو بكر الطرابلسى (١١٨٠ هـ) من العلماء والزاهدين والصالحين(١)

٢ ـ أبو تركية المصراتى (١١٠٣ هـ) عالم زاهد ورع (٢) .

٣ ـ أبو القاسم المصراتى العالم الأمثل (١٠٦٦ هـ) من المحدثين وشارك فى فنون من المعقول والمسموع (٣) .

٤ ـ أحمد الطرابلسى المحدث (١٢٥٤ هـ) (٤) .

٥ ـ أحمد شامل الطرابلسى شيخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف ومن العلماء الأماثل (١٢١٥ هـ)(٥) .

٦ ـ أحمد بن سالم (١٢٧٢ هـ) كان على جانب كبير من العلم وتولى التدريس بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر(٦) .

٧ ـ أحمد الأنصارى العلامة الفقيه المؤرخ ، وكان شاعرا مجيدا حسن الطريقة فى الشعر ، ومن شعره قصيدة يستنجد الخليفة العثمانى على الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١١٤٠ هـ ومنها :

يا واحدا ما فى البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكلل

---

(١) ٢٠ و ٢١ أعلام ليبيا . (٢) ٢١ المرجع .

(٣) ٢٦ المرجع . (٤) ٢٩ المرجع .

(٥) ٣٢ و ١٣٢ المرجع و ٢ : ٥٥ المنهل العذب ، ١٥٦ نفحات النسرين والريحان .

(٦) ٣٣ أعلام .

إنا انرجو منك أخذ الثأر من   شعب الفرنسيس اللئيم الأرذل(١)

وسنذكره في الشعراء فيما يلي ذلك :

٨ — أحمد بن الرحمن الطرابلسي (١١٥٥ هـ) عالم جليل محدث مشارك في جميع العلوم ، ولى قضاء طرابلس بعد والده(٢) .

٩ — أحمد بن عبد العزيز الطرابلسي ولى القضاء بطرابلس وتوفى عام ١٠٢٢ هـ(٣) .

١٠ — أحمد بن عبدالمحسن ولى بعد والده القضاء بزليطن وولاه أحمد باشا الفتيا في ٢٦ من المحرم عام ١١٤٢ هـ وكان عالما جليلا ، درس بزاوية عبد السلام الأسمر وتوفى في ٢٨ من المحرم ١١٤٧ هـ(٤) .

١١ — أحمد بن علي العالم المشهور والفقيه المحدث (١١٩٠ هـ)(٥) .

١٢ — أحمد الغرياني (١٠١٤ - ١١٠٨ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس في عهد عثمان باشا حاكم طرابلس(٦) .

١٣ — أحمد اليربوعي(٧) من الفضلاء وأعلام الأدباء في طرابلس ، تولى القضاء فيها بعد والده ، أثنى عليه العياشي الرحالة ، وتوفى عام ١٠٧١ هـ .

١٤ — أحمد الطرابلسي (١١٣٠ هـ) عالم زاهد عابد(٨) .

١٥ — أحمد بن محمد بن سالم (١٢٤٢ - ١٣١٥ هـ) علامة جليل ، تولى قضاء زليتن(٩) .

---

(١) ٣٦ و ٣٧ أعلام ليبيا .
(٢) ٣٨ المرجع .
(٣) ٣٩ المرجع .
(٤) ٤١ المرجع .
(٥) ٤٢ المرجع .
(٦) ٤٣ المرجع .
(٧) ٤٣ و ٤٤ المرجع .
(٨) ٤١ المرجع .
(٩) ٤٥ و ٤٦ المرجع .

١٦ - أبو العباس أحمد بن محمد الطرابلسي (١٠٦٢ هـ) عالم عابد ورع[١] .

١٧ - أحمد بن يوسف (١٢٩٤ هـ) كان من تلاميذ الإمام السنوسي وعلى جانب كبير من العلم ، وهو جد السيد إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية لأمه[٢] .

١٨ - أحمد المقرحي (١٢٦٣ هـ) توفى بالبيضاء ودفن بمقبرة الإمام رويفع الأنصاري وكان من أعيان العلماء وفضلائهم ، تولى الإفتاء بالزاوية واتصل بالإمام السنوسي في طرابلس عام ١٢٥٧ هـ ، وصحبه وانتقل معه إلى برقة وصار من خواص أصحابه[٣] .

١٩ - أحمد المكني (١٠٤٢ - ١١٠١ هـ)[٤] ، كان في مقدمة العلماء الطرابلسيين في زمنه وتولى الإفتاء في طرابلس ، وأثنى عليه الرحالة العياشي ، وذكر أن من مؤلفاته « شكر المنة في نصر السنة »[٥] ، وهو في الرد على الإباضية كما ذكره مؤلف كتاب « اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة » لبشير ظافر .

٢٠ - حسين الأنصاري (١٢٢٣ - ١٢٩٨ هـ) تلقى العلوم في طرابلس ثم تونس ومصر ، وصار من مشهوري العلماء في عصره ، وتمكن من فقه الإمام الأعظم ، وأصبح من فحول العلماء ، مع تصرف في شتى العلوم والفنون ، ومن مؤلفاته : « إرشاد السالكين ونصرة الذاكرين » في التصوف[٦] .

---

(١) ٤٧ أعلام ليبيا . (٢) ٥٤ المرجع .

(٣) ٨٠ المرجع .

(٤) ٨٠ و ٨١ المرجع ، ٢٧٤ تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ١ : ٢٧٩ المنهل العذب ، وص ١٣٢ و ١٣٣ من كتاب نفحات النسرين والريحان .

(٥) ٨١ أعلام ليبيا ، وراجع هامش ص ١٧٠ من هذا الجزء .

(٦) ١٠٠ و ١٠١ المرجع ، وراجع ترجمته في ١٤ - ١٧ مقدمة كتاب « نفحات النسرين والريحان » لأحمد النائب . والمقدمة بقلم المصراتي .

٢١ — داود أفندى ابن أسعد (١٢٨٣ هـ : ١٨٦٦ م) - ١٣٣٦ هـ : ١٩١٧ م ، كان يجيد الكثير من اللغات الشرقية والغربية ، فأتقن الفارسية والتركية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية ، كما كان يجيد العربية لغة قومه ، وكان عالما بحاثا مفكراً ، أصدر عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م مجلة الفنون نصف شهرية ، وسافر إلى الآستانة والتحق بوظيفة فى نظارة المعارف هناك ، ثم عين مديرا للمعارف فى ولاية (أزمير) ، وبعد الانقلاب الاتحادى فى تركيا عام ١٩٠٨ رجع إلى طرابلس وظل فيها حتى توفى عام ١٩١٧ ، وبحوثه فى مجلة الفنون تمتاز بالطرافة والجدة(١) .

٢٢ — سالم بن عبد الحفيظ (١١٧٦ - ١٢٤١ هـ) من العلماء الأجلاء وتولى التدريس فى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر(٢) .

٢٣ — سالم بن أحمد (١١٥٨هـ) كان على جانب كبير من العلم ، وعاصر أحمد باشا القره مانللى(٣) .

٢٤ — الطاهر الرمشانى من علماء الزاوية وتولى الإفتاء بها عام ١٢٨٧ هـ(٤) .

٢٥ — عبد الحفيظ بن محمد (١٢٣٣ - ١٣١٥ هـ) من مشهورى العلماء وكبار الأساتذة فى عصره(٥) .

٢٦ — عبد الحميد البشتى من العلماء والمدرسين وتوفى نحو عام ١٣٩٠هـ .

٢٧ — عبد الرحمن الطرابلسى، علامة فقيه تقى ورع، وله منظومة عارض بها منظومة البوصيرى الهمزية وتوفى نحو عام ١٣٢٤ هـ(٦) .

---

(١) ١٠٧ - ١٠٩ أعلام ليبيا ، وكتاب ، صحافة ليبيا ، للمصراتى .
(٢) ١٢١ أعلام ليبيا .
(٣) ١٢٢ المرجع . (٤) ١٣٩ المرجع .
(٥) ١٥٣ و ١٥٤ أعلام ليبيا . (٦) ١٦٠ المرجع .

٢٨ — عبد السلام التاجورى ، برع فى علم الشريعة وعلوم التصوف وله تآليف منها « فتح العليم » ، و« تذييل المعيار » وتوفى عام ١١٣٩ هـ (١) .

٢٩ — عبد القادر بن عبد السلام (١٢٢٣ - ١٢٩٧ هـ) عالم جليل ، وصوفى ورع ، امتدحه العلماء بالقصائد البليغة (٢) .

٣٠ — عبد القادر المقرحى من العلماء فى القرن الثالث عشر الهجرى ، وكان عالما فاضلا ذا وجاهة وجاه ، وتولى قضاء الزاوية نحو عشر سنوات(٣) .

٣١ — عبد الله بن غلبون (١١١٠ هـ) عالم فاضل من مصراته (٤) .

٣٢ — عبد الله الأسمر (١٠٨٨ هـ) علامة صوفى فاضل ، له تلاميذ كثير ، ورسائل فى الذكر والتصوف والوعظ (٥) .

٣٣ — عبد الله المصراتى (١٨٣٨ - ١٩١٨) كان من علماء الأزهر المشار إليهم فى العلم والفضل(٦) .

٣٤ — على بن أحمد ، رحل عام ١٣١٥ إلى الأزهر لطلب العلم ، وعاد إلى طرابلس ١٣٢٢ هـ ، وتولى التدريس بجامع أحمد باشا(٧) .

٣٥ — على بن عبد الصادق ، عالم فقيه فاضل ومؤدب مؤلف ، وله منظومة فى عيوب النفس (توفى عام ١٣٨ ؟ هـ)(٨) .

٣٦ — على بن عبد اللطيف (١٢٦٨ - ١٣٢٧) من العلماء الفضلاء ،

---

(١) ١٧٤ أعلام ليبيا .
(٢) ١٨٤ المرجع .
(٣) ١٨١ المرجع .
(٤) ١٨٨ المرجع
(٥) ١٩٤ المرجع .
(٦) ١٩٥ أعلام ليبيا .
(٧) ٢٠٥ و ٢٠٦ المرجع .
(٨) ٢٠٩ و ٢١٠ المرجع .

وكان يشارك فى جميع العلوم . وله منظومة فى علمى الأصول والتصوف سماها « الدرر الحسان »(١) .

٢٧ — على بن كريمة من علماء الزاوية المبرزين توفى عام ١٣٢٨ هـ(٢) .

٣٨ — عمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣ هـ) درس فى الأزهر وعاد ليعمل فى التدريس ، وصار قاضيا فى محكمة الاستئناف بمدينة طرابلس ، ثم عين عام ١٩١٣ مفتيا لمدينة طرابلس ، ورأس جمعية الجامعة العثمانية فى طرابلس(٣) .

٣٩ — محمد الأثرم (١١٤٥ - ١٢٠١ هـ) من العلماء الزاهدين(٤) .

٤٠ — محمد بن أحمد بن الإمام الطرابلسى (١٠٨٣ هـ) من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء(٥) .

٤١ — محمد عليش الطرابلسى شيخ المالكية بالأزهر (١٢٩٩ هـ) وله مؤلفات كثيرة(٦) .

٤٢ — محمد بن أحمد بن مساهل (١٠٧٧ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس(٧) .

٤٣ — محمد الورفلى (١٣٤١ هـ) رحل إلى الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس وتولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتخرج عليه الكثير من طلاب العلم(٨) .

---

(١) ٢١٠ أعلام ليبيا .
(٢) ٢١٣ و ٢١٤ المرجع . (٣) ٢٢٩ و ٢٣٠ المرجع .
(٤) ٢٥٩ المرجع ، ١٤٥ نفحات النسرين والريحان .
(٥) ٢٦١ أعلام ليبيا . (٦) ٢٦٢ المرجع .
(٧) ٢٦٣ المرجع .
(٨) ٢٦٥ و ٢٦٦ أعلام ليبيا .

٤٤ — محمدين الأمين (١٢٦١ - ١٣٢٤ هـ) تولى الإفتاء فى مدينة الخمس (١) .

٤٥ — محمد بن شعبان الطرابلسى ، ناظر علماء استانبول عام ١٠١٦ ، وأسند إليه قضاء طرابلس والإفتاء والتدريس بها (٢) وتوفى عام ١٠٢٠ هـ .

٤٦ — محمد بن عبد الحفيظ تولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتوفى ١٢٣٤ هـ (٣) .

٤٧ — محمد التاجورى فقيه محـــدث انتفع به خلق كثير وتوفى عام ١١٧٩ (٤) .

٤٨ — محمد بن عبدالرحمن بن قنونو عالم فاضل ومؤلف محقق (١١٨٠ - ١٢٥١ هـ) وله منظومة فى الفلك ومنظومات أخرى فى علوم شتى (٥) .

٤٩ — محمد بن عبد الرزاق (١٢٣٦ - ١٣١٠ هـ) شيخ الأساتذة والعلماء والمفتين بمدينة الزاوية (٦) .

٥٠ — محمد بن عبدالكريم الطرابلسى (١٢٣٢ هـ) تولى قضاء طرابلس بعد والده (٧)

٥١ — محمد بن على الغريانى الطرابلسى (١١٩٥ هـ) من كبار العلماء والمؤلفين (٨) .

٥٢ — محمد المدنى عالم عارف بالله ، سافر إلى الآستانة ونال حظوة كبيرة عند السلطان عبد الحميد ، وتوفى بها عام ١٣٢٥ هـ (٩) .

---

(١) ٢٦٧ أعلام ليبيا .

(٢) ٢٧٦ المرجع ، و ١ : ٢٤١ المنهل العذب .

(٣) ٢٧٦ أعلام ليبيا .

(٤) ٢٧٧ المرجع .

(٥) ٢٧٧ و ٢٧٨ المرجع .

(٦) ٢٧٨ و ٢٧٩ المرجع .

(٧) ٢٨٠ و ٢٨١ المرجع .

(٨) ٢٩١ المرجع .

(٩) ٢٩١ و ٢٩٢ المرجع .

٥٣ — محمد بن محمد بن عمران بن عبد السلام الأسمر من جلة الفقهاء توفى عام ١٠٨٨ هـ (١) .

٥٤ — محمد بن محمد الفطيسى (١٢١٠ هـ) فقيه عالم جليل مؤلف ، نظم فى الفقه منظومة ثم شرحها فى مجلدين ، وله منظومة فى التوحيد وأخرى فى النحو (٢) .

٥٥ — محمد بن محمد المكنى (١٠٨٥ هـ) عالم فاضل من بيت علم (٣) .

٥٦ — محمد بن مصطفى الماعزى (١١٦٧ هـ) من أماثل العلماء وزهادهم (٤) .

٥٧ — محمد بن منيع عالم جليل علامة ، شغل بالتدريس سنين طويلة ، وبذل فى مساعدة طلاب العلم الكثير من ماله وجهده ، وكان موضع الإجلال والتقدير ، وكسب شهرة كبيرة فى إقليم طرابلس ، وكذلك كان على جانب كبير من العلم والتقوى ، وله قصيدة همزية عارض بها همزية البوصيرى فى مدح الرسول ، وتوفى بعد عام ١٣٣٠ هـ (٥) .

٥٨ — محمد البوراوى من أحفاد عبد السلام الأسمر ، كان فقيها فاضلا توفى عام ١٠٧٨ هـ (٦) .

٥٩ — محمد الأزهرى ـ أخذ عن محمد بن منيع ، وكان يضرب بعلمه المثل ، وسماه الإمام السنوسى (الأزهرى) وإن كان لم يذهب إلى الأزهر ، توفى عام ١٣١٥ هـ (٧) .

---

(١) ٢٩٥ أعلام ليبيا .
(٢) ٢٩٥ و ٢٩٦ المرجع .
(٣) ٢٩٦ المرجع .
(٤) ٢٩٧ المرجع .
(٥) ٣٠٦ المرجع .
(٦) ٣٠٧ المرجع .
(٧) ٣٠٨ المرجع .

٦٠ — محمد الشريف بن محمد السنوسى (١٢١٢ - ١٣١٣ هـ) كان له مشاركة فى جمع العلوم [١] .

٦١ — محمد العربى (١١٤٣ هـ) عالم شاعر [٢] .

٦٢ — محمد كامل بن مصطفى (١٢٤٤ - ١٣١٥ هـ) درس فى الأزهر ، ورجع إلى طرابلس عام ١٢٧٠ هـ ، وأخذ يعمل فى نشر العلم وفى التدريس ، وله على البيضاوى حواش كثيرة ، وله كذلك كتاب الفتاوى الكاملية فى الحوادث الطرابلسية طبع عام ١٣١٣ هـ فى مجلد وهى تجرى على مذهب أبى حنيفة ، وله حواش على السعد لم تطبع ، وكان يقال له سيبويه زمانه ، وتولى الإفتاء فى طرابلس (١٣١١ - ١٣١٥ هـ) وتخرج عليه جيـــل من رجالات ليبيا وأدبائها [٣] .

٦٣ — محمد المكنى (١٠٦٥هـ) كان من أشهر علماء ساحل طرابلس [٤] .

٦٤ — مصطفى الكاتب (١٢١٣ هـ) مصرى الأصل ، طرابلسى المولد والمنشأ والوفاة ، عالم أديب ، كان على جانب كبير من العلم والذكاء ، وله كتاب « المسائل المهمة والفوائد الجمة فيما يطلبه المرء لما أهمه » ، وكان كاتبا لعلى باشا القره مانلى ولذلك لقب الكاتب ، وقربه إليه ، وحظى عنده ، وأسس المسجد والكتاب والمدرسة المعروفان باسمه [٥] .

٦٥ — مفتاح بن عبد الله (١٢٦٦ - ١٣٥٢ هـ) طلب العلم فى الأزهر وتولى القضاء بزليتن وله فتاو لم تطبع [٦] .

٦٦ — مصطفى باكير (١١٨٩ هـ) [٧] .

---

(١) ٣١٧ و ٣١٨ أعلام ليبيا . (٢) ١٤٨ نفحات النسرين والريحان .
(٣) ٣٢٥ - ٣٢٦ أعلام ليبيا . (٤) ٣٢٦ و ٣٢٧ المرجع .
(٥) ٣٤٣ و ٣٤٤ المرجع، ص ٣٥-٤١ كتاب لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى . وكتاب الكاتب مخطوط ألفه عام ١٢٠٧ هـ ويقع فى ٣٦٨ صفحة مخطوطة .
(٦) ٣٤٥ المرجع . (٧) ١٥٥ نفحات النسرين والريحان .

الأدب العربى فى هذا العصر

— ١ —

مع سيادة اللغة التركية فى عصر العثمانيين واتخاذها لغة رسمية للدواوين وفى شئون السياسة ، إلا أن اللغة العربية بسطت نفوذها وسلطانها الفعلى على جميع أنحاء ليبيا ، بتأثير عناية الشعب الليبى بها لأنه لغة الدين والقرآن ولغة التراث الإسلامى المجيد ، وتنافس أثرياء الشعب فى إنشاء المدارس والكتاتيب والمساجد ، وشجعوا العلم والعلماء وأخلص العلماء والأدباء لرسالتهم الأدبية والعربية إخلاصا شديدا ، وقد اتخذت أسرة القره مانللى العربية لغة رسمية أيام حكمهم ، وتعددت حلقات العلم ومجالس الأدب ، وكلها تؤكد سيادة العربية ونفوذها الروحى واللغوى .

ومع فقدان الكثير من الآثار الأدبية والشعرية فى هذا العصر ، إلا أننا نستنتج مما بقى فى أيدينا من كتب ومن آثار أن العربية قويت فى هذا العصر ، واستمرت فى نهضتها ، وأنها لم تعقها العوائق دون بلوغ غايتها .

ووجد جيل من العلماء أثرى بهم العلم والآداب ، ومنهم : أحمد بن عبد المحسن (١١٤٧ ﻫ) ، وأحمد اليربوعى (١٠٧١ ﻫ) وكان من أعلام الفضلاء والأدباء فى طرابلس ، وأحمد المكنى (١١٠١ ﻫ) ، وحسين الأنصارى ، ومحمد بن خليل غلبون المؤرخ المشهور ، وكتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار» مشهور وقد ألفه نحو عام ١٧٣١ - ١٧٣٢ م ، وعمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣ م) ، ومحمد بن منيع (١٣٣٠ ﻫ) ومحمد الأزهرى (١٣١٥ ﻫ) ، ومحمد كامل (١٣١٥ ﻫ) ومصطفى الكاتب (١٢١٣ ﻫ) ، وغيرهم كثيرون ، ممن سبق ذكرهم .

ونهض الشعر نهضة كبيرة ، ومع ظهور آثار الضعف عند بعض الشعراء ،

فقد كان البعض الآخر يمثل شعره القوة والرصانة والجمال والطبع ، لقوة ممارستهم للعلوم العربية والأدبية ، ولتعدد ثقافتهم ورحلاتهم فى طلب العلم والأدب إلى الأزهر فى مصر وإلى الزيتونة فى تونس وإلى مختلف المدن الليبية ، وإلى استامبول كذلك عاصمة الخلافة العثمانية .

وإذا كان أحمد الفقيه حسن الشاعر يقول :

خاله سلطان حسن فوق كرسى الخد تاه

فيأتى بهذه الاستعارة الغريبة القبيحة ، التى تشبه ماء الملام فإن شاعرا مثل مصطفى زكرى يقول :

انظر إلى ورد الخدود وحوله آس العوارض أخضرا مسبوتا
تر آيتين ومن عجائب ما ترى شجر الزبرجد أثمر الياقوتا

ويقول محمد بن مقبل :

لقد لاح فى أفق الدكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويص غطاء

وإذا وجدنا التكلف والتصنع والتعقيد فى شعر محمد بن منصور مثلا نجد الطبع والموهبة والرقة فى شعر البهلول وزكرى وغيرهما ، وإذا وجدنا الإغراب فى شعر ابن شتوان وتكلف البديع فى شعر عبدالكريم الطرابلسى فإننا نجد الرقة والعذوبة كذلك فى شعر عديد من الشعراء فى ذلك العصر .

ويصور الأستاذ على مصطفى المصراتى الحياة الأدبية فى ليبيا فى القرن التاسع عشر فى مقدمة ديوان أحمد الشارف الذى نشره فى بيروت فيقول : « سرت فى مجالس أدباء طرابلس فى القرن التاسع عشر ألوان من حديث المسامرات ، وفنون من شعر المعارضات ، وأدب الرواية والحفظ ، ألوان وأنماط تدور حول تقليد الشعر القديم ومحاكاته ، وأقبل المنتسبون للعلم على حفظ شعر الفحول ، أو المشاهير من شعراء المتقدمين ، وطرائف الأدب ، يرونها فى فصل من الأغانى ، أو فى المستطرف والمخلاة والعقد

الفريد ، ويرون أن طريق التكوين الأدبي هي في الإقبال على الأمهات من مثل الأمالي ، والعقد الفريد ، والبيان والتبيين .

ورغم ندرة الكتب وعدم انتشار المطبوعات ، إلا أن بيوتات السراة الوجهاء يقبلون على اقتناء الكتب ، ويتوارثون خزانة في الحائط ، أو صندوقا مليئا بالكتب الفقهية والأدبية وقواميس اللغة وشروحها ، وكانت ظاهرة من ظواهر المجتمع في طرابلس أن يشجع السراة الأدب في شكل ندوات تعقد في « المرابيع » الملحقة بالبيوت ، وكانت متنفسا لمواهب في الأدب والموسيقى والأدب الصوفي أيضا ، وبيوتات العلم كانت تتوارث القضاء والإفتاء ، ولديها في بيوتها طاقة محفورة في الحائط مليئة بالكتب ، أمثال مقامات الحريري وقاموس الفيروزأبادي وكتب الجاحظ وبعض دواوين الشعر وكتب الفقه ومخطوطات في كل علم .

وقد تركت الزوايا الدينية أثراً ملموسا في البلاد ، فانتشرت الدراسة بالمعاهد العلمية ، أمثال : المعهد الأسمري بزليتن ، وزاوية أحمد زروق بمصراتة ، وزاوية الدوكالي بمسلاتة ، وكلية أحمد باشا القره مانللي ، وكلية عثمان باشا ، بمدينة طرابلس ، وهناك الطلاب الذين درسوا في الجغبوب والزوايا السنوسية ، التي أدت دورا هاما في المحيط العلمي والأدبي وحفظ اللغة ، وغير ذلك من معاهد ومدارس كانت ملحقة بالمساجد ، فيها ظلال من العلم ، وأنماط من الأدب ، وبها مكتبات لاتخلو من كتب قيمة ؛ وحيث تنشأ الدراسة العلمية يتكون بجانبها الأدب والشعر ، كان هناك شغف بالأدب وقرض الشعر ، أشبه مايكون بالتقليد والاجترار ، إلا من عصمته ملكته وأنقذته همته ، وثابر على المطالعة والرواية . .

ولم تكن هناك مجلات أدبية ، الثقافة كانت ذات دائرة ضيقة ، والتعليم لطبقات الشعب لم يكن متسعا ، هناك حلقات ترسل ضوءا لا يكشف معالم الطريق ، كان المتنبي في نظر المثقفين سيد الشعراء ، وأبو العلاء زنديق ،

وعنترة سيد شعراء الحماسة . وأبو تمام بديوانه وحماسته مدرسة شعرية ؛ وديوان عمر بن الفارض وأحمد البهلول الطرابلسي يلقيان عندعشاق الأدب والشعر إقبالا شديدا ، كان الجاحظ ذروة .

ثم جاءت نهضة شعرية جديدة وافدة من المشرق ، حدث التجديد ، من أمثال البارودي وصبرى وشوقى وحافظ والزهاوى والرصافى والكاظمى وعبدالمطلب ؛ وبقيت مع هذا مجالات الشعر فى ليبيا تسير فى ركب المحافظة والمعارضة والتقليد والمحاكاة ، إلا بصيصا من نور يرسله أمثال مصطفى بن زكرى ، وسليمان البارونى ، وأحمد الفقيه الودام ، والأزمرلى ، وابن شتوان ، ومن هذه المدرسة التى حاولت التجديد أو التأثر بالجديد فى إطار المحافظة أحمد الشارف (١٨٦٤ - ١٩٥٩ م)[١] .

وقد نبغ فى الشعر الكثير من أعلام الشعراء الذين سوف نذكر منهم طائفة نبغوا فى هذا العصر وذاعت شهرتهم فيه .

---

(١) راجع ١٣ — ٢١ ديوان أحمد الشارف ، حيث لخصت كلام الأستاذ المصراتى .

أشهر الشعراء فى هذا العصر

فى هذا العصر الكبير ظهر العديد من الشعراء الذين طار صيتهم وذاع ذكرهم .

ونذكر منهم هؤلاء الأعلام :

١ — أحمد بن عبد الدائم الأنصارى

سبق ذكره فى العلماء والأدباء ، كان علامة مؤرخا فقيها ، وكان حافظا للتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية ، ملما بكثير من العلوم .

وكان شاعرا مجيدا حسن الطريقة فى شعره ، ومنه قصيدة يستنجد فيها بالخليفة العثمانى ليأخذ بالثأر من الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١١٤٠ هـ ، ومنها قوله :

يا واحدا ما فى البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكلل
إنا لنرجو منك أخذ الثأر من شعب الفرنسيس اللئيم الأرذل

وهو الذى نظم القصيدة المشهورة التى أنشأها فى الرد على العبدرى المغربى الرحالة ، وكان قد ذم فى رحلته طرابلس وأهلها [١] ، فرد عليه الأنصارى بقصيدة طويلة مدح فيها طرابلس وأهلها ، وشرحها ابن غلبون شرحا مطولا سماه « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان فيها من أخبار » ، وصار هـذا الشرح تاريخا من تواريخ طرابلس الغرب التى

---

(١) ابتدأ العبدرى رحلته عام ٦٨٨ هـ ، واجتمع بقاضى طرابلس محمد عبد الله بن عبد السيد ووقعت بينهما مناقشات فذمه العبدرى وذم طرابلس .

يعتمد عليها ، مما دل على وطنيته وعلمه وأدبه (١) .

ويرجح محمد مرمش (٢) أن قصيده الأنصارى ليست فى الرد على العبدرى ، بل على شخص معاصر للشاعر بدليل أن الشاعر خاطبه بقوله فى آخر القصيدة :

فجاءتك ياشرقى تسعى فراعها ... وكن منصفا ثم اجن من ثمراتها

وقال له كذلك :

فتب وانتصح لله إن كنت عارفا ... ودع سوء ما أبديته من صفاتها

فلا تهج أما للثغور حنونة ... كفاها مديحا عدكم هفواتها

وتقع قصيدة (٢) ابن عبد الدائم فى تسعة وعشرين بيتا وتدل على طول باعه فى الأدب والشعر وهى من الشعر الرصين الذى يدل على تضلع صاحبه ونبوغه ، واستهلها بقوله :

أرى زمنا قد جاء يقتنص المها ... بلا جارح ، والأسد فى فلواتها

رأى القيض مبيضا بمزبلة الحمى ... فقال كفانى إنه من صفاتها

ثم مدح طرابلس وأهلها فى نحو أربعة عشر بيتا منها :

طرابلس لاتقبل الذم إنها ... لهنا جبينات جاوزت ميقاتها(٣)

ويمدح الملك أحمد باشا القره مانلى(٤) (١٧١١ - ١٧٤٥) فيقول :

---

(١) ٣٦ و ٣٧ أعلام ليبيا للزاوى .

(٢) ص ٣١ و ٣٢ مجلة القلم الجديد ـ عدد تموز ١٩٥٣

(٣) راجع القصدة كاملة فى ص ٦٠ و ٦١ من كتاب « نفحات النسرين والريحان » لأحمد النائب .

(٤) ينتمى إلى بلدة قرمانيا فى جنوبى هضبة الأناضول فى آسيا الصغرى ، فهو تركى الأصل ، جاء جده مصطفى إلى طرابلس يعمل بحارا فى الأسطول =

بهاملاح أندى من السحب راحة   وأرأف بالأغراب من والدانها
لها همة تعلو لتأييد سنة   بحفظ مبانيها وجمع روانها

وفى المنهل العذب نص للشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصارى يذكر فيه سبب هجرة الشيخ محمد بن سعيد الهبرى (١) (١٠٩٣ هـ) إلى طرابلس وإقامته فيها (٢) ، وكان الشيخ الهبرى من مدينة مستغانم بالجزائر (٣) .

٢ ـ العياشى الرحالة

قال الرحالة أبو سالم العياشى فى رحلته يمدح الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل :

عليك سلام الله ممن غدت لكم   عليه أياد فى الفصول الأوائل
بنورك يستهدى إذا الأرض أظلمت
على أهلها بالجهل أهل السواحل
فكم قد أنلت العرف سائله وكم   منتت بلا سؤل وجدت بنائل (٤)

= التركى أيام طرغود باشا الذى كان يرغب فى استيطان الأتراك فى ليبيا، واستقر مصطفى فى طرابلس وتزوج من امرأة عربية من الليبيين .

(١) ١ : ٢٦٨ المنهل العذب .   (٢) ١ : ٢٦٩ المرجع .

(٣) راجع ترجمته فى ص ١٣٠ - ١٣٢ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب والهبرى كما يذكر المؤلف توفى عام ١٠٩٣ هـ : ١٦٨٢ م .

(٤) ١ : ٢٥٨ المنهل العذب .

٣ — علي الأوجلي

من شعراء ذلك العهد وأدبائه، هاجر إلى حلب وأقام فيها عام ١٠٤٠ هـ، واجتمع بعلمائها وأدبائها وشعرائها، ومدحه الشعراء بقصائد طويلة.

وله شعر جميل، وكان ينظمه في الحنين إلى أوجلة مسقط رأسه ومنتجع شبابه، ومرتع أحبابه، خمس بيتين للقرطبي فقال :

بشمعة كافور من الجيد قد أضت
ليال بريعان الشباب قد انقضت
فلو قيل مايبكيك قلت كما قضت
« ليال وأيام تقضت وقد مضت
فسالت لهنا من ذكرهن دموع »[1]

٤ — احمد بن عروس

يقول من شعر له :

ماغرها ؟ غرها البين وأهل العقول استراحوا
مادفنت ؟ من سلاطين وسيسان بالجير طاحوا
أين الذى قبلنا أين لعبت عليهم وراحوا[2]

(١) ٢٠٣ و ٢٠٤ أعلام ليبيا، ٢ : ١١٨ المنهل العذب.
(٢) ١ : ٣٤٠ المنهل العذب

٥ — محمد بن مقبول الكبير

١٠٥٤ — ١١٠١ هـ

درس فى طرابلس وهى مولده ومنشؤه ، وتولى الإفتاء بها بعد الشيخ أحمد المكنى ، وكان من المبرزين فى العربية وفقه مالك .

واشتهر بالذكاء والفصاحة وجودة الشعر وسلاسة النثر ، ومن شعره يمدح الأستاذ محمد الإمام لما قدم إلى مدينة طرابلس :

لقد لاح فى أفق الذكاء ذكاء	به انجاب عن وجه العويص غطاء
وماهو إلا الأوحد الجهبذ الذى	عليه بمضمار الفحول لواء
إمام همام قد علا منبر العلا	فأفحم من تبيانه البلغاء
هو البارع البحر الإمام محمد	إمام له بابن الإمام جلاء
إليه مقاليد البلاغة سلمت	فحق لها فخر به وعلاء[1]

٦ — محمد العربى

عالم أديب شاعر ، ولد ونشأ بطرابلس وأخذ عن شيوخ عصره ، وكان واسع الاطلاع فى الأدب ، له ذوق عال فى الشعر .

رحل إلى مصر فى طلب العلم ، وعاد إلى طرابلس وجلس للتدريس ، فاشتهر بفضله وعلمه بين الناس ، وتوفى عام ١١٤٣ هـ .

ومن شعره :

---

(١) ٢٩٩ أعلام ليبيا ، ١ : ٢٧٧ - ٢٧٩ المنهل العذب ، ١٣٣ نفحات النسرين والريحان .

ألاهل ترى العين الألى قبل ودعوا ... وهل سيل أجفانى التأرق والهمع
وهل تبلغ النفس الأمانى برهة ... وهل يسرج الاحلاك من ليلنا شمع
أو الموت أدنى من لبانة قاصد ... يسامره جنح الدجى الشعر والدمع
بلى إن دهرى والع بتبددى ... إلى الله أشكو من زمان به ولع
فمالى والأفراح من بعد جيرة ... تقضى بهم رشدى وأعوزنى الجمع
لقد سئمت نفسى الحياة وطولها ... تساوى لدى القبر والسوق والربع[1]

٧ — أحمد البهلول[2]

أديب نحوى فقيه محدث ، وشاعر أديب مشهور ، ولد بطرابلس وتعلم فيها ، وفى القاهرة ، حيث رحل إليها ، وصار بين أهل طرابلس فى شهرة ابن الفارض الأدبية والصوفية والشعرية .

ومن شعره الصوفى تخميسه على « القصيدة العياضية » الذى سار بذكره الركبان ، وذاع بين الشعب الليبى ذيوعا كبيراً ، وصار يتلى فى المساجد فى المولد النبوى الشريف ، وقد أبدع البهلول فى هذا التخميس إبداعا فاق به الأصل ، والقصيدة فى مدح الرسول هى طويلة وأولها :

أحبة قلبى عللونى بنظرة ... فدائى جفناكم والوصال دوائى

---

(١) ٢٨٥ أعلام ليبيا ، وراجع ترجمته وشعراً له فى المنهل العذب (١ : ٣٠٧ - ٣١٠) ، ص ١٤٨ نفحات النسرين والريحان .

(٢) ٥٥ - ٥٧ أعلام ليبيا ، وفى ١٥ - ٢٤ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى بحث مطول عنوانه « هل ذاق أحمد البهلول طعم الحب » ، وترجم له كذلك المصراتى فى كتابه « أعلام من طرابلس » وراجع عنه ١ : ٢٨٨ - ٢٩١ المنهل العذب ، و ص ١٣٦ - ١٣٨ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب .

وقد خمس البهلول هذا البيت فقال :

أذوب اشتياقا والفؤاد بحسرة وفى طى أحشائى توقد جمرة
متى يرجع الأحباب من طول سفرة
أحبة قلبى عللونى بنظرة فدائى جفاكم والوصال دوائى

وقد نشر الأستاذ الشيخ طاهر الزاوى هذا التخميس وقدم له .

وللبهلول رسائل فى الأدب دلت على علو كعبه ، وله نظم لمتن العزية فى فقه الإمام مالك ، وله المقامات الثورية على نمط مقامات الحريرى ، ومنظومة فى العقائد سماها « درة العقائد » فى سبعين بيتا ، وله منظومة المعينة فى فقه أبى حنيفة ، وكان مهابا مبجلا من الجميع ؛ توفى ليلة السبت الثانى من رجب عام ١١١٣ هـ (١) .

ومدح الرسول بديوان كامل طبع فى القاهرة واستانبول ، ويقول المصراتى فيه : كان البهلول أديبا شاعرا نلمس فى ديوانه خفقات قلب ونيران محب ، ونجد فيه ظلال الحب الصادق العفيف(٢) .

وفى طرابلس الجميلة الخالدة يقول الشاعر أحمد بن يحيى من قدماء الشعراء فى طرابلس :

لقد طال شوقى إلى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبرى فما مسعدى
على الشوق إلا دموع الحبس(٣)

---

(١) ٥٧ أعلام ليبيا ، وص ١٢٦ نفحات النسرين والريحان .
(٢) ٢٤ لمحات أدبية عن ليبيا .
(٣) ١ : ٢٠ المنهل العذب - نشر الفرجانى .

ويقول أحمد البهلول رحمه الله ـ أيام أن كان مجاورا بالجامع الأزهر ـ في الحنين إلى طرابلس وفي وصفها (١) :

طرابلس الغرا ترى لى عودة
إليك ، وهل يدنو الذى كان قد ذهب
سقا الجانب الشرقى منك سحابة ولازال فيك من رياح الصبا يهب
بلاد لها بالخلد آية شبهة فنهانبات الزعفران ، كذا العنب
ترى سوحها من فضة فإذا اكتست
بشمس الضحى أضحت لجينتها ذهب
وفى كل حول حولها حلة حلت
بروتها خضراء من سندس القصب
وفيها نخيل باسقات إذا الصبا تهب عليها أسقطت يانع الرطب
وفيها من الأشجار ما جل وصفه بأوراقها الورقاء غنت من الطرب
فياحبذا ثغر له النصر خادم ويا حبذا عين بها الماء قد عذب
أمثل شوقا شكلها فى ضمـــائرى
فيسقط دمعى الشكل من شدة التعب
بديعة حسن زادها الله بهجة وآمن أهليها من الخوف والشغب
لقد أعجزت أوصافها كل معرب وكل الذى أملى وكل الذى كتب
وكيف بدار قد حوت كل رقعة بقوم لهم فى العلم باع وفى الأدب

وراجع القصيدة كاملة فى « نفحات النسرين والريحان » (٢) .

---

(١) ١ : ٢١ ـ ٢٣ المنهل العذب ـ نشر الفرجانى .
(٢) ٦٢ و ٦٣ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب .

٨ - عبد الكريم الطرابلسي

كان فقيها عالما جليلا ، وأديبا شاعرا ، ومحدثا لغويا خطيبا وأصوليا متكلما .

ولي القضاء مكان والده ، وحسنت فيه سيرته ، وله أدب رائع ، وشعر بليغ ، ومنه قوله :

يامشتكي حزني شرخ الشباب غدا
والشيب وافي فعلق العمر ضاع سدى
ناديت بالويل إذ بانت طلائعه ووفده رام للوفدين أن يفدا
أجابني بلسان الحال ينشدني لا تبتئس يافتى فالعيش عيش غدا
يوم ترى فيه من خاف الإله على كثبان مسك فلا يخشون فيه ردى
وجوههم أسفرت بالبشر ضاحكة
والمبلسون استجاشوا بالبكا كدا
ياطول حسرتهم ياعظم حيرتهم لا يذكرون بها مالا ولا ولدا
من خاف أدلج والموعود مرتقب والعبد لم يتخذ زادا ولا عددا

وتوفي عام ١١٨٩ هـ[1] .

٩ - محمد بن محمد بن عبد الكريم النائب

١١٨٧ - ١٢٥٨ هـ

كان على جانب كبير من العلم ، وله باع كبير في الأدب والشعر ، ولي قضاء طرابلس بعد أخيه عبد الكريم .

---

(١) ١٨٤ و ١٨٥ أعلام ليبيا ، ١ : ٣٣٨ - ٣٤٠ المنهل العذب .

ومن شعره الصوفى :

هذه أنوار ليلى قد بدت	وجلاها النور فى أحسن زى
هزمت جيش النفوس سطوة	ولسلب العقل يا صاح تهى
فالفتى من سلبته جملة	وأزالت عن محياه الغطى
ذاك من حاز الوصال دفعة	لا الذى تسلبه شيئا فشى
لاترى فى شمسها ظل السوى	قد طوت بساطه الأنوار طى
عجبا ترفل فى وحدتها	وهى شمس وهى ظل وهى فى
وإذا الحسن بدا فاسجد له	نافى التقليد عن ليلى ومى
حرم الله حللت آمنا	وسجود الشكر واجب يا أخى[1]

وابنه محمد كان كوالده علما وفضلا وتوفى عام ١٢٣٢ هـ : ١٨١٦ م[2] ، بعد أن أعقب ابنه حسين ، وحسين هذا أعقب ابنه أحمد النائب صاحب كتابى : المنهل العذب ، ونفحات النسرين والريحان .

١٠ — احمد النائب الأنصارى الطرابلسى

١٢٦٤ هـ : ١٨٤٦ - ١٣٣٥ : ١٩١٤ م

مؤلف كتاب المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، لقى السيد الإمام محمد بن على السنوسى ومدحه ، ولما كان فى الآستانة كان يألف أستاذه الشيخ فالح الظاهرى الذى قدم له كتابه ، ويقص عن أستاذه الظاهرى تاريخ السيد الإمام محمد بن على السنوسى .

---

(١) ٢٩٢ و ٢٩٣ أعلام ليبيا ، ١ : ٣٦٥ المنهل العذب — وراجع ترجمة والده فى ١ : ٣٣٦ و ٣٣٧ المنهل العذب .

(٢) ص ١٨ مقدمة نفحات النسرين والريحان .

ومن مدائحه فى الإمام قصيدة يائية طويلة يقول منها :

كبراءة من كل لؤم حازها   شيخ الشيوخ محمد بن على
سامى المكان مكان كل فضيلة   ظل الورى بالمجتدين حفى

كان موجودا فى أواخر المائة الثالثة بعد الألف لأنه ذكر أن والده توفى عام ١٢٩٨ هـ (١) ، وتوفى أحمد عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٤ م (٢) .

وطبع كتاب المنهل العـــذب فى الآستانة عام ١٣١٧ هـ ، ثم طبع فى طرابلس الجزء الأول منه عام ١٩٦٠ ، ونشر الجزء الثانى الأستاذ طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى فى القاهرة عام ١٩٦١ ، وقد نشر الأستاذ المصراتى كتابه « نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان » فى بيروت عام ١٩٦٤ عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية وقدم لها بترجمة له ، ولوالده حسين الأنصـــارى (١٢٢٣ هـ : ١٨٠٨ م - ١٢٩٨ هـ : ١٨٨٠ م)(٣) .

---

(١) ٢ : ٢ المنهل العذب نشر الزاوى ، وقد ترجم المؤلف لوالده فى الكتاب (٢ : ٤٩ المنهل العذب) .

(٢) ص ١٢ مقدمة « نفحات النسرين والريحان » بقلم المصراتى .

(٣) ص ١٤ - ١٧ المرجع نفسه وفيها يصحح المصراتى مولد أحمد النائب كما ذكرناه سابقا . بعد أن كان قد ذكر أن ميلاده عام ١٢٥٦ هـ : ١٨٤٠ م (ص ٥ المرجع نفسه) .

١١ ــ أحمد الفقيه حسن(١)

١٢٥٩ - ١٣٠٤ هـ : ١٨١٤ م

شاعر أديب مترسل ، من أسرة عريقة فى العلم والأدب فى طرابلس .

درس على علماء طرابلس ، ثم درس اللغة التركية والعلوم الحديثة فى المدارس التركية ، وشغل منصب رئيس القلم العربى فى ولاية طرابلس ، وظل فى هذه الوظيفة خمسة وعشرين عاما ، وانتفع بأدبه وتأثر به الكثير من الشباب والأدباء ، وفوق ذلك كان ملما باللغة الفرنسية وسافر عام ١٢٩٨هـ إلى باريس وإلى تونس ومصر والآستانة .

وقرأ مصادر الأدب العربى وأفاد منها ، وكان لايرى إلا فى مجلس علم أو ندوة أدب ، وكان له ندوة خاصة ، يتردد عليها رجالات طرابلس ، وفى مقدمتهم : عبد الرحمن البوصيرى ، ومحمد فريد باشا ، وعبد الرحمن نور الدين ، وغيرهم من أفاضل البلاد وعلمائها وأدبائها مثل الشيخ خليفة البلبسالى .

وقد ترجم رحلة لأحد الفرنسيين كتبها عن الشمال الافريقى ، وله مجموعة من الأغانى والموشحات ، وديوان شعر صغير الحجم ، وفيه من رقيق الشعر ما يدل على ذوق ناضج وخيال خصب(٢) .

ومن شعره فى هجاء بعض الحكام :

حكامنا ما أنصفوا ... والكلب منهم أشرف
إن كان فيهم طيب ... فأصله لايعرف
أو كان فيهم أسعد(٣) ... فهو الشقى المسرف

---

(١) ٧٤-٧٨ أعلام ليبيا .   (٢) ٧٥ المرجع .

(٣) تعريض بأسعد رئيس محكمة الجزاء آنذاك .

ومن شعره فى الغزل :

الخد ورد وذاك النبت ريحان　　والريق خمر وذاك الطرف سكران
وخاله عنبر قـــد حار من عجب
فى روضة الحسن فهو الدهر حيران
من النصارى رشيق القد ذو هيف　　بمهجة الصب فتاك وطعان
لا تعجبوا من شقائى فى محبته　　فطرفه الأدعج السحار فتان

ومن تخميسه لرائية ابن الفارض :

شوقى بديوان السلوك تسطرا　　وحقيقتى دقت فكادت لا ترى
يامنية المشتاق من دون الورى
زدنى بفرط الحب فيك تحيرا　　وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

ومن شعره أيضا : -

رشأ صاد فؤادى　　بسهم قد رماه
فغدا دمعى كواد　　لست أدرى من رماه
خاله سلطان حسن　　فوق كرسى الخد تاه
وبصدغيه جنود　　عارضاه عارضـــاه
ما احتيالى ومليكى　　حاجباه حاجباه

ومن شعره فى وصف راقصة :

رومية بهرت بتلعيباتها　　فاقت بحسن شمائل أخواتها
السكر فى رشفاتها والموت فى　　رشقاتها والسحر فى لحظاتها
قامت تبختر كى ترينا لعبة　　لم تدر أن الموت فى حركاتها
فسقى الحياء خدودها فتوردت　　وجرت بقيته ببرد لماتها
الله أكبر ما أتم جمالها　　قد كل وصفى عن حميد صفاتها
الله يعلم ما ألاقى فى الحشا　　لما توارت فى مقاصيراتها

١٣ ـ أحمد بن يوسف بن شتوان

أديب بارع ، وشاعر موهوب ممتاز ، ولد فى مصراتة ، وتعلم فيها وفى طرابلس .

وحفظ الكثير من أشعار العرب ودواوينهم ، وقرأ مصادر الأدب العربى، وعنى بالمؤلفات فيه ؛ فنبغ فى النثر والشعر حتى عد من المبرزين فيهما .

وسافر إلى برقة واجتمع بالإمام السنوسى ، واستفاد من علمه وولى قضاء برقة ، ثم رحل إلى مصر ولقى علماءها وأدباءها ، وسافر إلى الآستانة وعين مدرسا فى جامع السلطان محمد الفاتح ، وطار صيته ، وتوفى هناك ودفن فى مسجد الفاتح نفسه ، حيث تدفن الأسرة المالكة بإذن من الخليفة وذلك فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى .

وله شعر رقيق ، منه هذه الأبيات التى يصور فيها مالقى فى بلده مصراتة من تعسف حاكمها التركى :

ذات الرمال عداها كف عاديها ... لما استقر غراب البين واديها
داء عراها فما تنفك فى قلق ... وحار كل طبيب فى تداويها
وكان قدما بها أسد العرين فما ... يحوم حول حماها أو يدانيها

ومنها يصور فيه فرح الناس بعزل هذا الحاكم فيقول :

والآن لما أعاد الله بهجتها ... كأنها قد أعيدت فى مباديها
تختال فى طرب فى حلى زينتها ... كأنما عمر الفاروق واليها
رد الشباب عليها بعد ماقبرت ... شمطاء لمظاء لاخل يوافيها
فالله يحفظ أوقات السرور بها ... خضرا منابتها بيضا لياليها
أهدى إليها سلاما باسما عطرا ... يغشى رباها يحييها فيحييها
عاشت أوائلنا فى ظلها رغدا ... أفداءهم فى المعالى من يضاهيها

ولقد كان من أصدقاء الشيخ أحمد بن شتوان فى تركيا الحافظ أحمد شفيق، ومدحت باشا رئيس الوزراء لأن هذا الوزير الكبير كان من تلامذة جامع الفتح ، وقد تعلم أبناء الشيخ وهم يوسف بك ومنصور فى المدارس التركية ، وصار يوسف عضوا فى مجلس المبعوثان فيما بعد، ومن تلامذة الشاعر الشيخ: يوسف ضياء الدين الذى ولى القضاء فى مدينة بنغازى وتوفى فيها ، ودفن فى مقبرة السيد خريبش فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (١) .

ومن شعر ابن شتوان قصيدته التى نظمها فى مدح والى برقة العام فى المرة الأولى وهو المشير على باشا رضا عند زيارته لبرقة ، ومطلعها :

برق ترامى فى الوجود وأومضا	ألقام فى أرجاء برقة أو مضى
بل قد أقام فأنشأ السحب التى	طمت فألحقت الروابى بالفضا

ومنها :

لاذت جداولها تحف بجنة	تلهى الجآذر والمها والناهضا
والعندليب على أريكة شطها	غنى وصفق بالجناح ونفضا
صفت قوارير السلاف لشربها	صهباء كان بكأسها جمر الغضا
رمت الهموم بثاقب من شهبها	فتحللت بالرحم تحليل الفضا
لعبت أكف سقاتها بعقولهم	لعب الزمان بعقل أصحاب القضا

وله قصيدة سينية فى خمسة وثمانين بيتا أنشأها فى القسطنطينية عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م وذكر فيها أحمد فارس الشدياق وجريدة الجوائب (٢).

وترجم له المصراتى فى كتابه « لمحات أدبية عن ليبيا » (٣) ، فقال عنه : كان لغويا متين اللغة ، شاعرا سليم الذوق ، مرهف الإحساس ، وذكر

---

(١) مجلة القلم الجديد ص ١٣ و ١٤ - عدد تموز ١٩٥٣ م .
(٢) ٥١ - ٥٣ أعلام ليبيا .
(٣) ٤٩ - ٦٦ لمحات أدبية عن ليبيا - على مصطفى المصراتى .

أشياء من تاريخه وقصيدته السينية فى مدح الجوائب وصاحبها الشدياق ، ثم ذكر القصيدة كلها ومطلعها :

رسوم بأيدى لاعبات الروامس   عفت فرعتها عاديات الروامس

وهى على نهج المعلقات الجاهلية متانة وغرابة ، وكان يحذر حذو الجاهليين فى شعره .

وقد اجتمع ابن شتوان بالإمام محمد بن على السنوسى أثناء زيارته لطرابلس (١) .

١٣ — الطاهر بن محمد

١٢٨٣ — ١٣٢٨ هـ

أديب ثائر شاعر وعالم فاضل مشهور ، درس فى الأزهر الشريف ، وكان على جانب كبير من الذكاء ، تولى الإفتاء فى مدينة الزاوية بعد وفاة والده عام ١٣١٤ هـ ، وزار الآستانة مع وفد من ليبيا للاستنجاد بالخليفة العثمانى لمقاومة الغزو الإيطالى لأرض الوطن الليبى .

وله بعض مقطوعات شعرية فى غاية الجودة ، وضاع الكثير من شعره .. ومن شعره فى الغزل :

لم يدر ما لذة الدنيا وبهجتها
من لم يكن من كؤوس الشاى قد شربا

فهى المريحة للأحزان قاطبة   ناهيك إذ لونها قد شاكل الذهبا

قد خامرت عقل صب مذ ألم بها   وأورثته اندهاشا فازدهى طربا

---

(١) ٥١ أعلام ليبيا .

١٤ — محمد بن منصور

١٢٥٣ — ١٣٤٧ هـ

عالم صوفى فاضل ، وأديب شاعر مطبوع ؛ ولد بزليتن ، وتلقى العلم فى زاوية عبد السلام الأسمر وشغل بالعلم ونسخ كتبه وكان يقول متمثلا بقول الشاعر :

ألا يامستعير الكتب دعنى فمحبوبى من الدنيا كتابى
ففى تحريره أفنيت عمرى وفى تحصيله أفنيت زادى

ورحل إلى الأزهر ينهل من معينه عام ١٣٧٧ هـ ، ورجع إلى بلده عام ١٢٨١ هـ ، وقد نال قسطا من العلوم الشرعية والعربية .

ومن شعره قوله فى الوعظ :

وكم مانع حقا عليه وحتفه يناديه بالويلات والخلد فى سقر
وكم طامع فى الخلد قد خاب سعيه ويسبق بلا زاد إلى حفرة المقر
وكم حاسد للناس لم يشف غيظه
وخاب الذى يرجوه بل باء بالضرر
وكم آكل للسحت يزعم حله
ولم يدر أن السحت دأب الذى كفر

---

(١) ٣٠٣ - ٣٠٥ أعلام ليبيا .

١٥ — مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكرى[1]

١٨٥٣ — ١٩١٨ م

أستاذ شاعر أديب ، ولد ونشأ ودرس فى طرابلس ، وتلقى علوم الدين والعربية على أستاذ عصره محمد كامل مصطفى [2] (١٣١٥ هـ) ، وتعلم التركية وكانت لغة الدواوين والدولة الحاكمة حينذاك ؛ واختير عضوا فى مجلس إدارة الولاية فى أيام حسنى باشا ، ورئيسا لمكتب الفنون والصنائع بمدينة طرابلس فى عهد رجب باشا ، وكان يجمع إلى ذلك وظيفة مستشار الولاية ، وقام برحلات إلى مصر وفرنسا ، وفى عام ١٣١٠ هـ أدى فريضة الحج ، وطبع ديوانه بمصر .

وكان شاعرا رقيق الشعر ، ينطق به عن طبع وموهبة وملكة متدفقة البلاغة .

وله فى الأدب جولات كثيرة ، وكان عميد أدباء طرابلس ، وعلى جانب كبير من المعرفة والعلم ، وخبرة واسعة بشئون السياسة والحكم .

ومن شعره :

عبث النسيم بقدها فتحركت ... ألف الذوائب فوق ردف مائل
ما كنت أحسب قبل ذلك أن أرى ... ألفا يحركها حدوث العامل

ومنه :

---

(١) ٣٤٠ - ٣٤٣ أعلام ليبيا - وزكرى بالزاى نخذ من العمور من بنى هلال ، ويقال إن ابن زكرى من أصل أندلسى ؛ ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى ، ٢٤٧ و ٢٤٨ الشعر والشعراء فى ليبيا لمحمد صادق عفيفى .

(٢) كان محمد كامل بن مصطفى من تلامذة جمال الدين الأفغانى ، وكذلك صديقه الدراجى سراج ، وكلاهما تعلم فى الأزهر ، وتتلمذ عليهما ابن زكرى .

فانظر إلى ورد الخدود وحوله   آس العوارض أخضرا مسبوتا
تر آيتين ومن عجائب مازى   شجر الزبرجد أثمر اليافوتا

وديوان ابن زكرى المطبوع عام ١٣١٠ ﻫ كتب عليه : « هذا ديوان مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكرى (١) الطرابلسى المغربى » ، وفى صدره يقول شاعرنا : هذا ماسمح به فكرى ، من طرائف الأبيات الغزلية ، ولطائف النكات الأدبية ؛ ولا يغرك ما أدعيه ، ولست من أربابه وذويه ؛ فغاية مرامى ، ومرمى سهامى ، أن أرد من فم الأدب رضابه ، وأرتشف من راحة (الشعر) حبابه ، وأقرع باب معانيه ، وأسوم شباب أغانيه .. ولما تفقدت شواردها ، وتقفيت أوابدها ، صادفت جل الأبيات فى جب الخمول مقبورا ، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . وحذرا من ضياعها ، ودثور رقاعها ، طمقت أجوس مفاوز أفكارى ، وأطارد شوارد أوطارى ، إلى أن ظفرت ببعضها ، وقمت بقضاء فرضها : فركضت جواد أقدامى ، وفوقت سنان أقلامى ، وثنيت عنان البنـــان إلى ميدان الطروس ، وأدرت من بديع المعانى ألذ الكؤوس (٢) » .

وهو أسلوب يدل على خصائص النثر فى هـذا العصر ، وعلى استهلاك المحاولات البديعية لمعانيه .

يحتوى ديوان ابن زكرى على فنون عديدة من المدح والغزل .

وفى شعره من الأوزان الأندلسية قصرها وخفتها وروحها ، وأطرف مافى ديوانه ، محكمة الحب ، وقاضى الغرام . والأدوار التى يمر بها العاشق الولهان (٣) ، يقول :

---

(١) كلمة زكرى مكتوب فى الديوان بالذال لابالزاى .
(٢) ص ٢ ديوان ابن زكرى - القاهرة ١٣١٠ ﻫ .
(٣) ١٧٠ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى .

أيها الداعى إلى السلوان دع من لا يجيبْ
لا تسلنى كيف حالى بين واش ورقيب
أنا لا أهتف بالشكوى إلى غـــير الطبيب

وقد قرظ ديوانه الشيخ الأديب عبد الله المغراوى المصراتى .

ولابن زكرى مدائح فى السيد المهدى السنوسى ، ومنظومات فى تعليم السلاح ، والدعوة إلى حب التجنيد ، وفى الوعظ والتوسل . وعلى الجملة فهو شاعر عصره ، وشيخ شعراء ليبيا كما يدل على ذلك ديوان شعره ، وقد قلد الأندلسيين وجاراهم فى فن الموشحة ، وعارض ابن سهل ولسان الدين ابن الخطيب ، ويقول عنه أحمد رفيق المهدوى: إنه يشبه البهاء زهير وعفيف الدين التلمسانى والشاب الظريف (١) ، وكان يرى فخرا تفوقه على الموشحين الأندلسيين (٢) . وابن زكرى حلقة بين شعراء الصنعة وشعراء الطبع ، وكان يكثر فى شعره من ألوان البديع ولكنه يجىء به سمحا غير متكلف (٣) ، ويعد نقطة الالتقاء بين الشعر القديم والنهضة الشعرية الحديثة التى كان من طلائعها .

وكان الشارف يقدم ابن زكرى على كل شعراء عصره ، ويقول : إن شعره كان رقيقا ، وكان صديقا لى ، ولى معه أمسيات طيبة (٤) .

ومن شعر ابن زكرى :

قوت روحى هواك بل قوت ذاتى	وحياتى وهل سواك حياتى ؟
إن علىّ بآى حسنك يتلو	كل حين على الورى معجزاتى
يا نبى الجمال أصبح دمعى	مرسلا فى هواك بالبينات

(١) ٢٠٧ الشعر والشعراء فى ليبيا ، نقلا عن مجلة ليبيا المصورة من مقال لأحمد رفيق المهدوى .

(٢) العدد الرابع من السنة الأولى من مجلة ليبيا من مقال لكامل الهونى .

(٣) ٢٤٧ الشعر والشعراء لعفيفى . (٤) ١٥٤ لمحات أدبية عن ليبيا .

يذر العـــاشقين نارا تلظى ... في فؤاد وقودها عـــبراتي
ونواحى يريك طوفان نوح ... إنما فاض من لظى زفراتي
أغرقت عبرتى منامى ولـكن ... سهادى باق بقيد الحياة
لاتسلنى عما سواك فلا أعـ ... ـرف إلا هواك فى الـكائنات

وله أرجوزة فى الوعظ منها :

وظائف الإنسان فى دنياه ... أن يعبد الله وأن يخشاه
وأن يـكون راضيا بما قضى ... ولم يـكن لحـكمه معترضا
واعلم بأن العلم نور وهدى ... والجهل لايأتى بخير أبدا
والزهد فى العلم من الحرمان ... والمرء بالقلب وباللسان
من لم تهذبه فنون الوقت ... لازال ملحوظا بعين المقت
والبحث عن طبائع الزمان ... من الضروريات للإنسان
وعزة المؤمن رأس المال ... فلا تهن نفسك بالسؤال
وتبتغى من فضله تعالى ... رزقا هنيئا طيبا حلالا
وأقرب الناس إلى الحرمان ... من قطع الأيام بالأمانى
فانهض بخير حسب الاستطاعة ... ونعم كنز المؤمن القناعة
والقصد فى العيش من التدبير ... والمـــال لا يبقى مع التبذير
كما تدين فى الورى تدان ... ومن أهان غيره يهان

وتبلغ ستة وأربعين بيتا .

ويقول عنه المصراتى : إنه شاعر من طراز المدرسة القديمة حافظ على الإطار التقليدى والمنهج الـكلاسيكى وتلمس فى شعره ظلالا من أشعار الأندلس مع رقة وقصر نفس وأكثر أشعاره فى الغزل والحب ووصف الجمال (١) .

---

(١) ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا ، وقد كتب المصراتى عنـــه فصلا فى كتابه (أعلام من طرابلس) .

ويمتاز شعر ابن زكرى بروح غنائية طيبة ، يقول :

أنت روحي وراحتي وحياتي ... ووجودي ومسمعي وعياني
أنا من حبك الغني ولكني ... فقير لحسنك الفتان
أسر الروح والنهى بصفات ... أبدعت خلقها يد الرحمن
وجهه من شقائق البدر لكن ... خده من شقائق النعمان[1]

ويقول :

أغرك صبري وفرط ودادي ... فعرضتني للأسى والسهاد
إلام تطيل جفاك وأشقى ... بعين الرقيب وعذل الأعادي
فلو زار طيفك باب الجفون ... لصادف فيه رقيب السهاد[2]

ولابن زكرى مدائح كثيرة ، مدح الشيخ ابن الحبيب حين هجرته من تونس[3] ، ومدح الشيخ عبد الرحمن البوصيري مقرظا رسالته في البيان[4] . وقد مدح ابن زكرى السلطان عبد الحميد ، ومدح الإمام المهدى السنوسى بقصيدة دالية ، منها :

ياخير مهدى وأفضل من هدى ... فى آخر الزمان العباد وأرشدا
ياخير من يدعو لسنة جده ... وأجل من قرأ الكتاب وأسندا
لو لم يكن غير القرابة شاهد
لكفى فكيف وقد هدى بك من هدى
شرف على شرف وفخر خالد ... وبقاء مجد لن يزال مسرمدا
ترك الزمان لأهله متقدما ... يسعى إلى نيل المنى ، متجردا
هجر المنام وطيبه فكأنما ... جعل الليالى للعبادة موعدا[5]

---

(١) ص ٥ و٦ ديوان ابن زكرى . (٢) ٢٨ المرجع .
(٣) ٢٠ ديوان ابن زكرى . (٤) ٣١ المرجع .
(٥) ١١ ص و١٢ ديوان ابن زكرى .

ومن أسرته اليوم السيد مصطفى بن زكرى وزير الصحة فى وزارة السيد محمود المنتصر رئيس مجلس الوزراء السابق فى المملكة الليبية .

ويقول ابن زكرى :

رتب تقاصر عن بلوغ مرامها ... فهم البليغ فلن يمد لها يدا
والعجز عن تلك المراتب شاهد ... أن المقام أجل من أن يحمدا(١)

ومن قصيدته « قصة المستهام » :

روح الروح واسقنى بمدام ... وأدر ذكر قصة المستهام
كنت فى أول الوجود أرى الوجـ ... ـد من المستحيل فى الأوهام
وتماديت فى ضلالى وقد جا ... ء نذير الهوى بدين الغرام
وبدت للوجود من فلك الغر ... ة شمس الضحى وبدر التمام
فدعتنى إلى البراز جنود ... عودتنى بالنصر بين الأنام

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة (٢) .

ومن شعر ابن زكرى الدينى :

لا يسرنك ابتسام أمانيـ ... ـك ولا تستفزك البأساء
واصطبر واعتبر بحزم أولى العز ... م إذا عز فى المصاب العزاء
أقبل اليسر يقتفى أثر العسـ ... ـر ، وللكرب شدة ورخاء
ليت شعرى من يقرض الله قرضا ... حسنا كيف أجره والجزاء
فدع الكف واستلم راحة الرا ... حة واقنع بما قضاه القضاء
واتق الله حيثما كنت فالله ... رقيب إن غابت الرقباء

---

(١) راجع أيضا ٨٥ السنوسى الكبير للأشهب .

(٢) من ديوان ابن زكرى ونقلها عفيفى فى كتابه ص ٢٤٩ الشعر والشعراء فى ليبيا .

عالم الغيب والشهادة هل تعـ ـزب عن علم ربك الأشياء
فسل الله حيث يدعو إلى جنـ ـة عدن بفضله من يشاء
جنة عرضها السموات والأر ض ورزق الله لايعتريه فناء[1]

وقد قرظ ديوان ابن زكرى شعرا الأديب الشيخ عبد الله المغراوى المصراتى الطرابلسى الأزهرى ، والشيخ أحمد المسعودى الصيدى الطرابلسى الأزهرى ، والشيخ سالم بن المبروك المسعودى الورشفانى الطرابلسى الأزهرى ؟

---

(١) صـ٨ و ٧ ديوان ابن زكرى .

تم بحمـــد الله تعالى

الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني والله ولي التوفيق

فهرست الجزء الأول

دار الطباعة المحمدية
بالأزهر بالقاهرة